

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامـعـــة الـــجـزائــــــر
معـــــهد الآثــــــار
تخـصص آثار إسلامـية

الإستحكامات العسكرية المرينية

من خلال مدينتي فاس الجديد، والمنصورة بتلمسان

" دراسة تاريخية وآثرية "

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

من إعداد الطالب :

- محمد عياش

تحت إشراف الأستاذ:

- أ.د / صالح يوسف بن قربة

السنة الجامعية : 2006 / 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم علمنا ما ينفعنا
و انفعنا بما علمتنا
و زدنا علما

* - آمـــــيـــــن- *



الإهداء

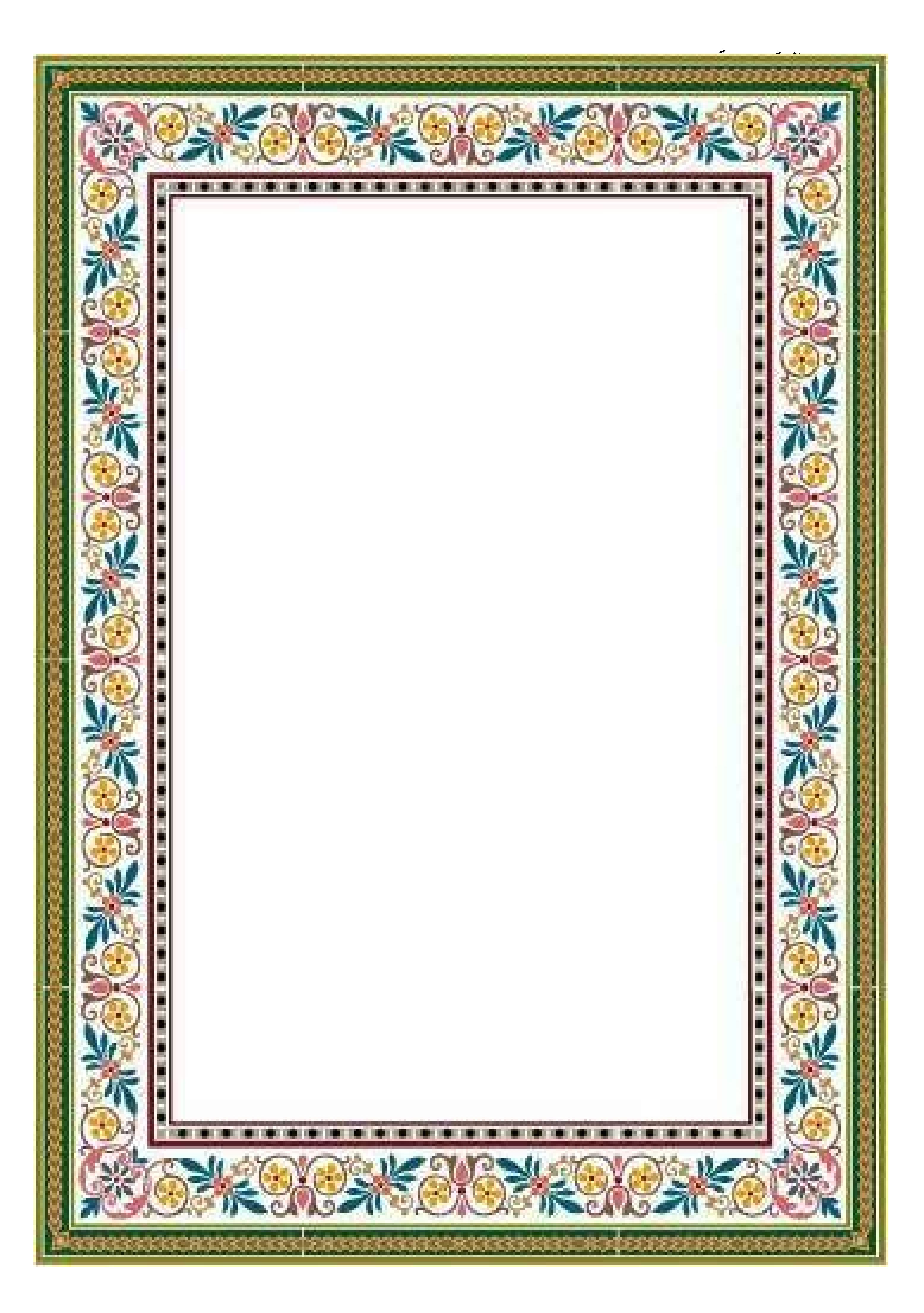
إلى روح جدتي الطاهرة، التي مازال طيفها في مملكة مخيلتي - رحمها الله -

إلى والداي الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى كل أفراد عائلتي الصغيرة والكبيرة.

إلى كل أساتذة و طلبة و موظفي معهد الآثار.

إلى كل الزملاء والأصدقاء.



المقدمة

المقدمة

تعتبر العمارة عنصرا من عناصر الحضارة، لأنها تكشف لنا عن مستوى التفكير الإنساني والتطور الذي وصل إليه، وعليه فقد لعبت العمارة الإسلامية دورا كبيرا في تبيان روح الحضارة الإسلامية – المجسدة على المباني- في جميع المناطق التي استقرت فيها.

وما دامت العمارة العسكرية رافد من روافد العمارة الإسلامية، حيث ظهرت بطابع خاص ميّزها عن غيرها من الحضارات الأخرى، كما اختلفت من منطقة إلى أخرى، ومن فترة إلى فترة، كل هذا راجع إلى تأثيرات البيئة، والمعتقدات السائدة إضافة إلى تطور وسائل الدفاع والهجوم، فنتج عنه فناً معمارياً متميزا، عُرف في معظمه بالتحصينات العسكرية، أو الاستحكامات العسكرية أو العمارة الحربية، رغم الاختلاف في الاسم فإن المعنى هو تلك التحصينات التي تقام لحماية المدن والثغور والطرق التجارية التي يحتمل أن يمر من خلالها العدو إلى داخل المدينة أو البلد، وهي تشمل القلاع والحصون والأبراج والأسوار والأبواب، وما تحتويه من العناصر كالمزاغل والشرفات والفتحات وغيرها.

كما يعتبر موضوع التحصينات العسكرية من المواضيع الهامة في التاريخ السياسي والصراع بين الشعوب من أجل البقاء، ورغم أهميته التاريخية والأثرية فلم يلق اهتماما كبيراً من قبل الباحثين والمهتمين بدراسة آثار العمارة العسكرية المغربية، بالرغم من أن العمارة العسكرية الإسلامية وفنونها في منطقة المغرب، موضوع تطرق إليه الباحثون الغربيون ، إلا انه ما زال يثير الانتباه ويدفع إلى المزيد من التقصي والبحث من أجل الاستجلاء لخفاياه، و الكشف عن غموضه، وإبراز خصائصه ومميزاته.

إن البحث في مجال العمارة العسكرية يقدم نموذجا دالا لمعاينة، ورصد مختلف التطورات، والتحولات في المجال العسكري، ففي واقع الأمر فهو دراسة في مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهي تعكس بشكل من الأشكال مستوياتها و أهميتها، وقد عبّر الحكماء القدامى من العرب والعجم عن هذا المعنى حين قالوا : " الملك

بناء والجند أساس ، فإذا قوي الأساس دام البناء وإذا ضعف الأساس انهار البناء، فلا سلطان إلا بجند، ولا جند إلا بمال ولا مال، إلا بجباية ولا جباية، إلا بعمارة ولا عمارة، إلا بعدل ....." كما عرفها ابن خلدون، وعليه كانت تقاس حضارة المدن في الماضي بقدرتها على إتقان التحصينات المختلفة.

وباعتبار البناية العسكرية والعمرانية لها علاقة هامة ومباشرة بالمجال الطبيعي والاقتصادي والسلطة السياسية، إذ لعبت دورا هاماً في التحولات التي طرأت في فترات مختلفة وخاصة في بداية قيام الدولة المرينية، التي اعتبرت نفسها الوريث السياسي للموحدين في إعادة توحيد المغرب تحت رايتهم، وعليه فإن موضوع بحثنا يشمل الفترة الزمنية الممتدة من القرن السابع الهجري إلى النصف الأول من القرن الثامن الهجري، معالجا أحداث المغربين الأقصى والأوسط في العصر المريني، تحت عنوان : "الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد بالمغرب الأقصى والمنصورة بالمغرب الأوسط"، متتبعا ظاهرة الصراع والتنافس السياسي بين المرينيين والزيانيين من خلال التحصينات التي ما تزال آثارها قائمة حتى اليوم.

تُعتبر النظم العسكرية التي انتهجها أمراء الدولة المرينية ذات الصلة الوطيدة بالفنون و العمارة لأن تطور النظم و التقنيات العسكرية له تأثيره على تطور عمارة الأسوار و التحصينات، والمعروف تاريخيا أن المرينيين قد استخدموا الأسلحة النارية في حروبهم بالمغرب ونذكر على سبيل المثال أن يوسف المريني ضرب مدينة سجلماسة أثناء محاصرته لها سنة (672هـ/1273م) بالمنجنيق والرعادات وهندام النفط، كما استعمل عند حصاره مدينة تلمسان سلاحا جديدا يعرف بقوس الزيار ، ونستدل في هذه الدراسة على أهم المنجزات العسكرية للدولة المرينية لمعرفة سياستها المنتهجة في محاولة إعادة توحيد المغرب، خصوصا في عهدي السلطانين أبي الحسن (731-752هـ/1331/1351م)، وأبي عنان (752-759هـ/1351-1357م) اللذين استطاعا أن يعيدا توحيد المغرب ولو لوقت قصير.

كما تكشف لنا هذه الدراسة عن العمارة العسكرية وطرازها، و عن أهداف الدولة المرينية في بناء المدن وتحصينها، وكنموذج لهذه العمارة اخترت تحصينات مدينتي فاس

الجديد والمنصورة بتلمسان كموضوع لبحثنا هذا وسنتطرق لمعالم أخرى في السياق التاريخي.

- أسباب إختيار الموضوع:

لا شك أن اختيارنا لهذا الموضوع يرجع إلى عدة أسباب نجملها فيما يأتي:

1- قلة الدراســات الأثرية إن لم نقل انعدامــها في مجـال العمارة العسكرية المغربية، وخاصة فترة الدولة المرينية، باستثناء بعض الدراسات المتناثرة في مواضيع معمارية عامة، وإذا كانت العمارة العسكرية بالمشرق قد حظيت باهتمام الباحـثين والمهتمين بالدراسة والبحث منذ مدة، فإن العمارة العســكرية في المــغرب الإسلامــي لم تحظ -فيما نعلم- بدراسة عربية مستقلة باستثناء بعض الرسائل الجامعية المنجزة مؤخرا، أما الدراسات الأجنبية فهي عبارة عن أبحاث متكررة ومتشابهة في معظمها.

2- أردنا أن نتجاوز النظرة التقليدية التي تعتقد أن الحصون و القصبات والأبراج والأسوار ما هي إلا عمارة حربية ذات طابع دفاعي محض، يتحصن فيه الأمراء والزعماء تحسبا آو درأ لأخطار الغزو والثورات المحلية.

3- إن اختيارنا لمدينة فاس الجديد باعتبارها عاصمة الدولة المرينية، والمنصورة بتلمسان باعتبارها العاصمة الثانية " المتنقلة للدولة"، كنموذجين لهذه العمارة في المغربين الأقصى و الأوسط.

- إشكالية البحث:

بعد اضمحلال وتفكك الموحدين عقب معركة العقاب سنة (609هـ/1212م)، ضعفت سلطتهم و أصبحوا عاجزين على إدارة بلاد المغرب، مما أدى إلى ظهور أطماع القبائل في الاستيلاء على بعض مدن الدولة و التطلع إلى تأسيس دول على أنقاض دولتهم، ومن بين هذه القبائل قبيلة بني مرين، التي استطاعت في ظرف زمني قصير أن تلحق بالموحدين هزائم وتستولي على أجزاء كبيرة من المغرب الأقصى لتصل في نهاية

المطاف إلى القضاء على دولة الموحدين سنة (668هـ/1269م) ، فوضعوا نصب أعينهم هدف واحد وهو إقامة دولة جديدة تماثل قوة الموحدين.

بناءً على ما سبق، فإن هذا الموضوع الشائك يطرح عدة إشكاليات أمام الباحث لعل أهمها:

1- ما هي خصائص و مميزات العمارة العسكرية التي جعلت من الدولة المرينية ذات قوة عسكرية في المنطقة؟

2- و هل تمكن سلاطين بني مرين تعويض الفراغ السياسي و الديني الذي تركه الموحدون ؟

3- وهل نجحت مخططاتهم السياسية وقوتهم العسكرية في توحيد بلاد المغرب ؟

سوف نجيب على هذه التساؤلات جميعها في نطاق هذه الدراسة المتواضعة.

- صعوبات البحث:

لقد واجهتنا بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث، وهي كالتالي:

- أولا : بعد المسافة، حيث وجدت أغلب استحكامات الدولة في المغرب الأقصى، لذلك اقتصرنا على عاصمة الدولة فاس الجديد والمنصورة بتلمسان.

- ثانيا : وجود بعض الاستحكامات داخل حيز القصر الملكي الحالي بفاس، مثل باب السبع و بعض أجزاء السور، هذا مما صعب حرية التحرك وتنقل الباحث وقلل من عدد الزيارات الميدانية للموقع.

- ثالثا : انهيار معظم التحصينات وتعرض أغلبها للتخريب ، أصبحت عبارة عن أكوام من الحجارة المتراكمة و المتناثرة هنا و هناك، وخاصة في المنصورة بتلمسان، وهذا ما صعّب عملية البحث في أخذ المقاسات ووضع المخططات، وبالتالي أصبحت أغلب هذه التحصينات عبارة عن أكواخ وزرائب للحيوانات، إضافة إلى أن هناك من اتخذها جزءًا من مسكنه أو غرفة من غرف منزله، هذا ما شاهدناه اليوم في المنصورة وفاس الجديد .

- رابعا : قلة الدراسات في مجال العمران العسكري، صعبت منهجية البحث و استعمال المصطلحات.

- خطة البحث:

قسمنا الدراسة إلى مقدمة و أربعة فصول وخاتمة مع ثبت بمصادر ومراجع البحث ثم فهارس الأعلام و الأمكنة والملاحق الموضحة للمتن.

- ففي **المقــدمـــة** عرفنا موضوع البحث و أهم الإشكاليات المتعلقة به مع تبيان منهجية الدراسة المتبعة.

- أما **الفصل التمهيدي** فقد استعرضنا فيه ظروف ظهور المرينيين على مسرح التاريخ كدولة ذات كيان سياسي وحضاري أوجدت نظاما كانت تهدف من ورائه إعادة توحيد المغرب الإسلامي، كما تطرقنا إلى شرح المصطلحات المتعلقة بالعمارة العسكرية الإسلامية عامة، ثم ذكر أهم المنجزات المعمارية المرينية.

- بينما **الفـــصل الأول** : تناولنا فيه التحصينات المرينية في فاس الجديد، بدءًا بالموقع الجغرافي وظرفية التأسيس ثم الوصف المعماري لأسوار المدينة ومداخلها وأبراجها.

- أما **الفـــصل الثـــانـــي** من هذه الدراسة فقد تناولنا فيه تحصينات مدينة المنصورة المرينية بتلمسان بدءًا بالموقع الجغرافي وظروف تأسيسها ثم الوصف المعماري لأسوار المدينة ومداخلها وأبراجها.

- وأخيرا خصصنا **الفـــصل الثـالــث** للدراسة التحليلية والفنية لمواد البناء وتقنياته والعناصر المعمارية.

- و **الخـــاتــــمة** لأهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث.

- منهج الدراسة

لقد اتبعنا في معالجة موضوع العمارة العسكرية الجانب النظري والتطبيقي.

أولا - فبالنسبة للجانب النـــظري، اعتمدنا على المادة المصدرية والمرجعية التي تتحدث عن تاريخ الدولة المرينية السياسي و العسكري، آخذين بعين الاعتبار الدراسات التي تطرقت إلى العمارة العسكرية بالمغرب الإسلامي، بالإضافة إلى المراجع الأثرية التي لها علاقة بالعمارة العسكرية وربطها بالمسائل التاريخية، وصولا إلى فكرة التأسيس والتوظيف التطبيقي لها في مجال التكتيك العسكري.

ثانيا – المنـــهج التطبيــقي:

ويقوم على الدراسة الوصفية والتحليلية للمعمار العسكري ميدانيا مع تحديد موقعه ضمن النسيج العمراني للمدينة مع عملية الرفع، ورسم المخططات، والاهتمام بالتصوير، وأخذ الرفع الأثري لمختلف المعالم التي نحن بصدد دراستها، ومن هنا نشير إلى أن دراستنا التطبيقية كانت حسب الظروف والإمكانات المادية التي سمحت لنا القيام بذلك.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة لإنجاز هذا البحث، و أرجع الفضل لأهله ، وصاحب الفضل الأول الأستاذ الفاضل الدكتور صالح بن قربة، وهو المشرف على هذه الرسالة، فقد كان لرحابة صدره وسديد توجهاته لي ، وغزير علمه، وكرمه وسخائه الزائد في إمدادي بما عنده من مصادر ومراجع، أكبر أثر في دفعي دائما إلى الأمام وفي تذليل كل العقبات والصعاب التي صادفتني أثناء إنجازي لهذا البحث...، وأدعو الله أن يحفظه ويرعاه زاخرا للعلم ودعامة للآثار والتاريخ.

و أتوجه بالشكر للأستاذ الفاضل الدكتور خالف محمد نجيب ، الذي هو الآخر لم يدخر جهدًا في إنارتي وإرشادي طيلة مسيرة هذا البحث، فجزاه الله كل خير، وأقدم شكري إلى كل أساتذتي المحترمين على توجيهاتهم القيمة و التي أنارت لي الطريق.

كما أتوجه كذلك بالشكر والتقدير إلى كل من أساتذة التاريخ بجامعة محمد الخامس، ومعهد الآثار بالرباط، وجامعة ظهر المهراز، وجامعة سايس بفاس، وبالخصوص الأمين العام لوزارة الثقافة المغربية ، الدكتور عبد العزيز التوري ، على كل ما قدموه لي من توجيه، وعناية، ورعاية وتسهيل مهمتنا، فله مني الشكر الوفير.

والله ولي التوفيق.

فصـــل تمهيدي

✓ **أولا :** تقديم تاريخـــــي

1- المغرب خلال القرن الثامن هجري

2- أصل المرينيين وموطنهم.

3- التعريف بأشهر ملوك بني مرين.

✓ **ثانيا :** العمران والتحصينات العسكرية

1- التحصينات العسكرية في المدينة الإسلامية

أولا : تقــــــديم تاريخي

1- المغرب خلال القرن الثامن هجري:

شهدت بلاد المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين حركتين سياسيتين قامتا في المغرب الواحدة تلو الأخرى، وهما حركة المرابطين، و الموحدين، لقد حقق المغرب الإسلامي أيام الموحدين تأسيس أول دولة إسلامية وحدت بلاد المغرب الإسلامي وشطرًا من الأندلس[1] لأول مرة منذ الفتح الإسلامي لها.

ثم أخذ ضعف الموحدين يظهر بعد موقعة العقاب (609هـ/1212م) وهي الموقعة الفاصلة والحاسمة التي أدت إلى ضياع الأندلس المدينة تلو الأخرى [2]، أما في المغرب الأقصى يبتدئ الانحلال الموحدي من سنة (615هـ/1218م)، فقد انحصر نفوذ السلطة إلى المدن خاصة، حيث اعتصم فيها الولاة الذين لم يعد لهم نفوذ على البوادي كما اشتعلت الثورات في كثير من الجهات وانعدام الأمن في الطرقات وظهرت المناكر، بينما امتنع عامة الناس عن أداء الضرائب [3].

وقد استفحل الصراع على السلطة وتاج الملك بين أفراد البيت الموحدي وشيوخه والطامعين إلى النفوذ فيه، وذلك منذ وفاة الناصر فاختلفت كلمتهم وتفرقوا إلى شيع

---

[1] - عبد العزيز السيد سالم، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1981 ، الجزء الثاني، ص 867.
- محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، مطبعة التأليف والنشر، القاهرة، 1964، ص 290 – 317. للمزيد من الإطلاع أنظر:

[2] - مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشره الشيخ محمد بن أبي شنب، مطبعة جون كربونل، الجزائر، 1339هـ/ 1920 م، ص 51 و أنظر :
- السلاوي ، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذ جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1954 ، الجزء الثاني، ص204.
- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشهاب الجامعة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1979، ص 176- 177.
- مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته، الطبعة الأولى، مطبعة العصر الحديث، لبنان، 1992، الجزء الثالث، ص 8-14.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، المجلد السابع، ص 198. أنظر كذلك:
- مؤلف مجهول، المصدر نفسه ، ص 35.

وأحزاب متخاصمة ودخلت الدولة في دوامة من المعارك الانتحارية المستمرة، وفي فترة من الانحلال التدريجي لقوة الدولة ومواردها والمؤدي أخيرا إلى انهيارها وسقوطها[1]. فبرز المتوثبون كعادتهم في كل من المغرب والأندلس ، ينتزعون أطراف الدولة ويشلون على قواعدهم ، فظهرت دولة الطوائف من جديد اقتسمت الأندلس والمغرب.

ففي الأندلس لبني مردنيش وبني هود وابن الأحمر، وفي المغرب بنو عبد الواد بتلمسان، وبني حفص في تونس وبني مرين بالمغرب، وقد انتهى الأمر في الأندلس إلى دولة بني الأحمر [2]، واستمرت هذه الدويلات الأربعة (بنو الأحمر، بنو مرين، بنو عبد الواد، وبنو حفص) خلال القرن الثامن على حالها من الاستقلال الذاتي، والتغلب على أحوال الفتن ومع ذلك فإن القرن الثامن في الأندلس والمغرب كان عهد رخاء مادي وازدهار حضاري ونبوغ فكري شامل. *(الخريطة رقم2).*

فقد ظهرت دولة بني مرين كقوة جديدة دون غيرها من الناحية العسكرية، ولذلك أبلت البلاء الحسن في الجهاد على أرض الأندلس ، ودانت لهم تلمسان وتونس مرات عديدة إلا أن الدولتين المغلوبتين على أمرهما سرعان ما عادتا إلى سابق عهدهما ، وقد حملت الدولة المرينية على عاتقها عبء الجهاد ضد النصارى والقضاء على المناوئين لها، وبقيت دولة بني الأحمر على صلة بالمغرب لا تنفك عنه، ومن حسن طالع بني مرين أنهم وهبوا إلى منتصف القرن الثامن رؤساء أقوياء مكنوا دولتهم وبسطوا نفوذهم على من جاورهم من دويلات مرات عديدة، وبذلوا جهودا كبيرة لتوحيد أجزاء المغرب تحت قيادة واحدة ولكن الظروف حين ذاك من إقليمية وسياسية، وقفت حاجزا أمام تحقيق تلك

(1) ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 382.أنظر كذلك:

- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، 1979، ص 178 – 179.

(2) ـ عبد الله بنو يوسف المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، دراسة وتحقيق، سليمان معتوق الرفاعي، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ،2002 ، ص95 . أنظر:

- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، المجلد السابع، ص205،
- عبد العزيزالسيدسالم ، المرجع السابق، ص 867 – 879.
- ابن الأحمر، نشر فرائد الحجان في نظم فحول زمان، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1967، ص 24، 25.

الخطوات الجبارة التي لو تحققت لتغير مجرى التاريخ الإسلامي في المغرب والأندلس[1]، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ويقضي الله أمرا كان مفعولا.

2 – أصـل المرينـيين ومـواطـنهم:

أ – نســـــــب المرينـــــــيين: - *(الجدول رقم :1)*-

يقول ابن خلدون: أن المرينيين كانوا كعبد الواد ملوك تلمسان من الطبقة الثانية لجيل زناتة وهم حسب تقسيمه من أعلى قبائل زناتة حسبا وأشرفهم نسباً،[2] بل قيل أنهم شرفاء [*] من ولد بر من قيس بن عيلان بن مضر بن معد بن عدنان[3]، وقد تحول لسانهم العربي بعد أن تحول بر بن قيس إلى أرض أخواله البربر الذين كانوا يسكنون فلسطين ويجاورون العرب في المساكن والمراعي وقد تلقب ولده مادغيس بالأبتر وهو أبو البتر من زناتة وقد نشأ بين أخوال أبيه من البربر فنطق بلغتهم وتزين بزيهم.[4]

ب – موطـــــــنهم الأصــــلي :

لقد اشتهر بنو مرين بحياتهم البدوية، معتمدين على الرعي والصيد والغارات على البلاد المغربية، وخاصة بواديها كبوادي زناتة إلى ما يلي تلمسان، فكانت أرزاقهم على رماحهم واستمر هذا الوضع حتى دخل عبد الحق بن محيو مؤسس دولتهم، لم يكن موطنهم

---

[1] - عبد الله بن يوسف المالقي، المصدر السابق ، ص96.

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق، المجلد السابع ، ص 196 -197. أنظر كذلك:
- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 28.

[*] - رفع بعض المؤرخين نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه" وقال جماعة بأنهم من زناتة وكلها عربية الأصل من مضر ويجتمع نسبهم بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنظر:
- الشريف الإدريسي،وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نشره هنري بيريس، الجزائر، 1957 ، ص 61-60.
- بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، الطبعة الأولى، مطبعة بن خلدون، تلمسان، 1961، ص 284، 285.

[3] - ابن الأحمر، روضة النسرين في ملوك بنو مرين، المطبعة الملكية الرباط، 1962، ص 17.

[4] - نفسه. ص 18. أنظر كذلك:
- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب منصور، الطبعة الأولى، المطبعة الملكية، الرباط،1999، ص 365، 367.
- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص 186.

ثابت لنمط حياتهم البدوية والرعوية القائم على الترحال بحثا على الكلاء والماء، وكانوا قبل استيلائهم على ملك المغرب ينتقلون من زاب(*) افريقية إلى سجلماسة(**)، يتولى رئاستهم زعماء من قبائلهم يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم لا يخضعون لأي سلطة سواهم[1] . *أنظر(خريطة رقم 1- 2)*

3 – الــتعريــف بأشــهر مــلــوك بــني مــريــن:

بدأ ظهور بني مرين في أواخر سنة (613هـ/1216م)[2]، أيام الأمير الأول عبد الحق بن محيو - أبو ملوكهم ومؤسس دولتهم- ، فهو أول من دخل المغرب من ناحية زاب إفريقية موضع إمارته، وحاز نصرا حازما على الموحدين بوادي نكورة(***) وهزم دول المغرب التي فر رجالها إلى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة، حتى سميت تلك السنة بعام المشعلة. وذلك في أواخر سنة 613هـ كما قلنا [3] فسيطر على كافة بوادي المغرب، وضيّق الخناق على الموحدين، ودخلت في طاعته القبائل البربرية، وبذلك علا صيته، وعظم سلطانه.

قامت الدولة منذ سنة(616هـ/1219م)، في عهد عثمان بن عبد الحق[4]. وفي ثاني محرم من سنة (668هـ/1269م)، استولى يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش(****)

(*) - زاب افريقية : يقع على أطراف الصحراء في اتجاه بلاد الجريد، وهو مكون من مجموعة مدن كثيرة، منها المسيلة، الطبنة، بسكرة، وتهودة، بينه وبين القيروان عشرة مراحل. أنظر: الحموي ياقوت، معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار الصادر للطباعة، بيروت، لبنان، 1995، الجزء الثالث، ص 124.

(**)- مقاطعة ومدينة في جنوب المغرب تسمى الآن تافلايت، وهي مدينة كثرت في المصادر التاريخية كونها منطقة عبور ومركز تجاري هام. أنظر :
- ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ترجمة محمد كمال شبان،الطبعة الأولى، مطبعة أقدال، المغرب ، 1977، ص 80، 81.

[1] - السلاوي ، المصدر السابق ، الجزء الثالث، ص 4 وما بعدها .أنظر:
- بن أبي زرع، المصدر السابق، ص 368، 369.

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق،الجزء السابع، ص 197- 200.

(***) - تمت المعركة بحفص الوادي ما بين رباط تازا والمقرمدة. أنظر:
- مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص 27.

[3] - السلاوي، المصدر السابق ،الجزء الثالث، ص 6 .

[4] - مؤلف مجهول، الذخيرة السنية... ، ص 25.أنظر كذلك:
- ابن أبي زرع،المصدر السابق، ص 377، 378.

(****)- مدينة تبعد عن الرباط بمسافة 326 كم ، عاصمة جنوب المغرب، أسسها يوسف بن تاشفين أعظم ملوك المرابطين عام (454هـ /1062م). انظر:
- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 77.

حاضرة الدولة وبسقوطها زالت الدولة الموحدية سنة (668هـ/1269م) وهو تاريخ قيام دولة بني مرين[1]، ثم سقطت بعدها مدينة سجلماسة سنة(673هـ/1274م) وتمت السيطرة على التجارة الصحراوية ولهذا حرص المرينيون على اقتحامها رغم أن الحصار استمر سنة بكاملها، ومنه نقول أن الحركة الزناتية رجحت كفة ميزان القوة العسكرية والاقتصادية لصالحهم، وبعد هذا الحادث تلقب يعقوب بلقب "أمير المسلمين" بدل لقب "الأمير" الذي كان يطلق عليه[2] .

وعليه ركزت على المحاور التجارية فوجهت لها الضربة القاسية وكان بذلك أن قضت على إحدى ركائز اقتصاد الدولة الموحدية مما أدى إلى انهيارها، *أنظر (الخريطة رقم4-5)* كما كان لفتح مراكش أهمية كبيرة بالنسبة للمرينيين لوجودهم في مركز قوة وبالتالي إلغاء التبعية للحفصيين.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتم إلغاء التبعية للخلافة الحفصية فقط بل وحتى للخلافة بالمشرق، والدليل على ذلك أن أبا يوسف يعقوب سنة (684هـ/1285م)، بمناسبة انتصاره على جيوش النصارى في الأندلس، أصدر ظهيرا بأن لا يلبس إلا البياض، واللون الأبيض اللذان كانا آنذاك يرمزان إلى شيئين، أولا التعبير على فرحة النصر، ثانيا الإفصاح عن الاستقلال عن الخلافة بالمشرق التي كانت تتخذ اللون الأسود شعاراً لها[3][*]

---

[1] - مؤلف مجهول، الخيرة السنية...، ص 35 . أنظر كذلك:
- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص400 .
- النويري ، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كتاب نهاية الأرب في الفنون والأدب، تحقيق مصطفى أبو ضياف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 453.

[2] - مؤلف مجهول،الذخيرة السنية... ، ص 134.أنظر كذلك:
- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 225.

[3] - د . صالح بن قربة،"الرايات والأعلام في التاريخ العسكري الإسلامي"، مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، الرباط، المغرب، العدد 370، السنة 43، أكتوبر، نوفمبر، دجنبر، 2002،ص 18.أنظر كذلك:
- عبد العزيز بن عبد الله، الجيش المغربي عبر العصور، سلسلة قسم الدراسات الدبلوماسية و القنصلية، وزارة العدل، الرباط، 1986، ص 79، 80.

[*] - هناك عادة عسكرية بدأ استعمالها منذ عهد المرينيين، كنشر رايات العدو منكسة في أعلى منار القرويين ، ومنار جامع الكتبيين بعد انتصار الجيش المغربي في عهد أبي يوسف المريني. لمزيد من الإطلاع أنظر كذلك:
- مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 174.

- عبد العزيز بن عبد الله،" القوام العسكري في الحضارة المغربية"، المناهل، تصدرها وزارة الثقافة بالرباط، العدد 12 ، السنة 5، يوليو 1978. ص 166.

ثم تابع يعقوب الاستيلاء على ما تبقى من الجهات خارجا عن نفوذه إلى أن اتسق له سائر المغرب الأقصى، بما في ذلك المغرب الشرقي والساقية الحمراء [1]، مع سبتة[*] التي أبقاها في ولاية العزفيين مقابل ضريبة سنوية للخزينة المغربية ، ثم اندمجت فيما بعد في حظيرة المغرب في أواخر عهد محمد أبي سعيد الأول سنة(728هـ/1327م)[2].

وقد قام بعدة أعمال جلـيلة وإصــلاحات عظـيمة من أجل رقي و تقدم بنــي مرين فكــانت له انتصارات مشهورة بالأندلس ضد المسحيين حتى أنه توفى بالجزيرة الخضراء، و هو مرابطا مجاهدا في سبيل الله سنة (685هـ/1286م). فارتقى إلى سدة الحكم و بعده ابنه الناصر يوسف بن يعقوب الذي استمر عهده من سنة (685هـ/1286م) إلى سنة (706هـ/1306م)[3]، فبمجرد استلامه مقاليد الحكم وجّه اهتمامه لأمور الدولة الداخلية و العلاقات الخارجية فقد وجّه همه من البداية للدفاع عن حوزة الإسلام في الأندلس، لكن بني الأحمر انتهجوا سياسة المراوغة و التقلب فيكونوا معه إذا خشوا أمره و ينقلبون عليه إذا أتتهم الفرصة، ففي عهده نظّم أمور الدولة و أكسبها رونق الحضارة و بهاء الملك، فاهتم ببناء المساجد و تشييد الحصون كوالده -رحمه الله- إلا أنه لم يوفق مثله في الإستلاء على تلمسان و قد كانت له عدة أعمال جليلة و مناقب عظيمة من أهمها إصداره المرسوم الرئاسي الذي يقضي بجعل المولد النبوي الشريف عيدا رسميا تحتفل به الدولة كل سنة، تعظيما و تشريفا لشأن صاحبه -عليه الصلاة و السلام- [4] سنة (691هـ/1291م) ، توفى سنة (706هـ/1306م) عند حصاره تلمسان على يد احد مماليكه.

---

[1] - مؤلف مجهول،الذخيرة السنية... ، ص 98. أنظر كذلك:
- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 445.

[*] – مدينة ساحلية من المدن المغربية الشمالية، وهي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق جبل طارق، تحيط بها الجبال من ناحية الجنوب، لها تاريخها على مر العصور الوسطى الإسلامية حيث كانت نقطة سياسية هامة، وتتبع حاليا إسبانيا أنظر :
- ابن الخطيب ،المصدر السابق، ص 71 – 72 .

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء السابع، ص 271.

[3] - نفسه، ص 249.

[4] – السلاوي، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص90.

و قد حدث انشقاق في صفوف بني مرين بعد وفاته على السلطة مما أدى إلى مقتل الكثير من أعيانه، ثم انتهت تلك الفتنة بالاتفاق على تعيين حفيده عامر بن عبد الله بن يوسف، و لم تـطل مدته في الحـكم فقد توفي هذا الأخير بضواحي طـنجة(*) في الثامن من شــهر صــفر سنة (708هـ/ 1308م)[1].

و نظرا لقصر عهده لم يقم بأعمال ذات أهمية تذكر فآل الأمر من بعده لأخيه أبي الربيع سليمان أبي عامر سنة (708هـ/1308م) إلى سنة (710هـ 1310م)[2]، و بعد تسلمه مقاليد الحكم استقرت الأوضاع بالبلاد. حاول استمالة قلوب الرعية إليه، ببذل المنح و العطايا و لكن إرضاء جميع الناس غاية لا تدرك ، و لم يوجد نظام في العالم إلا وله خصومه و معارضوه بإزاء المؤيدين و المناصرين، فقد وقعت في عهده عدة حوادث منها تلك الفتنة التي أثارها عثن بن أبي العلاء، و التي انتهت بإبعاده عن المغرب و توليه قيادة الغزاة بالأندلس[3].

و تحسنت العلاقات بينه و بين أبي الجيوش بن الأحمر على اثر إعادة سبتة إلى بني مرين ،و ازدادت متانة و رسوخا بعد المصاهرة بين أبي الربيع و بن الأحمر[4]. و اتسع مجال التعاون بينهما في شتى المجالات و استمر هذا التعاون و الترابط بينهما إلى أن وفاه الأجل سنة (710هـ/1310م).

وفي عهد أبي الربيع تطور شأن العمران و فن البناء بفاس و اتخذت مظاهر الحياة الاجتماعية شكلا راقيا بالعاصمة، و ندعُ ابن خلدون يصف لنا هذا التطور في السطور التالية: " و في أيامه تعالى الناس في أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينـار من الذهب... فتنـافس الناس في البناء فعالوا الصـروح و

(*) - إحدى المدن المغربية القديمة ، تقع على المحيط الأطلسي، بينها وبين أوروبا مسافة مضيق جبل طارق، تعتبر مركز تجاريا هام منذ عصر الفينيقيين. وصل إليها عقبة بن نافع وموسى بن نصير عام (62هـ/681) ومن يومها وطنجة عربية وإسلامية، وأصبحت تابعة لبلاد المغرب الأقصى عام 1956م، وهي من أجمل المدن المغربية. أنظر:
- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 72، 73.

(1) - ابن الأحمر، روضة النسرين ...، ص32.

(2) - نفسه، ص33.. أنظر كذلك:
- السلاوي، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص91.

(3) - السلاوي، المصدرنفسه ، الجزء الثالث ، ص97.

(4) - نفسه، ص93.

اتخذوا القصور المشيدة بالصخر و الرخام و زخرفوها بالزليج و النقوش و تنافسوا في لبس الحرير و ركوب الفاره و أكل الطيب و اقتناء الحلي من الذهب و الفضة و استبحر العمران و ظهرت الزينة و الترف" [1].

و بعد وفاة أبي الربيع تولى رئاسة الدولة عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، الذي يكنى بأبي السعيد سنة (710هـ/1310م) إلى سنة (731هـ/1330م)، فقد وجه همه لتقوية أسطوله حتى يواجه المسيحيين بالأندلس[2]، و قد استطاع عثمان أن يرد العدوان الصليبي عن غرناطة سنة (718هـ/1318م)، كما أراد أن يقتحم تلمسان سنة (714هـ/1314م)، لكنه لم يستطع، إلى هذا الملك يرجع بناء أربعة مدارس من بين المدارس السبع التي شيدها المرينيون بفاس، و في سنة (729هـ/1328م) و بعد انهزام أبا بكر بن أبي زكريا على يد أبي تشفين استولى الزيانيون على تونس، حتى هم أبو بكر أن يتوجه بنفسه لاستصراخ أبي سعيد، فبعث ابنه مكانه، إلا أن الحفصيين سرعان ما استعادوا عرشهم بينما كان أبو سعيد يزحف نحو تلمسان ليهاجم الزيانيين في عقر دارهم، و في هذه الأثناء خطب أبو سعيد ابنة الملك الحفصي فاطمة لولده أبي الحسن، و انعقدت المصاهرة سنة (731هـ/1331م)، وعندما وصلت العروس إلى مرسى غساسة[*] و تأكد أبو سعيد من استعادة أبي بكر لعرشه خرج نحو تازا[**] ليشرف على شؤون الزفاف بنفسه، لكنه هلك في الطريق سنة (731هـ)[3]، ولقد امتدت الدولة المرينية في عهده إلى الجنوب في معاقل الصحراء و قصور توات وتيكورارين وتمنطيط[***]. *(الخريطة رقم:2).*

---

[1] - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الطبعة الثانية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984، الجزء الثاني، ص33.

[2] - ابن الأحمر، روضة النسرين ... ، ص 103. أنظر كذلك:
- السلاوي ، المصدرالسابق ، الجزء الثالث ، ص 103.

[*] - مدينة موقعها غرب مدينة مليلية قرب مصب نهر ملوية بالبحر الأبيض المتوسط، يصفها ابن الخطيب بأنها كانت ممر للمهمات الصعبة والسرية.أنظر:
- ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 82.

[**] - مدينة تقع شرق فاس بنحو 120 كم تتمتع بموقع جغرافي هام، مما جعلها تتخذ عبر مر العصور قاعدة حربية هامة، تأسست في القرن الثامن ميلادي وتبعد بمسافة 280 كم عن وجدة .أنظر:
- ابن الخطيب ، نفسه، ص 82.

[3] - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء السابع، ص 296-301. أنظر كذلك:
- إبراهيم حركات.، المرجع السابق، ص 35.

[***] - مدينة تقع في الجنوب الجزائري بأدرار .

وبعد وفاة أبي سعيد، تولى رئاسة الدولة أمير المسلمين علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الذي يكنى بأبي الحسن ذلك من سنة(731هـ/1330م) إلى سنة (752هـ/1351م)[1]. فقد كان أكثر ملوك المرينيين شهرة، و أعظمهم أُبهة و أكثرهم بالمغربين و الأندلس أثارا، و كل من أرخ لهذا الزعيم و صفه بالتقوى، و العفة، و نبذ الراحة، و عدم ارتكاب المحرمات، و العدل بين الرعية، و حب العلماء، و الصالحين، و علو الهمة، وقوة الشكيمة، فقضى معظم حياته في الجهاد و الغزو و صد الأعداء، و كان رجل دين و دولة في آن واحد.

كان دائما سريع النجدة لمساعدة المسلمين في غرناطة، فعندما و فد عليه يوسف بن الأحمر طالبا منه العون العسكري مدّه بكل ما يحتاج إليه من العدة و العتاد، كما اقتحم بعسكره مدينة تلمسان عنوةً في شهر رمضان من سنة (737هـ/1336م) ، لتأديب أبي تاشفين على مضايقته أصهار أبي الحسن من بني حفص بتونس، و عندما ناهض عمر بن أبي بكر أخاه و لي العهد على الملك بعد وفاة السلطان أبي بكر الحفصي خاصة و قد سبق أن أعطى أبو الحسن خط يده بتولية أبي العباس. أجمع الـحركة إلى إفريـقية ووصل إلـيها سـنة (748هـ/1347م) . *(الخريطة رقم:3)* في عسـكر ضـخم شـاهده ابن خـلدون وهو ابن ستة عشرة سنة، ووصفه بقوله: " كان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ".[2] فهذا يدل على أن أبا الحسن المريني يمثل أكبر قوة حربية ضاربة بالمغرب العربي على ذلك العهد، فقد كان السلطان يستعرض جنده في رأس كل ثلاثة أشهر ليعرف الحاضر والغائب و العاجز ويجلس على علو. و يضع تحته الكتاب ، كما خصص للعسكر قطاعات وبلادا وإحسانا من رأس السنة إلى رأس السنة، وكان عندما يحدث حادث أو يطرأ طارئ يوجب إطلاع القوة المنبثة في سائر المراكز الحربية، فتوقد النيران من أسفي[*] فتتصل

---

(1) - ابن الأحمر ، روضة النسرين ... ، ص 35.

(2) - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، المجلد السابع، ص 320 .

(*) - مدينة على الساحل الأطلنطي بالمغربي، أسسها البرتغال، تعتبر من أهم مراسي الصيد في العالم، تبعد عن الدار البيضاء بمسافة 252 كم. أنظر:

- ابن الخطيب ،المصدر السابق ،ص 76، 77.

إلى إفريقية من الأبراج المعدة لذلك في أقرب وقت، في ليلة واحدة أي في مسافة تسير فيها القوافل نحو شهرين حسب ابن مرزوق[1].

وكانت وصيته تصل ملوك الأندلس المسلمة كلما جد أمر، إلى أن حلت نكبة طريف سنة (741هـ/1340م)، حيث تحطم أسطوله واستشهد ثلاثة من رجال دولته ووزرائه وأمراء قواته[2].

فعاد أبو الحسن إلى المغرب ليستجمع قواه ويواصل مسيراته في الجهاد والدفاع عن الإسلام، وكان يعلم أن الانتصار على العدو مرهون بتوحيد الصفوف، فقام بتوحيد أقطار المغرب العربي، تلمسان وتونس، ولذاك أصبحت الدولة المرينية من الحدود المصرية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، لكن دعاة الانفصال والثائرين من بني حفص لم يذعنوا للحكم المريني، فثاروا على أبي الحسن، وساعدهم على ذلك عرب سليم، فاضطربت أموره مما اضطره للخروج من تونس، واستخلف عليها ابنه أبا الفضل، وعيّن الشيخ أبا القاسم بن رضوان كاتبا له، وركب الأسطول متجها إلى تلمسان وأثناء تلك الرحلة لحقت بهم النكبة، فتضاربت الأخبار عنه وأشيع بنبأ هلاكه ومن معه في مياه بجاية، فبويع لابنه أبو عنان في تلمسان سنة(749هـ/1348م)[3]. وبعد أن تمت له البيعة عاد إلى فاس وخلف على تلمسان أميرا من بني عبد الواد، تابعا لبني مرين وفي تلك الأثناء ظهر أبو الحسن ناجيا مع قلة من أصحابه فسد أبو عنان الطرق أمام أبيه، ومنعه من العودة إلى ملكه، ودارت بينهما معارك يشعر الإنسان بالحزن والأسى عند الاطلاع عليها. فبدل أن توجه تلك القوة إلى مواقعها الطبيعية وُجهت إلى إثارة الفتن بين الابن وأبيه، والأخ وأخيه من أجل السلطة والمظاهر الزائفة، فتركوا اللب وتمسكوا بالقشور، فكانت النتيجة لذلك ضياع الأندلس منبع الإشعاع الفكري والتقدم الحضاري، وما أشبه الليلة بالبارحة، فهاهي المسرحيات تعيد نفسها والمشاهد عينها تتكرر في وقتنا الحاضر في كثير من الأقطار الإسلامية.

---

[1] - محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق د.ماريا خيوسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 398.

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق، الجزء السابع ، ص 210 - 211.أنظر كذلك:
- السلاوي، المصدر السابق،الجزء الثالث، ص 134إلى 138.
- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 43، 49.

[3] - السلاوي، المصدر نفسه، ص 162 – 163.

لقد توفى أبو الحسن إثر مرض ألم به سنة (752هـ/1351م) ترجمة جيل هنتاتة[*]، وقيل مات منتحرا[1] بعد أن خسر ملكه، وفقدت الدولة بموته وحدة المغرب الذي بذل الكثير من أجله وضحى بكل رخيص وغالٍ في سبيل توحيده. *أنظر (الخريطة رقم3)*

وبعد وفاة أبي الحسن استتب الأمر لابنه أبي عنان وخضعت جميع الأطراف لحكمه، وانتقلت إليه رئاسة الدولة سنة(752هـ/ 1351م) إلى سنة (759هـ/ 1357م)،[2] وكان قد بُويع له بتلمسان بعد خروج أبيه سنة (749هـ/1348م).

يمثل عصر أبي عنان فارس قمة الدولة وبداية تراجع الأحداث من بعده، حيث بلغت الدولة أوج عظمتها في حياة والده أبي الحسن وكان لابد للحوادث أن تبدأ بالهبوط ولكن أبا عنان دفع عجلة التقدم فلم يبدأ التدهور إلا بعد وفاته .[3]

فقد اكتسب مكانة عالية في قومه وعشيرته لِمَا امتاز به عن بقية أخوته من فضل العفاف والعلم، والتمسك بالخصال الحميدة، فكان فقيها حافظا للقرآن الكريم عالما بناسخه ومنسوخه، كاتبا بليغا، و شاعرا مجيدا فمن شعره قوله :

وإذا تصدر للرئاسة خامل   جرت الأمور على الطريق الأعوج[4]

ولم يلقب من ملوك المرينيين (بأمير المؤمنين) غير أبي عنان[5] . فقام بعدة محاولات لتوحيد المغرب، فاستعاد تلمسان من بني عبد الواد، ثم دخلت بجاية وقسنطينة[6] في طاعته صلحا، و في سنة (758هـ/1356م) تم له الاستيلاء على تونس، إثر الهزة التي تعرضت لها العلاقة بين الخليفة العباس المتوكل الحفصي، والسلطان أبي

---

[*] - اسم يطلق على جبل من جبال الأطلس، كما يطلق على قبيلة تقيم فيه.
[1] - إبراهيم حركات،المرجع السابق ، الجزء الثاني، ص 43.
[2] - عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق، الجزء السابع، ص 331.
[3] - نفسه. 339- 341 .أنظر كذلك:
- السلاوي،المصدر السابق، الجزء الثالث، ص 173 – 174.
[4] - إسماعيل عثمان عثمان، تاريخ شالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، لبنان 1975 ،ص 296.
- ابن رضوان المالقي، المصدر السابق، ص 103.
[5] - إسماعيل عثمان عثمان، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993الجزء الرابع، ص 67.
[6] - ابن الحاج النميري،فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1990، ص 149.

عنـــان المريـني بعد رفض ابنة أبي بكر الخليفة الحفصي السابق الزواج من ملك المغرب السلطان أبي عنان فقد كان أسرع إلى استعادة تونس خلافا لأبيه[1].

هذا فقد شهدت بلاد المغرب في فترة حكمه ازدهارا حضاريا، وحركة عمرانية واسعة كما تحسنت العلاقة بينه وبين بني الأحمر في عهد السلـطان أبي الحجاج يوسـف، وابنه الغني بالله ، ولكنها لم تسلم من شوائب التوتر في بعض الأحيان، هذا فيما يخص علاقته الخارجية أما الناحية الداخلية ، فقد تعرضت البلاد إلى عدة فتن وثورات، فمن ذلك ثورة أهل بجاية التي قاموا بها على عمر بن علي الوطاسي سنة (753هـ/1352م) ، وخروج أخيه أبي الفضل عليه بتحريض من أبي الحجاج يوسف النصاري وقد كان هذا سببا في تكدير صفو العلاقات بينهما. لكنه تغلب على كل هذه الفتن وقضى عليها في حينها و حفظ للبلاد وحدتها.[2]

وبانتهاء دولته بدأ الضعف والمرض ينخر كيان الدولة المرينية بسبب تسلط الوزراء والحجاب على الرؤساء ، مستغلين ضعفهم وعجزهم فأصبحت الدولة تسير على حسب هواهم، وباختفاء أبي عنان عن المسرح السياسي (759هـ/1357م)[3] ، فلم يوجد في تاريـخ اللاحقـين له من زعمـاء بني مرين سوى المـنازعات والانقـلابات التي لم تنـته إلا بانتهاء دولـتهم، فعيّن ابنه "أبا بكر السعيد" واستمرت دولته من سنة (759هـ/1357م) إلى (760هـ/1358م) ومع بداية عهده بدأت المنازعات والانقسامات في صفوف بني مرين،

(1) - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء السابع، ص 343 إلى 346. أنظر كذلك:

- السلاوي، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص 201 – 203 .

(2) - علي حامد الحاجي ، المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1986، ص 97، 98.

(3) - لمزيد من الإطلاع على سيرة أبي عنان أنظر:- علي حامد حاجي، المرجع نفسه. أنظر كذلك:

- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، الجزء الرابع، ص 192، 206، تحقيق : عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997.

و بعده سلمت مقاليد الحكم بالترتيب التالي[1][*].

ذكرت قبل قليل ما أصاب الجهاد المقدس بأرض الأندلس من نكبة كبرى على اثر هزيمة طريف التي محص الله فيها المسلمين سنة (741هـ/1340م). وإذا أضفنا إلى تلك النكبة الكارثية ما أصاب أسطول المرينيين في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، فلهذا وذاك توقفت محاولات المرينيين في استعادة مجد الدولة الموحدية سواء بالمغرب الإسلامي ذاته أو بأرض الأندلس ، ذلك التوقف الذي صادف في نفس الوقت مدا كبيرا وتفوقا ملحوظا في القوى العسكرية والبحرية للبرتغال والأسبان ، بالإضافة إلى الوباء الذي أصاب المغرب وخرب أمصاره وأفقر دياره.

فبدأ ضعف الدولة المرينية إذا واعتلى عرشها سلسلة من الملوك الصغار استبد بهم الوزراء، وتدخل أصحاب غرناطة في السياسة الداخلية، وإستولوا على جبل طارق ومحو دعوة المرينيين فيما وراء المضيق.[2] وهناك أسباب وعوامل أخرى أدت إلى ضعف الدولة المرينية وسقوطها، لعل هذا التقديم التاريخي سيساعد على فهم طبيعة العمارة العسكرية التي شيدها المرينيون في كل من المغربين الأقصى و الأوسط، وهذا ما سنبحثه في الصفحات التالية.

---

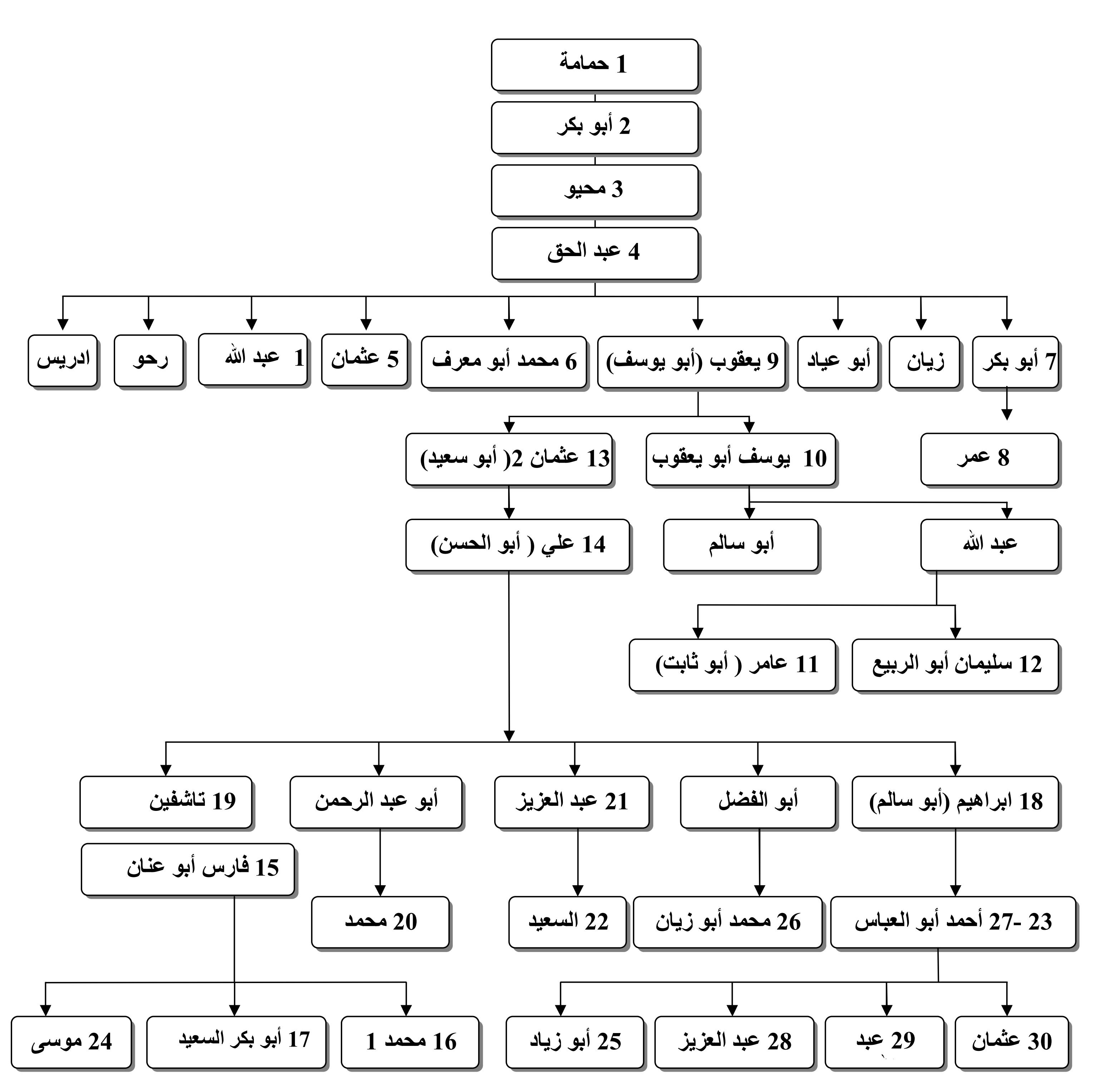
(1) - عبد الرحمن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزء الثاني، ص 98 وما بعدها.

(*) - عهد ابنه محمد بن أمير المؤمنين أبي عنان 759هـ/1358م

- أبي بكر السعيد بن أبي عنان 759 – 760هـ/1358-1359م
- عهد إبراهيم بن أبي الحسن ، يكنى أبي سالم 760-762هـ/1359-1361م.
- تاشفين ابن أبي الحسن يكنى أبا عامر من 762-763هـ/1361-1362م.
- المتوكل على الله محمد بن يعقوب بن أبي الحسن يكنى أبا زيان من 763-767هـ/1362-1366م
- عبد العزيز ابن أبي الحسن يكنى أبا فارس من 767-774هـ/1366-1373م.
- المستنصر بالله أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن يكنى أبا العباس 776-786هـ/1374-1384م.
- المستنصر بالله محمد بن أحمد يكنى أبا زيان 788-788هـ/1386-1386م .
- الواثق بالله محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن يكنى أبو زيان 788-789هـ/1386-1387م.
- أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن 789-796هـ/1387-1393م.
- دولة المستنصر بالله عبد العزيز بن أحمد بن أبي سالم يكنى أبا فارس 796 – 799هـ/1393-1396م.
- المستنصر بالله عبد الله بن أحمد بن أبي سالم يكنى أبا عامر 799-800هـ/1396-1397م.
- عثمان بن أحمد ابن أبي سالم يكنى أبي سعيد 800-823هـ1397-1420م.
- عبد الحق بن أبي السعيد 823- 869هـ/1420-1464م.

(2) - إبراهيم حركات، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 65-68.

دولة بني مرين ومؤسسها الحقيقي عبد الحق بنو محيو بن أبي بدار بن حمامة بن وزير بن جيوش بن جرماط بن مرين



جدول رقم(1) : ملوك بنى مرين بالمغرب الأقصى

(عن: إسماعيل عثمان عثمان)

-ثانيا: العمران و التحصينات العسكرية

1 – التحصينات العسكرية في المدينة الإسلامية:

إن فكرة تحصين المدن فكرة قديمة، وعكست نشأة المدينة أهمية التحصين لحماية وجودها وتنمية عمرانها، وهو هاجس السلطة التي تحرص قبل كل شيء على كيان الدولة والأجهزة الحاكمة. وعليه يمثل الأمن(*) والأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر ويعكس ذلك بوضوح دعوة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[1]، فسبق الدعاء بالأمان الدعوة بطلب الرزق سبقا يؤكد هذه الأهمية، وعكس نشأة المدينة أهمية التحصين لحماية وجودها وتنمية عمرانها وأيما كانت أسباب النشأة[2].

انطلاقا من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة، أعتبر السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن ، وأعتبر الإسلام بناء الأبراج والأسوار والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الإسلام، ومن هنا صنّفها الفقهاء تصنيفا يضعها في إعداد البناء الواجب، وقد حثّ الدين الإسلامي المسلمون على القوة والاستعداد لمواجهة الأعداء ولبى المسلمون هذه الدعوة سواء في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم- أو من بعده وعلى سبيل المثال نذكر هنا غزوة الخندق[3]، وكانت تقاس حضارة المدن في الماضي بقدرتها على إتقان التحصينات المختلفة.

(*) - **مصطلح الأمن** : الأمن ضد الخوف وهو عدم توقع مكربة في الزمن الآتي وعرفه الراغب في مفرداته بأنه " طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والأمان في الأصل المصادر – أنظر: - د . محفوظ ولد بيه عبد الله، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام ، الطبعة الأولى، الرياض ، 1999، ص 23،19.أنظر كذلك:
- إبراهيم حركات، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ،إفريقيا الشرق، بيروت لبنان، 1998، ص 259، 266.

(1) - الآية 126 من سورة البقرة.

(2) - محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة كتاب الثقافة، الكويت، 1988، ص 135.

(3) - يحيى حسن وزيري،"العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة"، مجلة عالم البناء، تصدر عن جمعية إحياء التراث التخطيطي و المعماري، العدد 62 ، أكتوبر ، 1985، ص 17.

ويبدأ تحصين المدينة باختيار الموقع الذي اشترط المفكرون المسلمون فيه أن يكون حصينا بطبيعته، كأن يكون على هضبة متوعرة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر حتى لا يصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة ، وهذا ما ذهب إليه كل من ابن خلدون و ابن مرزوق[1]، لذلك كان اختيار مواقع المدن في أماكن محصنة طبيعيا، عادة في أماكن مرتفعة ، ليساعد على سهولة الدفاع عن المدينة ، لكن ذلك لا يمنع من إقامة الأسوار حولها لتحقيق هذه الغاية تحقيقا سليما في ضوء الأساليب الدفاعية والهجومية ، و آلات الحصار المستخدمة في العصور المختلفة، حيث أن تخطيط الأسوار والقلاع والحصون والأبراج وتطوير هذا التخطيط من فترة إلى أخرى كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بتطوير وسائل الدفاع والهجوم وأساليبهما .[2]

هذا و تعتبر الأسوار والخنادق والأبواب من الخصائص العسكرية البارزة في مدينة العصر الوسيط عموما،إن طغيان هذه الجوانب الدفاعية في المدينة دفع البعض إلى نعتها كأنها في حالة دائمة من المواجهة، وهي مستعدة على الدوام للدفاع[3]، وتتضح الأهمية القصوى للأسوار في الحياة العسكرية للمدينة الإسلامية المغربية في وقت الحروب والهجمات الخارجية ، وإبان الصراعات المحلية على السلطة، ولذلك تعتمد السلطة السياسية القائمة على بنائها أو ترميمها قبل الانصراف إلى الاهتمام بالمؤسسات الدينية نفسها ، وقد يتأكد هذا التوجه من خلال ما نتحدث عنه عن أسوار فاس الجديد، والمنصورة بتلمسان[4].

وفي هذه الدراسة نتعرض للوسائل الدفاعية التي استخدمها المسلمون والمرينيون بالخصوص، لتحصين مدنهم إلى جانب توضيح بعض الابتكارات المعمارية الإسلامية

---

(1) - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 136 .أنظر كذلك:
- عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات. المدينة في العصر الوسيط، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1994، ص 15.

(2) - محمد عبد الستار عثمان، المرجع نفسه، ص 136.

(3) -J. HERRO, La ville au Moyen Age en occident. Paysages Pouvoir et Conflits, Paris, 1990, p 322.

(4) - PH. GOURDIN , Les Fortifications du Maghreb d'après les Sources écrites, La . vision d'Ibn khaldoune, Sites et Monuments disparus d'après les Témoignages des voyageurs, Textes Disparus d'après les témoignages des Yvette, Edition Réunis, PAR RIKA GYSE Leu Bures, sur Civilisation du Moyen Orient, 1996, p 27.

الحربية، والتي لم تكن معروفة وهذه الوسائل انحصرت في مباني الأسوار والأبراج والأبواب والمداخل و الخنادق وغيرها من الوسائل التي توظف لهذا الشأن.

أ – تـــــعريف التحصـــــينات :

– لـــــغةً :

التحصينات مفرد حصن ، وهو كل مكان منيع لا يوصل إلى ما في جوفه ، احتضنت القرية إذا بنيت حولها، وحصنت المرأة حصنها إذا عفت عن الزنا وقيل العرب حصونها ، وقد سميت العرب حصنا[1].

– اصـــطـــلاحا[2] :

هي عبارة عن مجموعة من المنشآت والموانع والستائر تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات المعادية ، وهناك نوعان من التحصينات: - أولا التحصينات الدائمة أو الثابتة وغالبا ما تبنى في وقت السلم وتتمثل في الأسوار والمداخل والأبراج والمزاغل[*] والممرات الخارجية والخنادق . - ثانيا التحصينات الميدانية ، فتقام حين يكون هناك اشتباك مع القوات المعادية أو حين يكون توقع وجود اشتباك، وهناك سببان رئيسيان لإقامة التحصينات هما:

1 – الاستفادة من قوة الوحدة المتمركزة في الموقع المحصن إلى أقصى حد ممكن.

2 – منع العدو من الاستفادة من إمكاناته لإحراز أي تفوق.

---

(1) - ابن منظور، لسان العرب، علق عليه، ووضع حواشيه علي شيري، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث الغربي للنشر والتوزيع، 1988 ، الجزء الثالث، ص 209، 208 ،210. أنظر كذلك:
- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسطنبول، تركيا،المجلد الأول، 1985، ص 180 .
- على نصير دكار،"المعان اللغوية لبدة حصن وأحواضها" ، مجلة الإنباء، العدد 11 ،1991 ، ص 17.

(2) - الهيثم مقدم الأيوبي، موضوع التحصينات، الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، مطبعة المتوسط . المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1977 ، الجزء الأول ص 256- 257 .أنظر كذلك:
- H . TERRASSE, « HISN », Encyclopédie de l'Islam , Nouvelle Edition, T 3, Leyde E.J. Brille, G-P, Maisonneuve et La Rose SA, Paris, 1975, p 515.

(*) - **مزغل (Arrow slits):** فتحة ضيقة في سور المدينة أو القلعة أ و الحصن أو البرج أو البوابة، تطلق منها الرماح والسهام وغيرها من المقذوفات على المهاجمين، كما تستخدم أيضا للتهوية والإضاءة والمراقبة، فهي ضيقة من الخارج و متسعة من الداخل . أنظر:
- د . عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة المدبولي، القاهرة، 2000، ص 277.

- ويكون الحصن على نوعين إما متصل على هيئة برج أو سور في قلعة أو مدينة أو قصر أو منفصلا بحيث يكون عبارة عن بقايا على الثغور والمواقع الإستراتيجية وطرق القوافل[1][*].

ب – الأســــــــــوار:

السور هو نوع من التحصينات الدفاعية يلي الخندق ، يأخذ شكل حاجز ترابي أو خشبي أو حجري يحيط بالمدينة أو القلعة أو يمتد على حدود الدولة . وتعتبر الأسوار من أهم التحصينات الحربية سواء على مستوى المدن أو العمائر فهي تعتبر خط الدفاع الأول[2] .

جمعه أســوار وســيران والسور بالضم حائط المــدينة المشــتمل عليها ، قال تعالى " فضربنا عليهم بسور له باب "[3]، والسور هو الحائط الضخم في العرض و الارتفاع وقد ذكره ابن الرامي في إطار تحصين المستوطن من العدو واللصوص، وذكره من بين المنشآت الحربية التي تنشأ لهذا الغرض[4]، وقد اهتم الإنسان بإحاطة منشآته ومدنه بأسوار منذ القدم، عند البابلين والرومان والبزنطيين، ولما بنى المسلمون أول مدنهم لم يحيطوها بأسوار كمدينة البصرة والكوفة والفسطاط[5]. و السور عند العرب حائط المدينة، وهو أشرف الحيطان[6]، إذ أنه يحمي المدافعين ويخفف قوة صدمة الخصم

(1) -عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى ،الطبعة جرس برس، بيروت، 1988، ص 133.

(*) - لمعرفة أكثر حول موضوع التحصينات بالمغرب الإسلامي أنظر: إبراهيم زكي خو رشيد والآخرون، "الحصن"، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1996، ص 398-3998.

(2) - د. الأيوبي مقدم هيثم، مقال الأسوار،الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1990 ،الجزء الرابع ص 458.أنظر كذلك:
- A. NORTHEDGE , « SUR », Encyclopédie de l'islam , Nouvelle Edition, T 9, Leiden, Brill, 1998, p 917.

(3) - الآية 3 من سورة الحديد.

(4) - ابن الرامي ، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، الطبعة الأولى ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002 ، ص 193.

(5) - بطرس البستاني، دائرة المعارف، قاموس عام لكل عام ومطلب ، دار المعرفة، بيروت، لبنان1983، المجلد السابع ، ص 91.

(6) - ابن منظور، المصدر السابق، الجزء السادس، ص 427.

المهاجم، والحد من قدرته الحركية، كما أُستخدم السور للتحكم في عملية الدخول إلى الموقع أو المدينة .

لقد عُرف السور منذ القدم بشكله الميداني والثابت أو الدائم،[1] وكان السور الميداني يقام على عجل في زمن الحرب، أما الأسوار الثابتة فكانت تقام في زمن السلم وهي أقوي من الأسوار الميدانية وأكثر منها إتقانا، وقدرتها على تلبية مستلزمات المعركة[2] لذلك اهتم المسلمون بإحاطة مدنهم بالأسوار المنيعة لتكون درعا واقيا لهذه المدن .

لقد أخذت الأسوار عبر التاريخ أشكالا مختلفة منها المستطيلة والبيضاوية، فقد اتخذت في مصر والشام شكلا منتظما بينما تتعرج و تتثنى في المغرب والأندلس[3]، *أنظر (مخطط رقم:4/ شكل رقم:2-5)* وهذا التعرج من شأنه أن يزيد من مناعة المدينة ذلك نجد أنهم عمدوا إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة منكسرة وميزة هذا النظام أن يترك الجند أعدائهم يتقدمون داخل إحدى الزوايا ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا وقد كان هذا الابتكار في عهد المرابطين[4].

بهذه المواصفات أصبح السور خطا دفاعيا متكاملا، وحتى يستطيع هذا الخط الدفاعي أن يحقق مهمته بكفاءة كان لابد من سهولة تزويده بما يحتاج إليه من العتاد، وتقوية بعض نقاطه على مساحات مختلفة بأبراج.*أنظر (شكل رقم2)* وكان لابد من سهولة الاتصال بين الجند المدافعين عنه وتنظيم العمل بينهم بالصورة المطلوبة وهو أمر استدعى أن يخطط السور بمواصفات وقياسات دقيقة تفي بهذه المتطلبات، وقد انعكست هذه الأمور على العمارة وطريقة إنشاء الأسوار بما اشتملت عليه من عناصر معمارية مختلفة.

---

[1] - يحي وزيري، العمارة الإسلامية الحربية ...، ص 17.

[2] - د. مقدم هيثم الأيوبي، مقال السور ... ، ص 259.

[3] - يحي وزيري، المرجع نفسه، ص 19.

[4] - د. عبد العزيزالسيد سالم ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، القسم الثاني ، ص599. أنظر كذلك:

- C. MAITROT , « Les fortifications Nord Africaine » Les archives Berbers, publication Bibl du comité d'étude Berbers de Rabat, . n° 3, Année 1915 et 1916, p 180.

ويتألف السور في أعلاه من درب يسير عليه المحاربون ويطلق عليه المؤرخون ممشى السور، *(شكل رقم:3-4)* وشرفات يقذفون منها سهامهم، وذروات يحتمون خلفها والذر وات كتل قائمة تنتهي بشكل مخروطي ، ويتخلل جسم الذروة فتحات، تساعد المحارب إلى النظر على الأسفل دون أن تصيبيه أسهم الأعداء، كما تدعمه أبراج مختلفة الأشكال. *(صورة رقم17-27)*

فهناك مدن إسلامية كثيرة تقدم لنا أمثال رائعة في هذا المجال وتؤكد على حرص المسلمين بهذا الجانب ومدى تفوقهم فيه، ومن الأمثلة على ذلك مدينة واسط وبغداد[1] ومدينة القاهرة[2]، و قلعة بني حماد، وتلمسان، والرباط ، وفاس[*]، وبالتالي اعتبرت الأسوار معيار حضاري[3] واهم البنايات الحربية التي ميزت المدن الإسلامية ، وقد ذكره ابن الرامي في إطار تحصين المستوطن من العدو و اللصوص و أشار ضمنيا إلى أن هذه الأسوار كان الأهالي المستوطنون يتعاونون في بنائها ، على نفقاتهم وكانت النفقة توزع بينهم وقف نظام معين يرتضونه[4].

جــ – الأبـــــــواب

الأبواب مفرد باب، وهو المدخل[*] في سور المدينة، أو واجهة مسجد، أو جدار بيت، أو بين الغرف ، وقد يكون بمصراع واحد،أو اثنين أو أكثر ، وقد برع المسلمون فيها[5]، فهي غالبا توجد بالأسوار الخارجية للمدن قديما ، وللمباني حديثا على هيأة مباني، والأبواب غالبا ما تكون مصنوعة من الحديد والخشب، أو على هيأة مظلات، وبها غرف للأمن والمراقبة.

---

(1) ـ عبد الحليم السوداني، "أسوار بغداد"، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد 4، 1979. ص42-56.
(2) ـ حسين باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1979، ص55 .
(*) ـ لوحظ هذا أثناء الدراسة الميدانية في مدن الجزائر و مدن المغرب الأقصى.
(3) ـ يحيى وزيري، المرجع السابق، ص 18 . أنظر كذلك:
ـ عبد الستار عثمان، المرجع السابق ، ص 138 .
ـ القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار الصادر، بيروت، 1980، ص 7- 8.
(4) ـ ابن الرامي، المصدر السابق، ص193.
(*) ـ هو عنصر معماري يطلق على الفتحة الذي يدخل منه إلى المنزل أو القصر أو المدينة، أنظر كذلك:
ـ رزقي محمد عاصم ، المرجع السابق، ص 266-267.
(5) ـ يحي وزيري، مقال الباب ، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، المجلد الأول، ص 11.

فقد تكلم عن أهميتها عدد كبير من المؤرخين والجغرافيين منهم القزويني ، الذي جعل تتعدد فتح الأبواب ضرورة حتى لا يتزاحم الناس في الدخول والخروج من باب واحد، بل يدخل المرء و يخرج من أقرب الأبواب إليه[1].

هذا و تعتبر الأبواب والمداخل في أسوار المدن و العمائر المختلفة خاصة الحربية منها، أضعف النقاط في المبنى حيث يمكن اقتحام المبنى، أو المدينة منها، وقد انتبه المهندسون المسلمون لذلك فاهتموا بتحصينها بأساليب و ابتكارات معمارية مختلفة ، ولعل أهم ابتكار معماري هو استخدام المداخل المنكسرة والتي أطلق عليها المؤرخون العرب اسم " الباشورة "[2] .

فالمدخل المنكسر يعوق هجوم الفرسان ويمنع دخولهم بسهولة في اندفاعهم مرة واحدة، على عكس النظام البيزنطي في بناء الأبواب التي هي عقدان متقابلان أحدهم ينفتح إلى الداخل والآخر إلى الخارج.

وقد ابتكر المرابطون هذا النظام في بناء الأبواب هو ما يعرف باسم (الأبواب المنثنية أو المرفقية) ، ومن هذا النظام إذ أنشئوا أبوابا مرافقها مزدوجة، ولم يسقفوا هذه الممرات حتى يتيحوا الفرصة للجند بالإشراف من أعلى على المهاجمين، وقذفهم بالنبال والنار الإفريقية، كما ونعني بذلك أن الممر الواصل بين فتحتي الباب ينحني بزاوية قائمة في شكل المرفق، وتمتاز هذه الأبواب بوضع عقبات أمام المهاجمين بتلك الانحناءات، وقد عقّد الموحدون كانت تحتضن برجين بارزين في العادة بروزا قويا ويزخرف قوس البوابة كتفاها وهيكله بثروة من الزخارف قوامها حجر منحوت[3]. ومن أروع الأمثلة الباقية

---

(1) - القزويني ، المصدر السابق، ص 8.

(2) - يحيى وزيري، العمارةالحربية...، ص 19.

- A. BAUSANNI , « BAB », Encyclopédie de l'islam, Nouvelle Edition, T 1, Edition G-P , Maisonneuve et Larose , S.A. Paris, 1975, P 853

(3) - د عبد العزيزالسيد سالم، بحوث إسلامية ...، القسم الثاني، ص 604. ولمزيد من الإطلاع أنظر:

- بيج بريتون، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب، بيروت، 1981، ص 46-47 .
- يحيى وزيري، المرجع نفسه، ص 19.
- عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 144.

- G. MARÇAIS, L'Architecture Musulmane D'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1954.
-P. CRESSIE, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie», Archéologie Islamique ,n°5, 1995, P 177-178.

" باب أغناو" بسور مراكش سنة(541هـ/558هـ/1146-1162م)، وباب الرواح بسور الرباط الفاتح الذي يلتوي الطريق بمدخله إلتواءات أربعة، وباب قصبة رباط الفتح سنة(558هـ/595هـ/1162-1198م)، وأبواب فاس منها باب السمارين وباب السبع، وباب أقدال[1]. *(مخطط رقم:5)*

د – الأبـــــراج :

البرج هو عنصر معماري حربي، و هو الجزء القوى من التحصينات المعد للدفاع و لتنفيذ الرمايات، ولقد وجدت الأبراج على مقدمة من مجنبات التحصينات والأسوار منذ العصور القديمة، و هي تعد من الأبنية الدفاعية التدعيمية التي أقامها المسلمون منذ العصور الأولى التي تلت الفتح حرصا منهم على أمنهم [2].

والبرج هو المبنى العالي الذي يشرف على أكبر مساحة ممكنة لاستطلاع العدو، وإرسال إشارة ضوئية، ويستخدم كما قلنا للدفاع ، ويشكل عنصرا دفاعيا ملحقا بسور المدينة و القلعة أو القصبة و غيرها، وأحيانا يكون منفصلا[3]، ويتفق ذلك والمعنى اللغوي الذي ذكره كل من الجوهري[4] و ابن منظور من أن الأبراج جمع برج وهي البيوت التي تبنـى على نواحي أركـان القصـر، والبرج المحـصن ركنه وربما سمي الحصـن به، وقيل للبروج، بروج لظهورها، وبيانها، وارتفاعها[5]، وعرّفه إبراهيم أنيـس في معجمه" البرج هو المحصن ، بيت يبنى عليه سور المدينة وسور الحصن".[6]

(1) أنظر: - H. TERRASSE, « Une Porte Mérinide Fes Jdid », Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, T VI, 1947, 62.
- E.PAUTY, Rapport sur la Défense des Villes et la Restauration des Monuments Historique, Actes du 3 ème Congrès de l'Institut des Hautes - Etudes Marocaines, 1922.P 449,453.

(2) - حسين أحمد الخرخوري، الأبراج تراث وتاريخ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ص 12.

(3) - نفسه. ص 12.

(4) - الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1399هـ، الجزء الأول ، ص299 .

(5) - ابن منظور، المصدر السابق، الجزء الأول ، ص 360، 359.
- G.S .COLIN, « BURDJ » , Encyclopédie, de l'Islam , Nouvelle Edition, T 1, G,P Maisonneuve et La Rose, Edition S.A. Paris, 1975, P, 1355.

(6) - إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط. .. ، الجزء الأول، ص47.

يقال أن كلمة برج مأخوذة من كلمة "Burgus" بالسريانية ومعناها الحصن[1]، وقد أشار ابن الرامي إلى مدلولات أخرى مهمة للمصطلح ، فقد أطلق مصطلح البرج على الدعامة الساندة"Buttress" التي تبنى مع الجدران بارزة عنها لدعمها، كما أشار إلى إنشاء، الأبراج في الجنات لكي تستخدم كأماكن للراحة، والتمتع بجمال هذه الجنات، والبساتين، ومنها ما طوِّر واستخدم كموضع للسكنى[2].

تعتبر الأبراج من الأجزاء الأساسية المكونة للسور وهي تعطي شكلا مسننا تكثر فيه الزوايا و الانكسارات، هذا من أجل زيادة فعاليتها من الناحية الدفاعية. وهناك من الأبراج من يكون منفصلا عن السور، حيث يوظف في أعمال دفاعية مستقلة بذاتها، كأبراج المراقبة، و أبراج الإشارة. و مع تطور المدفعية، و الأفكار الحربية فقدت نوع من الأهمية إلا أنها بقيت محافظة على الدور الأساسي الذي أنشأت من أجله حيث أصبحت أقل ارتفاعا وبروزا عما كانت عليه من قبل[3].

وتزوّد هذه الأبراج عادةً بغرف علوية صغيرة لقذف النار، كما تزود بمزاغل رأسية لرمي السهام، و مزاغل أفقية لصب السوائل المحروقة، و قد استخدمت الأبراج كناحية جمالية، و لذلك استعملت في كثيرا من المباني المدنية و الدينية، و تتخذ الأبراج أشكال كثيرة، فمننها المربعة، و المستديرة، و المثمنة، و المسدسة، و متعددة الأضلاع، لكن البرج المثمن يعتبر أكفأ من المربع في أداء مهامه الدفاعية، على أن البرج المستدير في الواقع هو أفضل الأبراج لاستدارته، وسهولة الانتقال في أجزائه.يتألف البرج عادة من نصفين نصف سفلي مصمت صلب، و نصف علوي به وسائل الدفاع المختلفة من غرف القذف بالنار، و مزاغل رأسية لرمى السهام، و أفقية لصب السوائل المحروقة[4].

ويعود بناء الأبراج إلى عهود سابقة للإسلام في حضارة واد الرافدين، و مصر الفرعونية، والرومان، والبيزنطيين[5] و منهم انتقلت إلى المسلمين حيث أحاط بها الأمويون قصورهم ببادية الشام كقصر المشتى (125هـ /126هـ/ 742م/743م)،

---

(1) - ابن الرامي، المصدر السابق، ص 143.
(2) - نفسه ، ص143.
(3) - بيج بيرتون، المرجع السابق، ص 15.
(4) - يحيى وزيري ، العمارةالحربية...، ص 19.
(5) - د. الأيوبي مقدم هيثم والآخرون، مقال البرج ...، الجزء الأول، ص176.

والطوبة (126هـ/743م)، والحير الغربي، والحير الشرقي ، ومن بعدهم العباسيون في قصر الأخيضر بسامراء[1]، كما شيد الفاطميون مجموعة من الأبراج بالقاهرة[2]، والأيوبيون ، أما في المغرب كانت بداية بناء الأبراج مع الأغالبة في رباط سوسة والمنستير[3] ، والزيريين في أشير، والحماديين في قلعتهم بالمسيلة ، كما بنى الموحدون مجموعة من الأبراج في مدينة الرباط ومراكش، والزيانيين والمرينيين في تلمسان وفاس.[4] وقد احتـفظ في تحصــيناته بضــخامة الهيــكل ومتـــانة الـمادة كما في العهد الموحدي[5] ونلاحظ أن البرج في هندسته الأندلسية قد أثر في تصميمات البرج المغربي منذ عهد المرابطين[6].

– البـــــرج المـــــربع :

كان يقوم بين مسافة و أخرى من السور وهو أكثر ارتفاع منها، بحيث تبرز إلى الخارج كما هو الحال في أبراج المنصورة و فاس الجديد. ***(مخطط رقم:5-9/ شكل رقم:2-5-6-أ / صورة رقم:12-13-14-47)***

ويتألف البرج من نصفين، نصف أدنى مصمت، و نصف أعلى تشغله غرفة تعلوه في بعض الأحيان غرف أخرى أُعدت للدفاع، و فُتحت فيها منافذ لرمي السهام، و يغطي الغرفة في أغلب الأحيان قبوات نصف كروية .

وكثيرا ما يمر الدرب في داخل البرج فيصبح ممرا تغطيه قبوات متعارضة ملتصقة يرتقى الراقون درجا في داخل البرج يفضي إلى أعلى بحيث يشرف على الأسوار جمعيها، و يدور بأعلى البرج شرفات وذراوي هرمية الشكل[7]. ***(شكل رقم:3-4-6 /صورة رقم:10-27-45-31)***

---

(1) ـ فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، دار التأليف والنشر، الهيئة المصرية العامة، 1970، المجلد الأول، ص 518.

(2) ـ غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص79.

(3) ـ حسن باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار البهجة العربية، 1979، ص 73.

(4) G. MARÇAIS. Manuel d'Art musulman , Imprimer de Presse Universitaires de France , 1962, T 1, p 47 – 50.

(5) ـ عبد العزيز بن عبد الله ، الجيش المغربي عبر ...، ص 62.

(6) ـ نفسة، ص 62.

(7) ـ عبد العزيزالسيد سالم ، بحوث إسلامية... ، القسم الثاني، 599، 600.

– البـــــرج المضـــــــلع :

الأبراج المضلعة، و خاصة النوع السداسي ومن ذلك حصن سيزيك بآسيا الصغرى، و حصن سن البرج في شمال إفريقيا.

ليس البرج المضلع أو كثير الأضلاع ابتكار إسلاميا، إذ انه يرجع إلى تقالـيد فنية قديـمة[1]، و قد عرفت العمارة الرومانــية، و الـبيزنـطية الأبراج هذا و قد تأثر المرابطون والموحدون بصفة خاصـــة بالعـمارة البيزنـطية فشـيدوا أبراجا خماسية و سداسية الشكل *(مخطط رقم:12)* كالبرج المسدس المنعزل في حصن العقاب بالقرب من جيان، و البرج المطل على قنطرة القاضي بغرناطة، و قد استعمل الموحدون البرج المثمن على النحو المنتظم في بناء أبراجهم "البرانية"، وهو تعبير أندلسي أطلق على الأبراج الخارجية عن نطاق السور، كما استخدموا الأبراج المؤلفة من اثنتي عشر ضلعا كما هو الحال في برج اسبانتا بروس ببطليوس، و برج الذهب باشبيلية[2]، وهناك البرج المثمن، إذ أنه لكثرة ضلوعه يمكن المدافعين من التحرك في كافة الجهات والزوايا، حيث يفضل من الناحية الدفاعية البرج المستدير لسهولة الانتقال في أجزائه.

– الـــــــبرج المســـتـــــدير :

استخدم الموحدون البرج المستدير في تحصيناتهم الدفاعية لكن استعمالها كان ضئيلا بالمقاومة مع الأبراج المربعة أو المضلعة ، رغم ما له من فعالية في المراقبة، و سهولة التنقل فيه، و قد شهدت الأندلس هذا النظام في البناء قبل العهد الموحدي خاص في العهد الأموي[3].

---

(1) -G. MARCAIS , L'architecture, … p 158.

أنظر كذلك:

- مانوبل مورينوجوميث، الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة لسالم السيد عبد العزيز ولطفي عبد البديع، الدار المصرية لليأليف والنشر ، القاهرة، 1968، ص 21 .

- د. عبد العزيزالسيد سالم ، بحوث اسلامية....، ص 600 .

(2) - نفسه ، ص 600 هـ.

(3) - مانويل مورينوجوميث، المرجع نفسه، ص 210. أنظر كذلك:

-G. MARCAIS , L'architecture…, p 158.

– الـــــبرج الـــــبرانــــــي:(1)

هو من الأبراج المبتكرة في العمارة الإسلامية الحربية، و قد ابتكرها الموحدون في الأندلس، و قد استعملوا الشكل المثمن في بناء أبراجهم البرانية و هو تعبير أندلسي بدل على الأبراج الخارجية عن نطاق السور، و الأبراج البرانية ابتكار الغرض منه تدعيم السور، فالبرج البراني يرتبط بالسور الأصلي عن طريق ستارة ثانوية تسمى الفرجة أو كزاشة (Gozacha) ، الهدف منها غلق الطريق أمام الأعداء في أضعف مناطق السور، و الأبراج البرانية تتخذ شكلا مربعا، أو مثمنا، أو متعدد الأضلاع.

2 – العـــمران في عـــهد بـــني مـــرين:

إن بني مرين كانوا بناة من أكبر البنائين في تاريخ المغرب الإسلامي يدل على ذلك ما تركوه من مخلفات لازال بعضها قائم إلى اليوم، متمثلة في (حمامات وفنادق وقصور ومدارس وزوايا وقلاع حربية ...الخ)، بل أكثر من ذلك إنهم زودوا التراث المغربي بمدن جديدة أنشئوها من العدم، وكان من أهم بناة الدولة يعقوب المنصور الذي بنى فاس الجديدة والمنصورة حول تلمسان وأصلح ووسع مسجد تازا كما بنى صوّر وحصّن عدة مدن وأنشأ المدارس الأولى في عهد هذه الدولة،[2] *(الجدول رقم (2))* الذي لخص فيه أهم لمنجزات العمرانية في عهد بني مرين. وكانوا في فن البناء أحسن مثال للنقل عن فن الأندلس الأصيل، بعد أن بلغ ذروته في عصر بني الأحمر[3] ، والذي نلتمس فيها ازدواجية الطابع الأندلسي والمغربي في شكل جديد قد سمي الفن الأندلسي المغربي[4].

أما الفن المعماري الذي كان يمثل ذروة التقدم والرقي بين فنون المغرب فقد بلغ غاية التطور والنضج الفني فيما بقي من آثار.

---

(1) - بيج بريتون، المرجع السابق ، ص 46.أنظر:
- يحيى وزيري، العمارةالحربية...، ص 19
- عبد العزيزالسيد سالم ، بحوث اسلامية....، القسم الثاني، ص 603.

(2) - إبراهيم حركات، تاريخ المغرب... ، الجزء2، ص 130.

(3) - نفسه، "العمران وفن البناء في عهد المرينيين"، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد 6، السنة 7، مارس 1964، ص 41.

(4) - عبد العزيز بن عبد الله،" معطيات الفن الإسلامي في المغرب"، مجلة المناهل، تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، المغرب، العدد 3، السنة 2 ، يوليو 1975، ص 64، 65.

فرأي الدكتور عثمان عثمان إسماعيل في التراث المريني المعماري[1] أثبتت صحته المخلفات الكثيرة التي تركها لنا المرينيون، إلا أننا في هذا النطاق سنحاول تفسير ظاهرة تشييد بعض المدن في العهد المريني، وسياسة التحصين التي انتهجها أمراء الدولة المرينية.

فكما نعلم جميعا أن المرينيين لم ينطلقوا من مذهب معين مثل المرابطين والموحدين ولهذا كانوا في حاجة ماسة للبحث عن وسيلة لإثبات مشروعية حكمهم، ومن هنا فقد رأوا أن الجهاد والتوسع باسم الدفاع عن حوزة المسلمين كانت الوسيلة الأكثر قناعة للرأي العام و تأثيرا على الظاهرة العمرانية، ذلك انه سيبرز تكثيف المنشآت العسكرية ، المدنية والإكثار من المآثر الدينية[*] .

ففيما يخص المنشأة العسكرية يشير إبن مرزوق إلى أن المرينيين اهتموا كثيرا بهذا النوع من البناء ، والحق أن ظاهرة التحصن في العهد المريني قد برزت خاصة بشمال المغرب ، فأبو يحي اهتم بتازوطة قرب مليلية، هذا وبنيت القصبة بالعرائش سنة (657هـ/1258م) أما بسلا فبنيت دار الصناعة لتدعيم حركة الجهاد بالأندلس وذلك سنة (658هـ/1259م)، ثم اهتموا بتطوان ، حيث تم بناء قصبة من طرف أبو يوسف سنة (685هـ)، فكانت توجه منها القوى لمقاومة الثورات بسبتة، هذا لا ننسى رباط قصر الصغير ، أو قصر المجاز[**] كما يسمى على العهد المريني ، ثم بناء فاس البيضاء سنة (674هـ/1275م) ، وأنفا[***] وتازة...[2]

---

[1] ـ عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1975 ، ص 14-17.

[*] ـ إن الناظر في تراث العصر المريني ومخلفاته المعمارية، لابد أن يخرج بانطباع أولى مؤداه، إن هذا العصر من عصور التدّين الشديد من ناحية، والعظمة والرفاهية من ناحية أخرى. حيث أن النظرة المتأنية حسب ما نعتقد سوف تكشف عن حقائق متناقضة تماما وأن الحكم لمن غلب، خاصة بعد الفتنة التي وقعت بين الابن وأبيه، وهو أكبر خطأ وقع فيه السلطان أبو عنان، أضف إلى ذلك تخلصه من أخويه أبي الفضل و أبي سالم، والذي خشى أن يخرجا عليه ، لذلك بعثهما إلى الأندلس، ولمزيد للتطلع إلى حقائق كثيرة لابد من مقارنة المصادر التاريخية بالآثار التي بقيت من ذلك العصر للوصول إلى نتائج أكثر دقة.

[**] ـ القصر الصغير أو قصر مصمودة : مدينة صغيرة على شاطئ المغربي المطل على مضيق جبل طارق، وينسبها المؤرخون إلى رابع خلفاء الدولة الموحدية يعقوب المنصور، الغرض من تأسيسها هو إيجاد مكان صالح لإبحار الجيوش المغربية إلى مدينة طريف في العدوة الأندلسية المقابلة. أنظر:

- ابن الخطيب، نفاظة الجراب في علالة الإغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، الطبعة الأوى، الدار البيضاء، ص 242.

[***] ـ الدار البيضاء هي العاصمة الاقتصادية للمغرب.

[2] ـ السلاوي، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص 44 ، 76.

فاهتم السلطان أبا الحسن بإنشاء المحارس والمناظر على طول السواحل المغربية كما بنى أبراجا للمراقبة داخل البحر أمام ميناء سبتة ليحول دون دخول سفن العدو في مرساها .[1]

ومن أعجب ما أنشأ في هذا النمط"، الأبراج التي أجمع أهل الخبرة بالمباني ومعرفة بالعمارة قبل أن تنشئ ليتصور بنائها على الوجه الذي قدره وأورده، فجاءت على أتم الوجوه من الإحسان فمنها برج الماء الذي أنشأه داخل البحر ووسط أمواج البحر بسواحل من ساحل سبتة، وقد حضرت إنشاءه، وكان قد اجتمع الملأ على عدم إمكان بناءه هناك، فنقلت الصخور التي هي كالروابي والأحجار التي لا يتزحزح مثلها إلا بهندسة وإحكام.

فألقيت في تلك التروش وضم إليها أمثالها حتى صارت جزيرة في وسط البحر، فأقام عليها ذلك البرج ، بحيث تتمكن البهيمة بالمشي عليه واتصال ممشاه من البر إلى البرج، صان ذلك البرج جميع المرسى فلا يتهيأ لأحد من المراكب الدخول لذلك المرسى إلا أن يكون صديقا وإلا فإنه يشرف على جميع ما يدخل تحته وهو من أعاجيب معمورات المعمورة، ومنها البرج الذي على المشحن أيضا من المدينة المذكورة، وآخران من هذا النمط بالجبل المحروس"[2] (أي جبل طارق)، كذلك اهتم أبو الحسن بتحسين القواعد البحرية وأهمها جبل طارق الذي حرره من أيدي القشتالين سنة (733هـ/1332م) وعمل على تحصينه وتزويده بالعدد والآلات، وقد زاره عقب ذلك الرحالة ابن بطوطة ووصفه بقوله " وتطوفت على الجبل فرأيت عجائب ما بني به مولانا أبو الحسن رضي الله عنه ، وما أعد فيه من العدد وودت أن لو كانت ممن ربط به إلى نهاية العمر " ، ثم يقول " وبنى به مولانا أبو الحسن رحمه الله المأثر العظمى - أي برجا كبيرا . بأعلى الحصن، وكانت قبل ذلك برجا صغيرا" تهدم بأحجار المنجنيق، فبنى مكاناها مكانه وبنى به دار الصناعة لإنشاء السفن ، ولم يكن به دار صنعة، وبنى السور الأعظم المحيط بالتربة حمراء الأخذ من دار الصنعة إلى القرميد[3].

---

[1] - محمد ابن مرزوق، المصدر السابق، ص398.
[2] - نفسه، ص398، 399.
[3] - نفسه، ص 398 ، 399 .

هذا وقد سار أبو عنان على سياسة أبيه، "في توجب العناية بجبل طارق الذي أمر بعمل مجسم أو نموذج للجبل ليضعه أمام عينه في قصره وليتمكن من تصوره قبل بناء قاعدته الحربية فيه[1]، فعمل على مسحه وأخذ المعلومات الكافية عنه من حيث أسواره وأبراجه وحصونه وأبوابه ودار صنعته ومساجده ... وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء، فصنع ذلك بالمنشور السعيد، وكان شكلا عجيبا أتقنه الصناع اتقانا يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال، وما ذلك إلا لتشوقه، أيده الله إلى استطلاع أحواله وتممه بتحصينه وإعداده"[2].

أما التحصينات بالمناطق الداخلية فنذكر منها حصن تازا الذي اتخذه المرينيون قاعدة لغزو تلمسان ، وفي هذا الإطار نشير إلى أن المرينيين منحوا عناية كبيرة لتازا ذلك أنه إلى جانب أهميتها العسكرية كانت لها أهمية تجارية باعتبار موقعها الجيد ، فهي تعد ممرًا لابد من اجتيازه للخروج من فاس نحو المشرق أو للعودة من هناك، لذلك كانت القوافل التجارية الآتية من تلمسان والمحملة بمنتجات الشرق قبل أن تمر إلى فاس تمر عبر تازا، هذا وكانت تصلها القوافل القادمة من سجلماسة و المحملة بالتمور لاستبدالها بالحبوب التي كانت تتوفر بكثرة بتازا.[3]

نظرا لهذه الأهمية التجارية كانت تقام بالمدينة أسواق منتظمة تشبه أسواق مدينة فاس وتتوفر بها فنادق كثيرة لإيواء التجار العابرين لممرها، ونتج بالطبع عن كل هذا إثراء سكان المدينة .

ثم هناك قصبة مكناس[*] التي بنيت سنة(674هـ/1275م) وكذا فاس الجديدة وقصبة المنصورة التي شيدت سنة(698هـ/1298م).

---

[1] - ابن بطوطة، المصدر السابق، الجزء الرابع، ص 214، 215.أنظر كذلك:
- عبد العزيز السيد سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1969، ص 294-295.

[2] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 215 . أنظر كذلك:
- علي حامد الحاجي، المرجع السابق، ص 246.

[3] - حسن الوزان ، وصف إفريقيا ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1983 ، الجزء الأول، ص 276.

[*] - مدينة مغربية تقع جنوب غرب فاس بنحو 60 كم، سميت باسم قبيلة مِكْنَاسَة البربرية التي اختطتها. أنظر :
- ابن الخطيب، معيار الاختيار...، ص 78.

كذلك عند حصار قسنطينة في عهد أبي عنان" أمر ببناء عدة أبراج عالية وأمدها بالفرسان والرجال من كل ضارب رمح أو نبل، وعين لكل واحد منها مشرفا بتنفيذها وأختار لكل حصن منها قائد ممن قواده من اتصفوا بقوة الشكيمة والمهارة في القتال، ووضع تحت تصرف كل قائد عددا من المشاة والفرسان من أبناء القبائل، وخصص لكل برج مبين من هذه الأبراج يشرف عليه بنفسه..."[1]، كما حفر العديد من الخنادق والمسامات بالمغرب (بحفير) وهو الخندق العميق.

لقد كان للمرينيين مهارة فائقة في تخطيط المدن العسكرية وبناء الأسوار فاختاروا أحسن المواقع الجغرافية لبنائها لتكون مراكز حربية في مواقع إستراتيـــجية و لرد أي عدوان وإخماد أي ثورة وكان لها حراس خارجين بها يسمون بالزمامين [2].

كذلك امتاز المرينيون بمعرفتهم للحصار أكثر من مدافعتهم ضده، بالإضافة إلى ما اتصفوا به من طول النفس وحسن الصبر إلى جانب الخبرة والإدارة في حروبهم فكان حصارهم يدوم شهورا وسنينا.

إلا أنه إذا كانت الصبغة العسكرية والدينية تطغى على ظاهرة العمران على العهد المريني[3] ، فقد كان العامل التجاري وراء تشييد بعض المدن أو تطوير أخرى، وفي هذا النطاق نذكر تشييدهم لمدينة ترجم دبدو فقد اشتهرت كمركز تجاري رئيسي بين فاس من جهة وتلمسان و ترجمة فكيك من جهة أخرى.

كما كانت تلتقي قربها في منطقة العبور الطريق الرابط بين سجلماسة والقيروان بالطريق الذي يربط سجلماسة بمليلية، ولقد لعبت قبيلة بني ورتاجن التي كانت تسكنها دورا فعالا في تنشيط التجارة وذلك بإيوائها للتجار والغرباء.

كما نذكر مدينة المنصورة التي شيدها يوسف بن يعقوب، وكان الغرض من ذلك استقطاب القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان وبالتالي منافسة تلمسان على الصعيد التجاري.

(1) ـ ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص 149.

(2) ـ لسان الدين بن الخطيب ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشره و تعليق أحمد مختار العبادي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1985، ص75.

(3) ـ حسن الوزان ، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 276.

يتبين مما سبق أن التحصينات في الدولة المرينية مرت بمرحلتين، ففي المرحلة الأولى التي يمكن نعتها بالانتقالية، حيث كانت أنظار السلطة في بناء قوتها ونفوذها السياسي والعسكري، عبر إخضاع المجال الجغرافي أولا – المغرب الأوسط – لذلك لعبت الحصون خلال هذه الفترة، سواء تلك التي ورثتها عن الدولة الموحدية أو التي شيدتها الدولة المرينية بوظائف عسكرية بالدرجة الأولى، إضافة إلى بناء جيش نظامي جديد، الذي أصبح أداة فعالة في إخماد الثورات و مراقبة المجال الجغرافي الخاضع لسلطتها. بعد التغلب على المعارضين والسيطرة على تراب المغرب الأقصى، وإعلان عن ميلاد الدولة المرينية بدأت المرحلة الثانية في تاريخ التحصين، حيث امتازت هذه المرحلة بالانتعاش الاقتصادي ، وأصبح الحصن مرادف للمدينة، يأطر المجال اقتصاديا وسياسيا وعمرانيا وبشريا- وهذا ما سنلاحظه في فاس الجديد والمنصورة بتلمسان- تحت إشراق ممثلي السلطة المركزية، وبالتالي تحولت النظرة بإنشاء نوع آخر من الحصون لعبت دورا هاما في مراقبة تحركات الأعداء، سواء القوى المسيحية في الشمال أو الحفصيين والزيانيين في المغرب.

فشهد عهد أبي الحسن و أبي عنان، وهي مرحلة الاستقرار على جميع المستويات، وفي هذه الفترة تطلعت الدولة المرينية إلى منافسة أعدائها خارج المجال الجغرافي، وبسط نفوذها على كل من المغرب الأوسط والأدنى، محاولة إعادة توحيد بلاد المغرب فنتجت عن ذلك الاهتمام، نظرة جديدة للتحصين، فأنشئوا حصونا غلب عليها طابع المراقبة أو حصون الثكنات، والتي تنوعت حسب موقعها سواء برية أو بحرية، تؤدي وظيفة عسكرية مرتكزة على طول المسالك التجارية ، وعلى السواحل الشمالية لإفريقيا.

وسنحاول في الفصول اللاحقة تبيين بعض خصائص العمارة العسكرية وطبيعة مواد البناء فيها، مركزا على مدينة فاس الجديد والمنصورة بتلمسان، ويمكن القول أن كتابة تاريخ التحصين ودراسته الأثرية خلال الفترة المرينية، حيث تعرضت جل حصونها إلى التلف بفعل عوامل متعددة، إلى بحث تاريخي وأثري عميق بمساعدة العلوم الأخرى، هذا من شأنه أن ينير القضايا التي لا تزال في بداية البحث.

الفصل الأول

مدينة فاس الجديد وتحصيناتها العسكرية

- ✓ **أولا :** الإطار الجغرافي.
- ✓ **ثانيا :** تأسيس مدينة فاس الجديد وأبعاده السياسية.
- ✓ **ثالثا :** المخطط العام للمدينة.
- ✓ **رابعا :** التحصينات العسكرية.

أولا : الإطار الجغرافي:

إن المحيط الجغرافي للمدينة يتكون من جبال متوسطة الارتفاع ، ففي الشمال جبال غمارة[1] وفي قبلتها جبال بني بهلول[2] ، وعلى مسيرة ثلاثين ميلا إلى الجنوب هناك جبال بني يزغة[3]، وغير بعيد من هذا توجد جبال فزازة[4]، وبين جبال بني يزغة، وجبال بني بهلول، وجبال زالغ يوجد البسيط " السهل" المسمى بسايس ويدعى "فحص[*] سايس" ، الذي لعب دورا كبيرا في الناحية الاقتصادية للمدينة، كما ساهم في الربط بين فاس، ومختلف المناطق من خلال امتداده إلى الجهة الشرقية. *(خريطة رقم:1/ صورة رقم 1-2)*

وبالموازاة بين التنوع في الشكل، والتضاريس بين السهل والجبل، هناك تنوُّع في بنية التربة بين الكلس، والصلصال، والجبس، والرمال، والحجارة المترسبة بين سفوح الجبال المجاورة، فالكلس لعب دورا في تنمية الشبكة المائية للمنطقة، وتغذيتها بالمياه، ومن خلال عملية خزن المياه الجوفية، والصلصال من خلال صلاحية تربته غير الصالحة للزراعة إلا في زراعة الزيتون الذي مارس دورا هاما في حياة السكان، والجبس والرمال والحجارة من خلال الدور الذي قاموا به في مجال العمارة والبناء بالمدينة، وفي تكميل أنشطتها الاقتصادية[5].

كما يوجد تنوُّع آخر في المجال الطبيعي ، وهو الذي يعرف بمجال المدينة من حيث تعدد مصادر المياه به، وهي مصادر أجمعت الكتابات التاريخية، وخصوصا كتب

---

(1) - يقول عنه إبن القاضي : هي جبال مدينة فاس ، القريبة إليها ، وهي من أخصب جبال المغرب عمارة وأمة ، طولها مسيرة ثلاث أيام ، وعرضها نحو ذلك " لمزيد من المعرفة حول موقع مدينة فاس أنظر:
- ابن محمد الزمزمي، فاس عاصمة الأندلس ورسائل أخرى، تحقيق حمزة بن علي الكتاني، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002، ص 37.
- احمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973 ، الجزء الأول، ص 80.

(2) - هي جبال تقع شمال غرب فاس حيث قمة مولايا يعقوب الحالية ، أنظر كذلك:
- ابن أبي زرع. المصدر السابق، ص41.

(3) - " ويحدد موقع هذه الجبال حاليا بالقرب من مدينة صفور " أنظر كذلك:
- نفسه. ص44.

(4) - نفسه. ص24.

(*) - **فحص**: كل موضع يسكن فيه، ويطلق على أماكن بالمغرب، كفحص طليطلة وفحص طنجة، وفحص سايس ..إلخ.

(5) -J.CELLERIER . « Les Conditions Géographiques du Dextrement De La Ville de Fès » , Esperis T 18, . 1934 . p 14.

الرحلات على أهميتها، ويعتبر واد فاس أهمها على الإطلاق ، والمعروف بوادي الجواهر "الذي يبعد رأس عينه بأعلاها بنحو ستة أميال، يخرج منه نحو الستين عنصرا كلها تنبعث من جهة القبلة"[1].

إن جريان النهر في السهل قلّل من قوة منسوب المياه فيه ، وقلّل كذلك من أخطاره على الوضع العمراني بالمدينة ، ويتم الجريان في منطقة كلها مستنقع دائم طيلة السنة، لكنه يتوزع عند دخوله إلى المدينة على جداول كثيرة، فينتفع به في المدينة، وفي مساجدها[2]، وهذا التقسيم هو ما دفع بعض الباحثين إلى القول بأن جريان الواد بفاس يشبه كثيرا بجريان "الدم في الجسد"[3] .

وغير بعيد عن فاس بنحو ثلاثة أميال ، يوجد نهر سبو الذي "ينبع من مغارة مهولة على شعراء غامضة من بلاد فزاز[*]، إلى أن يمر ببني وارثين[**] [4]. وهو من أعظم أنهار المغرب يتصل به واد فاس على نحو ثلاثة أميال.

أما المصدر المائي الثاني للمدينة فهي العيون، وهي عبارة عن أبار سطحية كثيرة العدد بالمدينة لدرجة جعلت المؤرخين يوازنون بين عددها، وعدد أيام السنة[5].

---

(1) - ابن القاضي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص43.أنظر كذلك:
- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 43، 44.

(2) - ابن القاضي، المصدر نفسه ، ص43.

(3) - يوكهارت، فاس ، ضمن مجموعة مقالات حول المدينة الإسلامية، طبع بإشراف س - ب سرجنت الترجمة العربية، محمد ثعلب، باريس، 1983.

(*) - بني وارثن : قبيلة من شعب صنهاجة ، يعرفون باسمهم المبربر : أيت وارثن ، أو الاسم العربي بني وارث ، إندمجت القبيلة المذكورة اليوم في غيرها من القبائل منهم بالمغرب الأوسط وبقية بناحية بجاية يعرفون بأيت وارث وعلى ، وبقية بالمغرب الأقصى مندمجة في بطن آيت سنان من قبيلة أهل تدغة، أنظر بن القاضي ، المصدر نفسه ، ص 44.

(**) - فازاز : كان الاسم في القديم يطلق على الجبال الممتدة من جنوب سهل ساس إلى واد ملوية ووادي العبيد : أي ما يعرف في الإسطلاح الحديث بالأطلس المتوسط تقريبا، وقد أضمحل هذا الإطلاق الواسع اليوم ، ولم يعد يسمى بفازاز إلا مكان بتلك الجبال يبعد عن مكناس جنوبا نحو 100 كلم ، كما يسمى باهل فازاز بطن من قبيلة المصاغرة الزمورية،أنظر كذلك:
- ابن أبي زرع ، المصدر نفسه، ص 24.

(4) - مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الطبعة الثانية ، البيضاء ، 1985، ص184.

(5) - ابن سعيد، الجغرافيا، تحقيق شوقي ضيف، دار الكتاب اللبناني ، دون تاريخ ، ص 140. أنظر كذلك:
- عبد العزيز بن عبد الله ، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، الطبعة الأولى، المطبعة الملكية ، لرباط، 2001، الجزء الأول، ص 405. (حيث قدر عدد العيون بفاس 400 وقيل 560 ، وقيل عيون لا تحصى).

إن فكرة المياه بالمنطقة، قد أمَّن لسكان فاس ما لا يقل عن المتر المكعب من الماء لكل ساكن، إذا ما قورن بالفترة التي تهمنا الآن[1]، وهناك نهر آخر صغير الحجم وقصير المسافة لعب دورا مهما في المدينة، وخصوصا بعدوة الأندلس، يتعلق الأمر بواد مصمودة الذي أثار عدة قضايا بين أهل فاس، ومجاوريهم من سكان المناطق القريبة من المدينة في الفترة المرينية المبكرة[2].

إن وجود المياه بالمنطقة لعب دورا مهما ليس فقط على مستوى تحديد الموقع الذي بنيت فيه فاس، ولكن على مستوى النشاط الاقتصادي.

أما الإطار العام للمناخ فلا يخرج عن النمط المتوسطي، من حيث العلاقة المتكافئة بين الدورات المناخية الممطرة والأخرى الجافة، حيث ذكر ابن القاضي بأن "حرها وبردها ليس بالشديد جدا، ويعتدل فيها الفصلان الخريف، والربيع"[3]، وهذا لا يعني أن في هذه الفترة شهدت بعض التغيرات في المناخ، والتي عانى منها المجتمع المغاربي من أزمة اقتصادية ناتجة عن المناخ الجاف الذي ساد منطقة فاس[4].

إضافة إلى المجال الطبيعي فقد لعب موقعها الاستراتيجي ، على خريطة المغرب دورا هاما في كونها أضحت قاعدة المغرب[5]، *(خريطة رقم :4)* و في هذا الإطار يؤكد ابن سعيد بقوله " بأن مدينة فاس متوسطة بين ملك المغرب، بينها وبين مراكش عشرة أيام، وبينها وبين تلمسان عشرة أيام، وبينها وبين سبتة عشرة أيام، وبينها وبين سلجماسة

---

(1) - J. CELERIER , Op-Cit, p 6

(2) - احمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المغرب والجامع المعرب عن لفتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق محمد حاجي، الطبعة الخامسة، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 2000 ، الجزء الثامن، ص27، 28 ، أنظر كذلك: حول ماء واد أبي (طوبة) ووادي بوفكران،- المقري، روضة الأس فممن لقيته من الأعلام بمراكش و فاس، المطبعة الملكية ، الرباط . 1964 ، ص 120.

(3) - إ بن القاضي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 45.

(4) - إ بن مرزوق ، المصدر السابق، ص 141.
- يحي بن عبد الله الزرهوني(كفيف)، الملعبة، تحقيق محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1987، ص 114.

(5) - عبد المنعم الحميري ، روض المعطار في خبر الأقطار ، حققه د . إحسان عباس، الطبعة الأولى ، طبع على مطابع هيدلبرغ ، بيروت، 1975، ص 135، 136. أنظر كذلك:
- J. CELERIER, Op-Cit , p 14

عشرة أيام، وبذلك صلحت لتكون قاعدة المغرب[1]، ونفس الرأي أكده ابن أبي زرع حيث حدد موضعها بكونها " في متوسط بلاد المغرب "[2].وهذا ما حدى ببعض الدارسين المحدثين إلى القول بأن موضع فاس يوجد في الممر الأكبر الموجود بين المغرب الأوسط والمحيط الأطلسي[3] [*] هي حاضرة البحر وأجلُّ مدنه[4].

لاشك أن الموقع المتوسط ، في المجال الواسع والمتنوع من حيث شكله التضاريسي وبنيته الجيولوجيا قد ساهم في تنمية هذه المدينة، وزيادة حجم علاقتها الاقتصادية سواء داخل المغرب المريني، أو خارجه.

مما جعلها قاعدة عسكرية مهمة في سياسة الدولة، وهذا ما جعل المدينة كمركز للقرار، وعاصمة للدولة المرينية على غرار المدن الأخرى.

ثانيا : تأسيس فاس الجديد وأبعاده السياسية

شكّل تأسيس فاس الجديدة من قبل يعقوب بن عبد الحق ، تتويجا للجهود المرينية في استكمال السيطرة على المغرب الموحدي ، وتذكر المصادر أن الشروع في بنائها تمَّ بعد عودة أبي يوسف من فتح "جبل درن "،[5] أي بعد أن أنهى هذا الأمير الوجود الموحدي بمراكش سنة (668هـ/ 1269م)، ولو أن الشروع في بنائها قد بدأ عمليا بعد سقوط مراكش بأكثر من ست سنوات، أي في شوال من عام (674هـ/1275م)[6]، يقول ابن خلدون " وجمع الأيدي عليها وحشر الصنّاع ، والفعلة على بنائها وأحضر لها...

---

(1) ـ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان، الجزء الخامس ، ص 148، 149. أنظر كذلك:
ـ يا قوت الحموي ، المصدرالسابق، الجزء الرابع، ص 231.

(2) ـ ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 40.

(3) – J. CELIRIER , Op-Cit, p 14

(*) ـ هو ممر تازا الذي يصل بلاد المغرب الأقصى بسائر بلدان المغرب والمشرق، لمزيد من الإطلاع حول الموقع والتسمية. أنظر:
ـ عبد الله العمراني،" فاس وجامعتها"، مجلة البحث العلمي، تصدر عن جامعة محمد الخامس ، الرباط، العدد 8، 1966، ص 167-202.

(4) ـ ياقوت الحموي ، المصدر نفسه، الجزء الرابع، ص 230.

(5) ـ السلاوي ، المصدرالسابق ، الجزء الثالث، ص 44.

(6) ـ حسن الوزان، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 282. أنظر كذلك:
ـ عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء 7 ، ص 230.

المعدلّين لحركات الكواكب ... وكان فيهم الإمامان أبو الحسن بن القطان و أبو عبد الله بن الحبّاك المقدّمان في الصناعة، فأكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم و كما رضي ... وكانت من أعظم آثار هذه الدولة و أبقاها على الأيام..."[1]، غير أن الأهم في عملية البناء، هو لماذا تم تشييد مدينة جديدة خارج الأسوار التقليدية لفاس العتيقة، واتخذت عاصمة لبني مرين؟ ، وما هي دواعي ذلك ؟ . *(مخطط رقم :1)*

تشير جل الدراسات الحديثة، والتي تطرقت إلى الموضوع من زواياه المختلفة، أن السبب في إقدام أبي يوسف يعقوب على بناء فاس الجديد يدخل ضمن تصور خاص للسلطنة المرينية في علاقاتها بأهل المدينة، وينبني هذا التصوُّر على موقف عدائي تجاه سكان فاس الذين بادروا إلى التعبير عنه منذ فترة حكم أبي بكر يحيى خلال ثورتهم على عامله السعود بن خرباش سنة (648هـ / 1250م)[2] .

ومن هنا يبدو أنه من اللازم طرح أهم الروايات التاريخية التي تناولت الحدث قبل الشروع في مناقشة أراء الدارسين بخصوص هذا الموضوع، وأعتقد أن هذه الروايات هي التي كانت موضوع أراء الباحثين التي عبر عنها هؤلاء في أعمالهم.

– الرواية الأولى:

هي التي أوردها ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر ، فقد أكد فيها أن كل أمة لابد لها من وطن ، وهو منشأ لهم و منه أولية ملكهم.[3]

لذلك فقد جاء بناء فاس الجديد كتعبير عن رأي السلطنة في إكساب ذاتها ميزة خاصة تميزها عن غيرها من الدول التي حكمت المغرب، ويدخل في الاعتبار الأول ما عبَّر عنه ابن خلدون نفسه في مكان آخر حين ربط ما بين رسم اختطاط فاس الجديد، وضرورة تغيير معالم المدينة الفاسية بالإكثار من عمارتها[4].

---

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء السابع ، ص 230، 231.

[2] -M. SHATZ MILLER , « Les Premières Mérinides et le Milieu Religieux de Fès», Studia Islamica ,Tome 51, 1981, p 110.

وأنظر كذلك :

- روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية ، ترجمة محمد حاجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، الجزء الأول، ص 97.

[3] - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، 1984، الجزء الأول، ص 77.

[4] - نفسه، ص 77 ،78 .

– الرواية الثانية :

وهي التي أوردها صاحب المسند الصحيح الحسن حين أكد على أن تأسيس فاس الجديد كان الغرض منه " اتخاذها مسكنه"، يقصد أبا يوسف ومسكن جيشه ليميز ما بينهم، وما بين الحضر من أهل فاس[1]، وهذا الموقف هو نفسه الذي عبَّر عنه ابن خلدون، حين ذهب إلى أن أبا يوسف رأى أن يختطَّ بلد جديدا يتميز "بسكناه، و حاشيته و أهل خدمته، وأوليائه الحاملين لسرير ملكه"[2] .

ولكنه في نفس السياق أكَّد على ذلك بعد أن رأى أمره قد أستفحل، وملكه قد إستوسق واتسع نطاق دولته، وعظمت حاشيته، وأهل خدمته، وكثر وفوده[3].

إن الآراء التي عرضناها سالفا تعبر عن موقف حضاري ذو طابع سياسي اتخذه بنو مرين خلال إقدامهم على اختطاط البلد الجديد، وينطوي هذا الموقف على رأيي خاصة اتجاه المدينة العتيقة من حيث تعدد المرافق، والمؤسسات أضف إلى ذلك أن تأسيس فاس الجديد جاء بعد حادثين بالغي الأهمية في تلك الفترة .

الأول هو ما أشار إليه صاحب المقصد الشريف حين لمَّح إلى العلاقة بين الصراع الذي نشأ بين الفقيه الإبراهيم الأعرج وأبي يوسف ، وبين تأسيس هذا الأخير لفاس الجديد كحل وسط أنهى الأزمة بين الرجلين[4].

أما الحدث الثاني فيتعلق بالثورة العارمة التي قام بها العامة في نفس السنة ضد يهود فاس، وهي الثورة التي كادت أن تقضي على العنصر اليهودي بالمدينة لولا تدخل السلطنة المرينـية الجديدة لحـمايتهم، ويفـسر بعض الباحـثين تأسـيس فاس الجـديد لهـذا السبب،

---

(1) - ابن مرزوق،المصدر السابق، ص 116.
(2) - عبد الرحمن ابن خلدون،العبر... ، الجزء السابع، ص 258.
(3) - نفسه، ص 258.
(4) -عبد الحق البادسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أحمد أعراب،المطبعة الملكية، الرباط ،1983، ص 106.أنظر كذلك:
- عبد الوهاب دبيش، "علاقة السلطنة المرينية بالمجتمع الفاسي"، كلية الأدب والعلوم الإنسانية 2 ، ابن سيكا، ندوة المنضمة حول المدينة في المغرب العربي، ممن 24 ، 26 نوفمبر 1988، ص 267.
- M . KABLY, Société, Pouvoir, Religion au Maroc à la fin du Moyen Age, Maisonneuve , Larose, Paris , 1989, p 274.

والذي كان حسب هؤلاء العمل الأساسي لاختطاطها[1](*)، لقد تم بناء فاس الجديد بنفس الشروط التي تتأسس بها المدن ، فقد اتخذت جل الترتيبات حتى يتم ذلك حسب رغبات السلطان المؤسس حيث بدأ من اختيار التوقيت الملائم، و انتهاء من بناء جميع المرافق الضرورية ، التي جعلت منها مدينة منعزلة عن المجال العام لفاس العتيق، مرورا ببناء الأسوار، وغيرها من المرافق الضرورية. *(مخطط رقم :2-3)*

كان البعد الديني حاضرا في جميع هذه المراحل ، ولقد تمَّ اختيار شهر شوال، و بالضبط في اليوم الثالث منه،[2] للشروع في عملية التشييد، و كان من الضروري أيضا أخذ"طالعهما السعيد" و كان الموكل إليه القيام بهذه المهمة كل من الفقيه الإمام سليمان العياش، و الفقيه محمد ابن الحباك[3]، و حظيت المدينة بمسجد جامع، و لربما كان هذا العمل يرمي إلى رغبة مبيتة لدى السلطة المرينية هدفها التقليل من حجم المدينة العتيقة، و بأهميتها لدى أهل فاس.

و كان على السلطة الجديدة أن تراعي مبدأ توفير الماء اللازم للمدينة الجديدة لذلك فقد روعي أثناء اختطاط معالمها أن تكون قريبة من المياه، و لعب وادي فاس هذا الدور على الرغم أن الماء الصالح للشرب قد تمَّ جلبه إليها من مناطق بعيدة نسبيا،[4] وقد ساهم هذا التنوُّع في مصادر المياه المستخدمة في تموينها حسب ابن خلدون في زيادة عمارتها، بل ساهم في إستمراريتها ككل،[5] لقد توفرت المدينة على مرافق عديدة كان أبرزها المجال الذي خصَّص لحاشية السلطانة، و يبدوا أن تخصيص هذا المجال لهذه الفئة من

---

(1) - M . KABLY, Op-Cit , p 274

(*) - تذهب شاتز ميلر إلى أن بناء فاس الجديد جاء بشكل واضح للهجوم الذي استهدف اليهود، والواقع أن المصادر تتحدث فعلا عن الحدثين بالتوالي، لكنها لا تجعل الحدث الثاني (بناء فاس الجديد) نتيجة واضحة للسبب الأول وما ذهب إليه ابن خلدون قريب للصحة .لمزيد من الإطلاع أنظر:

- مصطفى نشاط، إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية، رقم 73، جامعة محمد الأول، وجدة ، سنة 203، ص 60-62.

(2) - ابن الأحمر، روضة النسرين ...، ص186-187.

(3) - نفسه ، ص187

(4) - M. BROSSOLETTE et DELAROZIERRE, « Fes-Jdid de Sa Fondation jusqu'au 20 ièmme Siècle» Hespris Tamouda , Vol XX-XXI, 1963, p 247 .

(5) – محمد بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، وزارة الثقافة، بغداد، 1979، الجزء الثاني، ص 763. أنظر كذلك:

- M.H. BRESSOLLETTE, Op-Cit, p 247.

رجالات الحاشية كان يدخل في نفس الغاية التي رسمها أبو يوسف للوظيفة المخزنية التي قامت بها فاس الجديدة[1]. *(مخطط رقم :3)*

لقد كان البعد السياسي حاضرا في تصورات أبا يوسف يعقوب، حين وضع الحجر الأساسي لعملية البناء، و كان الهدف الأساسي يكمن بأن تكون عملية التشييد هذه دليلا على حجم، و مكانة السلطة في مجتمع فاس بصفة خاصة، و المجتمع المغربي بصفة عامة.[2]

و بالنظر إلى أن السبب الأساسي كان يكمن في موقف السلطة من المجتمع الفاسي فإن الشكل الذي اتخذته المدينة الجديدة، و الموقع الجغرافي الذي أنشئت عليه يدلان حتما على أن بني مرين أرادوا تأكيد سياسة الحذر و الحيطة اللازم اتخاذهما تجاه سكان المدينة، فقد بنيت الأسوار بشكل مزدوج يجعل منها حصنا منيعا أمام كل محاولة لتجاوز الإطار العام للمدينة الجديدة، [3] *(مخطط رقم :2-4-5)* و كان موقعها بجانب الواد يهدف بالدرجة الأولى التـــحكم في منــابع هذا الوادي و مجراه قبل أن يصل إلى فاس العتيقة، و كانت هذه السياسة ترمي إلى الضغط على أهل فاس الذي ارتبط معاشهم، و اقتصادهم بالدرجة الأولى بهذا المجرى المائي الهام[4].

لقد توافق تأسيس فاس الجديدة مع عودة أبي يوسف من بلاد الأندلس قادما منها بعد تأكيد الدور الديني الذي كان المرينيون يسعون إليه منذ وقت مبكر وأعني بها فكرة الجهاد ضد المسيحيين، و صادفت عودته هاته تحقيق نصرا كان مهما لأنه سيتخذ كفاتحة يمن بالنسبة للتأسيس.

و تطلّب بناء المدينة توفير جملة من الشروط كان أبرزها بناء المسجد الجامع بالمـدينة الجـديـدة، و قـد تـمَّ الـشروع في بنـائه في نفس الـسنة التي تم فـيها تأسـيس فـاس

(1) -M .TERRASSE, Histoire du Maroc, Ed Atlatides, Casa, 1940, T 2, P 30

(2) -M. SHATZ MILLER, Op-Cit, P 140

(3) -M .TERRASSE, Op-Cit, P 30. أنظر كذلك:
ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر، تحقيق د. مصطفى أبو ضيف أحمد، الطبعة الأولى، 1988 ، ص114.

(4) -G . LETOURNEAU, Fès avant le Protectorat , Société Marocaine de Librairie d’édition, Caza ,1949, P 64.

الجديدة، و ضمت بالإضافة إلى المسجد الجامع مرافق أخرى خاصة بالجند، و الحاشية، و على الرغم من الطابع المخزني الذي اتخذته فاس الجديدة فإن مؤسسها حاول أثناء خطيطه لمجالها العمراني أن تجمع بين الطابع العسكري، و المدني فقد أمر بناء أسواق جديدة امتدت من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة[1]. *(مخطط رقم :1)*

لقد بدت فاس الجديدة في مرحلة أبي يوسف كجسم غريب في فاس العتيقة، و كانت موطن التباين فيما تمكن في الوظيفة العسكرية التي لعبتها، و الدور الذي مارسته لمراقبة و ضبط المجال القديم لمثيلتها، غير أن الشكل المخزني لم يكن السمة التي ميزتها طيلة العقود الزمنية الأخرى التي تلت مرحلة التأسيس، فقد تغيرت معالمها العمرانية بما يتناسب و المعطيات الجديدة التي أفرزها التحول الديموغرافي الذي طرأ عليها بعد ذلك، و كان من الضروري بالنسبة لمن استقر بها.

ثالثا : المخطط العام لفاس الجديد

تشير كل المصادر، و الدراسات إلى أن فاس الجديدة كانت تتكون من ثلاثة أقسام[2] خُصّص الأول منها للقصر المريني، و يقول عنه ابن فضل الله العمري "كان السلطان في بر العدوة، و هو بفاس الجديدة المسماة "البيضاء" في دار لا يختص فيها بزيادة رفعة على البشر، و لا ربوة، و القصر هو عالي البناء ذو قباب عالية ضخمة لائقة بالملوك، و غرف مرتفعة، و زقاق، و مجالس سلطانية".[3]

يتبين من هذا الوصف العام أن موقع القصر المشيد بفاس الجديدة غير معروف، و يذهب الأستاذ المنوني في نفس الاتجاه حين يقرر أن مكانه مجهول بالنظر إلى التغيرات الجوهرية التي طرأت على فاس الجديدة، و خصوصا قصر بني مرين،[4] غير أن

---

(1) - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، الطبعة الثالثة، منشورات كلية الأدب بالرباط، 2000، ص45-46.

(2) - حسن الوزان ، المصدر السابق، الجزء الأول . ص 282، 283.

(3) - العمري ، المصدر السابق، ص 108.أنظر كذلك :

- محمد المنوني ، المرجع نفسه ، ص27.

(4) - نفسه ، ص 27.

المصادر السابقة تشير إلى إسطبلات القصر الذي كانت تتجمع فيه خيول القصر، و أشار إلى درب العودات الموجود حاليا بحي مولاي عبد الله بفاس الجديدة، و كان قريبا من قصور بني مرين الأولى، و يعني هذا أن مكان القصر كان يوجد بالمشور الملكي الحالي الذي يدخل ضمن ملحقات القصر الملكي، ***(مخطط رقم:1-3-2)*** و يؤكد ذلك أن الجامع الأعظم المشيد من قبل السلطان المريني يوجد بالقرب من القصر الملكي، بل و تستخدم بعض أبوب القصر للدخول إليه يوم الجمعة، و أشارت النصوص كذلك إلى أن المسجد الأعظم المؤسس من قبل يعقوب بن عبد الحق بستة بعد تأسيس المدينة البيضاء سنة(675هـ/1276م) كان ضمن ملحقات القصر المريني الأول،[1] أما ملحقات القصر المريني، فقد وصفها أبو فضل الله العمري بقوله: " و بداخله القبة المعروفة بقبة "الرضا"، و هي قبة عظيمة الارتفاع خارقة الاتساع، و قدامها بركة ممتدة بها مركب لاتساعها و كبرها، و خلفها بركة أخرى مثلها، و بها مركب آخر، و مساحة المركبين واحدة، و القبة العظمى بينهما، و في جميع جدران القباب شبابيك مطلة، و البستان حافٌ بالجميع، وهو بستان جليل منوّع بصفوف الأشجار، و الغراسات على اختلافها.."،[2] و يضم مرافق قليلة نسبيا تليق و موقع ساكنيه داخل المدينة الجديدة .

هذا وكانت الأحياء التي يطلق عليها فاس الجديد بصفة خاصة تشكل مربعا آخر أكثر انحرافا ، يحد ضلعه الغربي دار المخزن بينما كانت الأضلاع الأخرى مغلقة بحزام من أسوار مزدوجة غالبا،[3] وكان يدخل إليها من بابين أحدهما من الشمال يفتح على المشور القديم، والآخر في الجنوب أكثر تحصينا و أهمية، وهو " باب السمارين"، وبين هذين البابين كان زقاق واسع جدا بالنسبة للمدينة الإسلامية وشبه مستقيم لا يشكل المحور الهندسي، ولكن المحور الحي لهذه المجموعة السكنية. ***(مخطط رقم:4-3)***

---

(1) - محمد المنوني، المرجع السابق ، ص 28.أنظر كذلك:
- نفسه،" فاس الجديد مقر حكم المريني" ، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد 11، 12، السنة 4 ، 1967، ص 179 -2005.

(2) - المنوني،ورقات...، ص 28

(3) -G.MARÇAIS, Le Manuel … , p 252.
- ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق، ص 118.
- لوتورنو ، المرجع السابق، الجزء الأول ، ص101.

و قد تأخر تأسيس حيث أنها البناء عام(679هـ/1280م/1281م)[1] بعدما كان التأسيس فاس الجديدة ابتداء من ثالث شوال عام (674هـ/1275م)، و يظهر أن هذا التأخير راجع إلى ما يشير له ابن خلدون "من أن هذا البلد لم يراع في وضعه طيب الهواء فكانت أمراضه كثيرة لقلة الساكن فلما كثر السكان به انتقل حاله عن ذلك".[2]

فلم تكن مدينة خاصة باليهود آنذاك، و إنما كان موطن حمص بساحة التجارة التي أدخلت ضمن المشور الملكي،[3] و يذهب باحث أخر إلى أن حمص، أو الملاح كان منفصلا عن القصر بسور، و لم تكن له سوى بوابة واحدة تغلـق في المساء، و تفتح في صباح اليوم التالي،[4] و يبدو من المصادر أن حي اليهود لم يكن يشمل سوى شارع رئيسي يفصل منطقتين سكنيتين تضم دكاكين للتجارة، و خزن المؤن، و فيه شارع عريض يضم دكاكين اليهود، و معابدهم،[5] فالملاح محصور داخل حاجز غير قابل للتمديد، و واقع على مساحة متناهية الضيق ، كان مضطرا إلى أن يكتسب عن طريق العلو ما لا يتوفر عليه المساحة، مؤلف أذن من دور عالية، من طابقين في الغالب، و أفنية ضيقة جدا، و متزاحمة مع بعضها بعض إلى درجة إلى أن الحيز المعد للأزقة كان محدودا ما أمكن، و يرتفع هذا الحي في جنوب فاس الجديد على شكل مدرج في ردف يشرف على الوادي الأعظم محاذيا القصر السلطاني من جهة الشمال، و الشمال الغربي.
(مخطط رقم :1)

غير أن الإشكال المطروح من خلال قراءة المصادر، و الأبحاث المعاصرة، هو تحديد الفترة التي تم فيها إسكان اليهود بفاس الجديدة، و هو ما تختلف حوله المصادر، و الأبحاث المعاصرة، فالحسن الوزان يرى "أن الملاح كان مقرا قديما لحرص الرماة"،[6] و يذهب لوتورنو مع رأيه حين قال بان "موقع الملاح الحالي كان مقر للجنود الأتراك الذين استجلبهم السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق قصد استخدامهم كمرتزقة في

(1) - المؤلف مجهول ،الذخيرة السنية... ، ص 188.
(2) - ابن خلدون، العبر... ، الجزء 7، ص .
(3) - المنوني، ورقات ...، ص48.
(4) - H.GAILLARD , Fes Une Ville de L'islam, Paris ,1905, P 46.
(5) - حسن الوزان، المصدر السابق، الجزء الأول، ص283، 284.
(6) - نفسه، ص284 .

الجيش المريني"،[1] غير أن صاحب روض القرطاس يذهب إلى "أن يعقوب بن عبد الحق، هو الذي أسكن اليهود بجواره"، و هذه الرواية لا يمكن تجاوزها بسهولة نظرا لأن صاحبها معاصر لمرحلة أبي يوسف، وهي مناهضة لرواية حسن الوزان التي بني عليها لوتورنو رأيه ، فإن الملاح اسم قديم مرادف لحي سكنى لليهود،[2] و أن هؤلاء قد استقروا به زمن أبي يوسف يعقوب المريني، و توالت إليه الهجرات مرارا عبر فترات التاريخ، حتى غدى حي خاص بهم.

وفي سنة(675هـ/1276م) بنى أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الأسواق من باب "القنطرة" إلى باب عيون "صنهاجة"، و بني بها حماما عظيما، و أمر عماله ووزرائه ببناء الديار، فبنى كل واحد منهم دارا.[3]

القسم الثاني: حي اليهود وهو ما أُصطلح على تسميته بمدينة حمص التي تجمع كل الدراسات على أنها تحولت إلى حي خاص باليهود المعروف بالملاح،[4] حين انتقلوا إلى

فاس الجديدة غير أن لوتورنو يوضح أن حمص كانت موطن الجنود السوريين بالمدينة البيضاء، و يستدل على ذلك بحمل هذا الحي لاسم مدينة سورية،[5] رغم أن هذا الرأي قابل للنقاش يمكن القول أن الحي استخدم كمستقر للمرتزقة، و خصوصا منهم الاندلوسيين، حسب رأي الأستاذ المنوني،[6] علاوة على أن نص أبو فضل الله العمري يشير إلى أن هذا الحي أسسه أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني، و هو ما أكده الحسن الوزان حيث ذكر بان "نفس السلطان نقل اليهود من فاس القديمة، و أسكنهم بجواره بعد أن ضاعف الجزية التي فرضها عليهم، و بها يقيمون اليوم"،[7] ***(مخططرقم:3-1)***

---

(1) -R .LE TOURNEAU , Fes Avant…, P 171.

(2) - ابن الأحمر، روضة النسرين ...، ص 186

(3) - محمد المنوني، ورقات ...، ص43-44. وانظر كذلك:

- مؤلف مجهول. الذخيرة السنية...، ص 188.

(4) - *GAUDERFROQ DEMOMBYNE*, « Sur le Mellah au Maroc » Journal Asiatic , Revue, Paris, 1914, T13, p 651.

- ويعتقد الباحث السابق بان اسم الملاح كان موجودا حتى قبل انتقال اليهود إليه أي قبل سنة 762هـ/1632م ودون الخوض في سبب انتقال اليهود إلى الملاح و أشار ان الموقع كان حسب بعض الباحثين مكان إقامة بعض المرتزقة الأجانب.

(5) - R .LE TOURNEAU,Op-Cit, P71 .

(6) - محمد المنوني، المرجع نفسه، ص 48.

(7) - حسن الوزان، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 284.

ويرى الأستاذ المنوني أن مكان الملاح الحالي هو المسمى بـ (حي المرينيين) الآن.

القسم الثالث من المدينة الجديدة، هو المتعلق بربض النصارى، فقد كان في الجنوب، و الشرق خارج السور الداخلي، أين توجد بناية مدينة حمص، حيث كان معدا لإسكان فرقة الروم القشتاليين، الذين كانوا منتظمين في الجيش المريني، و يذكر العمري هذا الربض كمدينة مرينية دون أن يعين مؤسسها.[1]

و قد كان هذا الربض يسمى أيضا بالملاح من طرف ابن الخطيب،[2] ثم ابن خلدون،[3] و لعلَّ هذه التسمية جاءت من المكان الواقع به، حيث تقدم أن موضع مدينة حمص، وهو مجاور للربض يسمى بالملاح، فلما كان المكان يسمى بهذا الاسم، سرى ذلك إلى البنايتين المحدثتين به .

و بالجملة فإنه كان للأحياء الإسلامية بفاس الجديدة مظهرا عسكريا، وسياسيا تحيط به أسوار محصنة بأبراج، و مزدوجة على طول خطها الشمالي الشرقي، و الشرقي الجنوبي، و تزيد في حمايتها، ووقايتها بأحد فروع وادي فاس، ولم يكن يسمح باجتياز هذا النسق الدفاعي إلا قليل من الأبواب، ونعود إلى نص العمري لمعرفة تلك المدن حيث يقول:"و يطلق على هذه الثلاث المتخذات اسم فاس الجديدة، و هذه المتخذات كلها على ضفة الوادي الغربية، فربض النصارى يقع قبالة فاس القديمة... من غير مسامته... و البيضاء، و هي المسماة بفاس الجديدة أخذت من شمال ربض النصارى إلى ضفة النهر، و تقع أول عمارة فاس الجديد آخذه من شمال ربض النصارى إلى ضفة النهر، و تقع أول عمارة فاس الجديدة قبالة آخر عمارة فاس العتيقة، و حمص راكبة على النهر بالشمال على جانبي فاس الجديدة آخذة إلى ربض النصارى ... و بنيت حمص على ضفته، و هي فوق الجميع لأن الوادي منها ينحدر على ما نبينه... ، ويبقى النهر مستديرا بفاس الجديدة على المجرى المركب عليه حمص، و من الشـرق حيث منعطف النهر حيث فاس

---

[1] - ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص 115.

[2] - لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب ... ، ص 333.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون، العبر ... ،الجزء السابع ، ص 305 .

العتيق".[1] *(مخطط رقم:5-4)* ويقارن العمري بين مدينة فاس العتيقة، و الجديدة بأقسامها الثلاثة فيقول: " و تزيد فاس الجديد على فاس العتيقة في الحصانة، و المناعة ، و العتيقة بسور واحد من الحجارة و الجديدة بسورين من الطين...".[2]

رابعا: التحصـــينات العسـكرية

1 - الأســـــوار:

عرفت المدينة البيضاء بالبلد الجديدة أثناء تشييدها، و بعدها تأسيس سوريين اثنين يحيطان بالمدينة، أحدهما داخلي، و الأخر خارجي،[1] كمدينة عسكرية إذا كان سورهما الأحمر المزدوج الذي كانت تعلوه الأبراج المربعة و تدعمه ، يشير بما لا يقبل الشك إلى رغبة مؤسسيها في اتخاذها قلعة منيعة،وجميع أبنيتها من الآجر و الكلس ، موثقة البناء مشيدة الأركان، ومن الطين المفرغ بالقالب من التراب والكلس المضروب، وهو أشد من الحجارة لا تعمل فيه المنجنيق ولا تؤثر فيه،[2] إذ كان مظهرها من أي جهة كان عند الاقتراب منها، يلقي الروع في نفس العدو الذي قد يقبل عليها، و يحمله على الحذر، و قد كان يزيد في مناعـتها على أكثر من جهة واحدة، و الماء الذي حولها من وادي فاس يشــكل خندقا يحيط بتحصيناتها.

وتقدم حصون فاس الجديد شكلا جديدا متميزا، حيث بنيت هذه الأسوار على أرض مسطحة شديدة الانحدار في لجهة الجنوبية، لها سور يقترب من الشكل المستطيل، يدعمه سور مزدوج مزود بأبراج متجاورة بدنات السور إلى ثلث ارتفاعها، وفوق الجدران طريق للحراسة محمي بطنف من شراريف، وأكثر مداخل المدينة ملتوية.

---

(1) - العمري، المصدر السابق ، ص 116.

(2) - نفسه، ص116 .

(3) - ابن الأحمر، روض النسرين...، ص 20. أنظر كذلك:
- إ بن خلدون، العبر ... ، الجزء السابع، ص 195.
- روجي لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة د. نقولا زيادة سلسلة مراكز الحضارة، مؤسسة فرانكلين - للطباعة والنشر، مكتبة لبنان، بيروت ، 1967، ص33.

(4) - العمري ،المصدر السابق، ص116.
- محمد المنوني،" وصف المغرب أيام أبي الحسن المريني"، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، المغرب، العدد الأول، ص 139.

أ - السور الداخلي : *(شكل رقم:1-أ-2)*

السور الداخلي الذي لازالت أثاره باقية تظهر على يسار "ممر بوطويل" بداية من باب "الجياف "، و تنقطع هذه البقايا عند نهاية سوق فاس الجديد على مقربة من البويبة النازلة للبستان العمومي"جنان السبيل"، ثم يظهر نفس السور في واجهة باب "معمل السلاح الحسني" لينعطف خلف القصر الملكي، و ليحيط به خارج المدينة في شبه قوس تتوجه بدنات، إلى أن يختفي وراء الأسوار الحسنية المحيطة بمشور "بولخصيصات"، ثم يظهر بعد هذا حتى يتصل "بباب السمارين".[1]

إن من المؤكد أن السور الداخلي، هو من بناء أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة المرينية، و تتفق المصادر على بناء المدينة البيضاء، في سنة (674هـ/1275م)، وبداية البناء كانت بأسوارها. *(صورة رقم: 3-9-10-13)*

السور الأول وهو السور الداخلي الذي بني عند تأسيس المدينة، وهو خليط من الطين والرمل المكسوب في القوالب، وميزة هذه القوالب أنها أصلب من الحجر،كما قلنا لا يستطيع أي منجنيق اختراقها أو حتى تترك ثقب في هذا السور المنيع، وسمك هذا السور حوالي 2 م، وطوله 7 أمتار في المتوسط، وينتهي بشرفات هرمية طولها حوالي 90 سم، ويبلغ درب الدورية التفتيشية عرضيا 1،5م، ويتقلص إلى 1،25م على الأبراج، كما يتقلص إلى 90 سم، عن الحائط الذي يلعب دور الحاجز الخاص بطريق الدوريات الذي يبلغ علوه 50 سم، وعرضه 90 سم. *(شكل رقم:3-4)*

كما نجد على مسافة كل 23م، و في بعض الأحيان 26 م أبراج طول جوانبه من 7,5م ، إلى 6,10 م في الناحية، أما في النواحي الأخرى بـ 4,80 م، وتبرز بحوالي 2،20م عن السور، أما الأسوار الخارجية التي دعمت، فهي أقل ارتفاع من السور الداخلي بسمك لا يتعدى 1 م، وفي بعض الأحيان 50 سم، ومتوسط الارتفاع 5 م، و تصل قي بعض الجهات إلى 3 م، وفيما يخص ازدواجية السور تظهر بوضوح في

[1] - المنوني، ورقات... ، ص44.أنظر كذلك:
- إسماعيل عثمان عثمان، العمارة الإسلامية... ، ص 102.
- محمد مزيان ، فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، الطبعة الأولى، سلسلة رسائل و أطروحات، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية رقم 12، جامعة محمد الخامس ، 1986، الجزء الأول ، ص 270.

الناحية الشرقية للمدينة القديمة وفي الناحية الشمالية منها، وتقدر المسافة بين السور الداخلي والخارجي بمعدل 15 م. (*) *(مخطط رقم:4-5/ شكل رقم:2)*

ب – السور الخارجي:

السور الثاني للمدينة، أي السور الخارجي يظهر غرب ساحة التجارة، و يمر وراء الملاح إلى باب الجياف ثم يحيط بالبلد الجديد مطلا على شارع الحرية، و ينعطف حتى يشرف على البستان العمومي، إلى أن يتصل بباب "السبع" (باب المكينة).

و يلاحظ أن هيئة هذا السور تبدو عند نهاية شارع الحرية في شكل مخروط،*أنظر (صورة رقم:5)* و قد يدل هذا على أن هذا القسم من البلد أضيفت له زيادات مرينية ناشئة عن تكاثف السكان في هذه الناحية. *(مخطط رقم:1)*

كما يرجع تأسيس السور الخارجي إلى ملوك آخرين بعد أبي يوسف يعقوب المريني مؤسس الدولة المرينية، حيث جاء أن أبا سعيد المريني الأول بنى مدينة جديدة جوار البلد الجديد، و دار عليها ستارة خاصة. فقد فهم أن أبا سعيد عثمان دار سور البراني من فاس الجديد.[1] *(صورة رقم:6-4)*

أما السور الخارجي المحيط بالقصر المريني، و الممتد من باب البوجات حتى ساحة التجارة، فهو يرجع إلى عصر بناء أحمد بن أبي سالم المريني تبعا لرواية ابن خلــدون في العبر[2] أن السلطان أحمد بن أبي سالم المريني[3] بنى سياجا على البلد الجديد قاصدا لحصار جيش الأمير عبد الرحمن المريني، فهل هذا السياج هو السور الخارجي الدائر بهذا القصر؟. *أنظر (مخطط رقم:5)*

(*) ـ على حسب الدراسة الميدانية: لاحظنا أن المسافة بين السورين تصل إلى ثمانية أمتار في الناحية الشرقية، وفي بعض الجهات تفوق 25م

(1) ـ المنوني، ورقات... ، ص 45.أنظر كذلك:

ـ محمد مزيان، المرجع السابق،الجزء الأول، ص 271.

(2) ـ ابن خلدون، العبر ... ، الجزء السابع ، ص 340.

(3) ـ ابن الأحمر، روض النسرين... ، ص 36 .

2 - الأبــــــراج:

انتشرت في الأسوار وخاصة السور الداخلي، أي في السور الأول وفي المداخل الكبيرة بمختلف المقاسات، *(صورة رقم: 17-22-31)*حيث كانت طريقة توزيعها على سور مركزة على الناحية المقابلة للمدينة القديمة، *(مخطط رقم: 4)* أما من حيث العدد فلم نستطع إحصاءها ، وذلك راجع إلى نزوح العمارة الحديثة على هذه الأسوار و الأبراج بالإضافة إلى بعض من استعـــملها جزءً من مسكنه في العصور المتتالية، *(صورة رقم:10-12)* هذا من جهة، أما من جهة أخرى فتهديم بعض الأسوار في الناحية الجنوبية مع أبراجه، *(الصورة رقم: 31)* كل هذا وذاك قد حصر وصفنا لهذه الأبراج، وما نستطيع قوله أنه توجد أبراج مربعة، و أبراج مستطيلة [(1)] مع بعض التفاوت في النسب، *(صورة رقم: 12-13-14-15)* و المقاييس بطابقين علوي، وسفلي، وثلاث طوابق في بعض الأحيان ، وأمامنا جدول يمثل أهم القياسات: *(الشكل رقم: 5-أ-2)*

ولنا جدول يمثل أهم القياسات، أنظر الشكل.

القياسات / نوع البرج	البروز	الطول(الجهة الخارجية للسور)	الارتفاع
برج مربع	4,20م - 3,5م	4,20م	5م - 7م
برج مستطيل	4,20م - 3,5م	7م	5م - 7م

كما تتشابه في تصميمها المعماري الداخلي ، فهي تتكون من حجرة سفلية مقببة، فتحت بها باب على داخل المدينة، يصل بينها وبين مطافي الجند بدرج صاعد، إضافة إلى أن هذه الأبراج تنتهي بشرفات هرمية الشكل كما زودت بمزاغل رأسية لرمي السهام. *(شكل رقم:6-أ)*

(1). -H.TERRASSE, une Porte, … p 56,58.

3 - الأبـــــواب:

كانت لفاس الجديد، ثمانية أبواب[1] و ستة منها ذات أكثر أهمية، وأبواب محورية مثلها مثل باقي المدن الإسلامية، فنجد باب عيون صنهاجة، باب الوادي في السور الأول، بينما كان السور الثاني يشتمل على باب الجياف، والسبع[2].

أ – أبواب السور الأول:

* – باب عيون صنهاجة :

هذا الذي أشار إليه ابن الأحمر في روضة النسرين،[3] وهو باب السمارين الحالي الذي كان يعرف بهذا الاسم منذ عصر بن الخطيب[4]، وقد صحح المنوني خطأ ماسنيون الذي أعتقد أن ما كان يعرف بباب عيون صنهاجة عند تأسيس أبواب فاس الجديدة، فهو ما يعرف اليوم بباب السامكة [5]. ***(مخطط رقم:2-6/صورة رقم:21-22-23)***

* – باب الوادي :

قد كان يعرف باسم باب القنطرة منذ أوائل عصر المرينيين، وتأسيس المدينة البيضاء على ضوء ما جاء في الذخيرة السنية في حوادث سنة (679هـ)، وفيها بنى أبو يوسف في المدينة المذكورة الأسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة.***(مخطط رقم:1)***

ب – أبواب السور الثاني:

* – باب الجـــــــياف:

يسميه البعض" باب الجياد" وهو الواقع شرق باب السمارين. ***(مخطط رقم:3-1)***

---

(1) – روجي لوتورنو، فاس في عصر بني مرين ...، ص 38 .
(2) - المنوني، ورقات ... ، ص 46.أنظر كذلك:

- H .TERRASE , Une porte…, p 56, 64.
- M.H. BRESSOLLETTE, Op-Cit , p 251.

(3) - ابن الأحمر، روضة النسرين ...، ص20.
(4) - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، 1970، 1973، الجزء الثاني، ص11.
(5) - مؤلف مجهول، الذخيرة السنية ... ، ص 37.أنظر كذلك:
- ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص 20.

***-باب السـبع:**

المعروف حاليا بباب المكينة، وكان هو مدخل فاس الجديدة من جهة المدينة القديمة، أما الباب المقابل له – شمالا- فهو من بناء السلطان العلوي الحسن الأول. *(مخطط رقم:1-3/صورة رقم:17-18-19-20)*

***- باب الأمـر:**

سميت هكذا لقربها من ثكنة الحرس، وبسبب الاشتقاق الشعبي حولت بباب الأمر. *(مخطط رقم:8/صورة رقم:31-32)*

***- باب أقـدال:**

تقع في الغرب مقابل مكناس وقرب واد فاس في مدخل المدينة. *(مخطط رقم:3-7)*

جـ - وصـف الأبـواب:[*]

الباب هو الجزء الوحيد من الصور المبني من الحجر المنحوت، ينفتح بين برجين مربعين، وهو يؤدي إلى مجموعة من الدهاليز المظللة، المغطاة بصورة عامة بقبوات متصلبة، ويمكن إحصاء منعطفين أو ثلاث، وتعلو هذه الأبواب شرفات للرمي، وهذا ما لاحظناه في الأبواب -السبع، السمارين، أقدال- ، التي لها نفس طريقة الدفاع ، ونفس طريقة البناء، وهذا راجع إلى أن بنائهم تم في نفس الفترة سنة (675هـ/1276م) ويذهب تراس إلى نفس الرأي في بحثه حول الأبواب المرينية[1].

فبالرغم من التغيرات التي طرأت على باب السبع لتسهيل حركة المرور به في سنة (1331هـ/1912م)[2]، إلا أنها لا زالت محتفظة بنفس الطريقة الدفاعية الأولى، والتي لا زالت تظهر جليا للعيان، حيث فتحت مصاريع الداخلية المغطاة بصفائح حديدية مستطيلة مشكلة بصفائح معدنية أين يتم استعمال النار حين يجتاز الساحة الصغيرة المكشوفة على

---

[*] - ركزنا في الدراسة الوصفية على باب السبع وخاصة باب السمارين لسهولة الوصول إليهما ولأهمتهما العسكرية.

[1] - H. TERRASSE , Une Porte…, p 59.

[2] - M.H.BRESSOLLETTE , Op-Cit, p 245 - 258.
تطرق الباحث (برسلت / BRESSOLLETTE) إلى أهم التغيرات التي طرأت على عمارة فاس الجديد منذ تأسيسها إلى العصر الحديث لمزيد من الإطلاع.

السماء، وفيها يكمن خطر المدافعين المزودين بالقذائف، قبل مهاجمة ردوب مصاريع البوابة الداخلية، التي عليهم بدورهم فتحها و الدخول إلى الساحة، وقد بدا هذا التكتيك الدفاعي فعالا جدا. *(مخطط رقم:6.7)*

ولتفتح باب السبع الحالية على ثلاثة أقواس على الساحة الصغيرة المطلة على الجسر، أما في الأصل فقد كانت تتواجد فتحة واحدة ، الغربية للممر المنعطف، ومن المحتمل أن الممر المركزي قد شق خلال الأعمال الترميمية على البوابة في سنة(1302هـ/1884م)، أما الممر الشرقي فيرجع لسنة 1912م ، وتزيين القوس الشرقي أضيف من أجل أن يتوافق مع تصميم القوس الغربي. *(صورة رقم:17-18-19-20)*

أما باب السمارين خضعت لنفس التشويه المعماري الحديث، حيث شقت أولا طريق لسماح السيارات بالمرور، ثم أعيد سدها حيث حوّل ممر السيارات إلى الشرق بين الباب و السوق، كما حدثت بعض التشويهات بداخل ملاحق الباب. *(صورة رقم:24-27-28-29-30)*

وبالمقابل بقيت باب أقدال تابعة للقصر الملكي فهو في حالة جيدة محافظة على جمالها وفعالياتها الدفاعية، ونشير أنها لا تحتوي على ساحة مكشوفة على السماء مثلما هو موجود في باب السمارين وباب السبع. *(مخطط رقم:6-7)*

وفيما يخص باب الأمر الموجودة في الناحية الجنوبية في حالة لا بأس بها من العناية، *(صورة رقم:31-32-33)* وقد أعيد ترميم بعض أجزاء السور المحيط بها ، ويلاحظ أن الباب ذات تخطيط بسيط ، تدعم ببرجين، هدم أحدهما الأيمن، وذلك راجع لطبيعة الموقع الذي يتميز بالانحدار الشديد. *(مخطط رقم1-3)*

د- النظام الدفاعي للمداخل:

يحتوي المدخل على برجين مصمتين عرض كل واحد منهما 2.5م، و يبلغ عرض واجهة المدخل 9 أمتار أما ارتفاع واجهة المدخل فيصل 8 أمتار وعمق الباب فيصل20 م، يضم المدخل أربع غرف مسقفة، وغرفتين غير مسقفتين، ولاجتياز المدخل يتم أولا بعبور ممر مغطى بقبو أسطواني مربع التخطيط، قبتها تقوم علة حنايا ركنية مبنية بمادة الآجر، هذه الحنايا تقطع أركان المربع لتحوله إلى مثمن.

ومن ناحية المدخل يوجد فتحة عقدها منكسر تؤدي إلى غرفتين متصلتين في بعضهما بعقد (شوه أثناء عملية الترميم فيما يخص باب السمارين *صورة رقم 28*، وعقد دائري فيما يخص باب السبع) *أنظر الصورة رقم 19*، هاتان الغرفتين مغطتان بأقبية، و تتصلان بغرفة ثالثة للمدخل بواسطة ممر عقده متجاوز و منكسر (*صورة رقم 29)* ، هذه الغرفة مربعة التخطيط كذلك، غير مسقفة، وللمرور إلى الغرفة الثالثة نلتف يمينا لتستقبلنا وهي مربعة التخطيط قبتها قائمة على تجويفات مقوسة ، أو ما يعرف بالحنايا الركنية[*]، وللمرور إلى الغرفة الرابعة نمر بغرفة غير مسقفة مربعة الشكل ملتفتا إلى اليسار، وهي مسقفة بأقبية أسطوانية، تؤدي إلى داخل المدينة ، وهذا النظام الدفاعي موجود في جميع الأبواب المرينية بفاس الجديد، وأعني باب السمارين *(الصورة رقم:30)*، وباب السبع وباب أقدال، هذا ما يؤكد أن هذه الأبواب بنيت في وقت واحد.

هـــ - زخرفة واجهة المدخل :

واجهة المدخل تظم عقدين متراكبين فوق بعضهما، العقد الأول منكسر كما هو الحال في مداخل الأبواب (باب السبع، باب السمارين، باب أقدال وباب الأمر) ، أما العقد الثاني الذي يلويه ويعلوه فهو مفصص بفصوص مزدوجة دائرية ومتناوبة، يطلق عليه العقد الرخوي ، تعلوه زخرفة من المعينات المتشابكة، أما كشوات العقد تحتوي على زخارف نباتية رشيقة تتمثل في مراوح نخلية بسيطة ومتراكبة موجودة في جميع واجها ت مدخل الأبواب السالفة الذكر إلى في باب السمارين. *(صورة رقم 19 ،22 ،24 ، 33،25، 34) ، الشكر رقم 13أ - ب).*

[*] - نجد أن تسمية الحنايا الركنية (المثلثة والمقوسة القائمة في أركان المربع المسقف بقبة) بالمقرنصات هي تسمية غير دقيقة بالرغم أنها التسمية الشائعة عند جميع الباحثين وعلماء الآثار، ويجدر بنا تسمية تلك الحنايا بأسمائها، أي الحنايا المقوسة أو المثلثات الكروية. لمزيد من الإطلاع أنظر :

- كمال حيدر، العمارة العربية الإسلامية خصائص التخطيط للمقرنصات، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص 13 – 26.

خلاصة الـفصل:

من خلال دراستنا للمادة المصدرية والأثرية المتعلقة بمدينة فاس الجديد ، ولعماتها العسكرية، نستنتج أن المدينة بنيت بنفس الشروط والظروف ، وتظم كل مرافق المدينة الإسلامي، بيد أن السبب الأساسي لذلك يكمن في رغبة الحكام المرينيين يصفي فاس بطابع سياسي وعمراني متطور يهدف إلى خلق كيان جديد يوحد المديننة والمجتمع الفاسي تحت سلطة واحدة ، وبداية تجسيد فكرة مشروع إعادة توحيد بلاد المغرب.

وقد لعبت الأسوار دورا كبيرا في حياة السياسية للدولة المريني، وهذا ما نلمسه في مدينة فاس الجديد ، لقد كان الحد الفاصل بين السكان و السلطة الملكية، وهذا المعنى كان يحمي المدينة من الثورات المحلية، إضافة إلى وجود ظاهرة جديدة وهي ازدواجية الأسوار العلية في عملية البناء، ونفس الشيء نجده في الأسوار الخارجية، وقد كان السور الخارجي محصن بأبراج المراقبة وممشى محمي بشرفات هرمية أو مدببة، وأبواب ضخمة، وباعتبار هذه الأخيرة نقطة ضعف السور ونظرا لكونها تشكل الحلقة التي تربط المدينة بالعالم الخارجي، فقد كانت دائما محل عناية خاصة ، بنيت بمواد شديدة الصلابة والمقاومة للعوامل الخارجية، وتتجلى فيها بوضوح الزخرفة الفنية المغربية والأندلسية، وبذلك تعدت الصبغة العسكرية التي أنشأت من أجلها و التي تتمثل أساسا في حماية المدينة ، ومراقبة، ورصد كل غزو محتمل ضد الكيان الحضاري، بل كانت يقام فيها وظائف اقتصادية ومالية من خلال مراقبة السلع من خلال إخضاع الضرائب على التجار، كما تؤدي الوظيفة الاجتماعية من خلال مراقبة التجار ومنع البعض منهم من الدخول.

وقد لعبت الأسوار عقبة في وجه توسيع مجال المعماري للمدينة، وهذا يولد ضغط على السكان مما يؤدي إلى الاندفاع خارج الأسوار بعد هدم أسوار منها، وبناء أخرى *(صورة رقم: 10، 9)*، مما يؤدي إلى الصعوبة في رصد مختلف التطورات والتحولات المرافقة لعملية ترميمها.

ويبقى البحث مفتوح إلى الدراسات وتضافر مجهودات الباحث التاريخي والأثري إلى حل العديد من الألغاز المرتبطة بالعمران العسكري للمدينة.

الفصل الثانـي

مدينـة المنصورة وإستحكاماتها العسكريـة

.

- ✓ **أولا :** الإطار الجغرافي.
- ✓ **ثانيا :** تأسيس المنصورة وأسبابه.
- ✓ **ثالثا :** التحصينات العسكرية.

- أولا : الإطار الجغرافي

إن الحديث عن موقع المنصورة المرينية، هو مجال مشترك بين مدينة تلمسان الزيانيين في أهمية الموقع الطبيعي و الاقتصادي ، لأن المرينيين لم يختاروا موقع مدينتهم و إنما اختيارا موضعها بالنسبة للمدينة ، بحيث يحقق لهم هذا الموقع الأغراض الأمنية والعسكرية[1] ، *(صورة رقم:37-38)* والمجال العام لمدينة تلمسان يتوفر على كل الخصائص الطبيعة التي تسمح بالقيام بتجمعات بشرية ، وتيسير الحياة بها، و المنصورة مدينة ملكية وهي العاصمة الثانية للمرينيين في المغرب الأوسط، وتبعد عنها نحو أربع كيلومترات غربي تلمسان[2]. *(خريطة رقم:1-6)*

تشغل تلمسان حوضا داخليا ، يمتد بين البحر الأبيض المتوسط، والسهول المرتفعة الاستبسية تفصلها عن البحر سلاسل جبلية ساحلية تمتد من الغرب إلى الشرق[3]، ويذهب إلى أن كلمة تلمسان في لغة زناتة مركبة من كلمتين : تلم، وسين، ومعناها تجمع الاثنين البر والبحر[4]، وهي جبال سبع شيوخ ، وتسالا بني شقران ، وبينها وبين السهول المرتفعة سلسلة من الجبال، هي جبال تلمسان، والضاية، وسعيدة، وفرندة[5]. *(خريطة رقم:16)*

وهذه الأخيرة ساعدت على تساقط كميات معتبرة من الأمطار، فضلا على أنها تتكون من صخور جيرية تعود إلى العصر الجوارسي ، ومن خصائص هذه الصخور تجمع المياه، وتخزينها في باطن الأرض، وبذلك تعد هضبة لالاستى، والمـــشرفة عـلى

---

(1) - السلاوي، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص 91، 124. أنظر كذلك:
- عبد العزيز لعرج ،المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتورة، لجامعة الجزائر، قسم الآثار،1999، الجزء الاول، ص 100-101.

(2) - يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ،الجزء الأول، ص85- 86.

(3) - عبد القادر حلمي، جغرافيا الجزائر، دمشق، 1986 ص 40 وما بعدها.أنظر كذلك:
- A.BEL , Tlemcen et ses Environs, Toulouse , 1915, P 1.
- G. MARÇAIS, Les villes D'art célèbres : Tlemcen, Librairie, Renouard. H. Laurens, Paris.1950, p 10.
- A. DHINA, Le royaume AbdElwalide è l'époque d'Abou-Hammou-Moussa 1er er d'Abou-Tachfine, Alger, 1985, p 31

(4) - عبد الرحمن بن خلدون، العبر... ،الجزء السابع، ص 156 - 157 .

(5) - عبد القادر حلمي،المرجع نفسه، ص 40.

المنصورة، وتلمسان خزانا كبيرا بما توفره من ينابيع. و يزيد ارتفاعها عن 1020م عن مستوى سطح البحر، وتشرف على المدينة من جنوبها، فهي بذلك ستار طبيعي ودفاعي يحمي ظهرها، ويستطيع الواقف بأعلاه أن يرصد جميع التحركات داخل المدينة وخارجها[1]. *(صورة رقم:37)*

أما المناخ فهو قاري ممطر شتاءً، وجاف صيفا، ولكنه يتميز بالاعتدال في العموم ، هذا ما ساعد على تكوين غطاء نباتي جيد يعد مصدر لفلاحة الأرض وسقيها، ومن جهة أخرى فإن مدينة المنصورة مفتوحة من الشمال، والشمال الغربي على منبسط من الأرض على هيئة سهل واسع خصب صالح للزراعة ، وهو امتداد لسهل "حنايا" ، وتستفيد منه المدينة في تأمين احتياجاتها الغذائية[2].

لكن لم يشر أي مؤرخ إلى أهمية اختيار السلطان المريني لهذا الموقع إلا أنه يمكن لنا أن نرد بعض الأسباب التي يمكن أن يكون لها دورا كبيرا في عملية اصطفاء هذا الموقع دون غيره، خصوصا إذا علمنا أن اختيار موقع المدن الحربية يتم أساسا على المبدأ الاستراتيجي، أو فكرة التكتيك.

لاشك أن تأسيس مدينة المنصورة واختيار موقعها كان محل تفكير عميق من مؤسسها ، كما أن الظروف العسكرية التي يحيط به يتطلب منه التمعن في الخطوط التي يخطوها لتحقيق هدفه، كما كان لبني مرين تجارب سابقة في مجال بناء المدن بصفة عامة، والمدن العسكرية بصفة خاصة، لذلك راعى مؤسسها في الاختيار لموضعها المكان الإستراتيجي الملائم لحالات الدفاع والهجوم والانسحاب، وهي فكرة ذات أهمية بالغة عند تأسيس المدن و اختيار موقعها، فقد خضعت جل المدن الإسلامية في تأسيسها إلى هذه الفكرة[3].

فمن حيث الجانب العسكري الإستراتيجي، فإن موضع مدينة المنصورة يتصل اتصالا مباشرا بالمغرب المريني وعاصمته فاس، وهذا ليؤمن خط الرجعة، وكذلك التابعة

---

[1] - الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، بنعكنون، الجزائر، 1995، ص 29 - 45.

[2] - جمال حمدان، جغرافيا المدن، الطبعة الثانية، القاهرة ،1972 ، ص 9 -30 .

[3] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 45.

ليقي ظهره من ضربات الأعداء المفاجئة حيث قد تم السيطرة على القبائل، والمدن للزيانيين الواقعة غرب عاصمتهم تلمسان، وهذا كفيل بتأمين خط الاتصال بعاصمتهم فاس بسهولة، كما أن ذلك يوفر لهم الإمدادات المختلفة التي قد تتطلبها إقامتهم.فضلا عن ذلك فإن المواضع الأخرى المحيطة بتلمسان لا تفي بمتطلبات الأمن والدفاع ، فالجهة الشرقية من تلمسان كانت مناطق زيانية وحفصية، وهذا ما يتعارض مع التفكير العسكري السليم، والجهة الشمالية عبارة عن منخفض تطل عليه مدينة تلمسان، وهو مفتوح في نقاط عديدة، وعليه فإن الناحية الشمالية والشرقية غير صالحة لإقامة معسكر أو مدينة مثلما تتضمنه الجهة الغربية، أو الجهة الجنوبية، فهي عبارة عن كتل جبلية صخرية تحتلها هضبة لالاستي الكبيرة بأعالي تلمسان، وبالتالي من العسير إقامة مدينة عليها.

إن المكانة المرموقة التي تحتلها مدينة تلمسان منذ القديم يرجع الفضل إلى موقعها، إذ تقع وسط شبكة من الطرق التجارية العظمى[*]، وهذا الموقع الذي تميزت به تلمسان جلب إليها أطماع سلاطين بني مرين، لذلك لمّا عزم أبو يعقوب على تشييد مدينته، لم يفكر في بنائها في مكان بعيد عن تلمسان إذ كان يقصد أولا شل حركتها، وذلك بقطع الإمدادات وجعلها في معزل عن كل منفذ، ثم انتزاع المكانة المرموقة التي حازتها تلمسان في مجال التجارة .

تعتبر تلمسان مفتاح إفريقيا[1] و كان بناء المنصورة على أبواب تلمسان و إصرارا منهم على امتلاك المفتاح دلالة على أهمية المنطقة لديهم، ومكانتها في مشروعاتهم السياسية الطموحة ، وباعتبار تلمسان بوابة إفريقيا ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار[2]. كما أنها تعد قاعدة المغرب الأوسط، ودار مملكة زناتة[3]، ونظرا للأسباب التي ذكرناها أصبح من الضروري على أبي يعقوب أن يبني مدينة قرب تلمسان باعتباره

(*) - **أهم الطرق التجارية** : الطريق الأولى تمر عبر الهضاب العليا بالجريد التونسي ثم الأوراس منتهية بتازا مارة بمدينة تلمسان ، الطريق الثاني تنقسم إلى شطرين ، الأول يربط شواطئ الدولة الزيانية لميناء هنين بشواطئ أوروبا ، الثاني يربط السواحل بالصحراء وبلاد السودان أنظر :
- دهينة عطاء الله، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، الجزء الثالث، ص477- 478.

(1) - G. MARCAIS, Tlemcen …, p 10.

(2) - إبن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 26 .

(3) - أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزئ من كتاب مسالك وممالك ، نشره دوسلان، مطبعة الدار الجديدة، باريس، 1956، ص 77.

الموقع الملائم المتوفر على الإستراتيجية اللازمة لتشييد مدينة وظيفتها الأساسية وظيفة حربية.

واحتلال تلمسان نقطة رئيسية في تحقيق المشروع المريني، والقضاء على الوجدود الزياني وإستراتجية المشروع المريني في إعادة توحيد المغرب تحت رايتهم مثلما كان عليه الحال في العهد الموحدي، واحتلال تلمسان، أي القضاء على الوجود الزياني نقطة رئيسية في تحقيق المشروع باعتبارها قاعدة المغرب ، أو كما قال الرشيد البرمكي " وهي باب إفريقيا ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار".

-ثانيا : تأسيس المنصورة وأسبابه

1 - تأســـــيس المنـــصـــورة:

تأسست المنصورة نتيجة للصراع الزياني المريني، *أنظر(الجدول رقم: 2)* ورغبة المرينيين في الاستيلاء على مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، وذلك في إطار إعادة توحيد المغرب تحت رايتهم.

لقد كانت تلمسان عرضة للصراعات منذ زمن قديم قبل أن تصبح قاعدة المملكة يغمراسن ، فقد هاجمتها صنهاجة حليفة العبيديين في القرن الرابع ، ثم أسس المرابطون في نهاية القرن الخامس معسكرهم بتاجرارت مقابل أقادير في منتصف القرن السادس عندما أجهز الموحدون على المرابطين فقضوا على ذلك الحصن، كما هاجمهم الحفصيون في القرن السابع بعد أن أصبحت عاصمة بني عبد الواد[1].

يكن يمغراسن مؤسس الدولة التي عاشت أكثر من قرنين ، كان شديد الحذر من قوة جيرانه الغربية ، وقد تحقق ذلك في حصار المرينيين الطويل لمدينة تلمسان.

وفي عهد يعقوب يوسف ، أقبل في الثاني من شعبان سنة (698هـ/1298م) غازيا لتلمسان في حملته الخامسة عليها ، "فنزل السلطان بساحة تلمسان ، فـأناخ عليها بكلكله وربض قبالتها على ترائبه، وأنزل محلته بفنائها، وأحاط بجميع جهاتها".

[1] -G.MARCAIS ,Tlemcen…, p 52-57.

" لقد تحصن يغمراسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار ... فأدار السلطان يوسف سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان، ثم أردف في ذلك السور من ورائه بأحفير بعيد المهوى ، وفتح فيه المداخل لحربها، ورتب على أبواب تلك المداخل مسالح تحرسها .... وأخذ بمخنقها... واستمر مقيما على ذلك مائة شهر".

ظل أبو يعقوب محاصرا تلمسان في الوقت الذي كانت جيوشه تجوب مناطق المغرب الأوسط مستولية عليها في فترة قصيرة ، على جميع بلاد بني عبد الواد ، وبلاد بني توحين ، وبلاد مغراوة ، وبايعه ابن علان صاحب بلاد الجزائر.

ولمّا دخل فصل الشتاء من سنة اثنين وسبعمائة، "اختط إلى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه ، وقبابه قصرا لسكانه ،و اتخذ به مسجدا لصلاته، وأدار عليها سورا يحرسهما، ثم أمر الناس بالبناء وراء ذلك ...."، "وأمر ببناء الحمامات، والفنادق، و الماريستان، وبنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير، وشيد له منارا رفيعا على رأسه تفافيح من ذهب....، ثم أدار السور على ذلك كله، فصارت مدينة عظيمة استمر عمرانها، ورحل إليها التجار من جميع الآفاق، وسمّاها المنصورة، فكانت من أعظم أمصار المغرب وأجملها"، إلى أن خربها آل يغمراسن عند مهلك السلطان يوسف، وارتحال جيوشه عنها[1].

إن ما ذهب إليه ابن خلدون في حديثه السابق عن بناء سياج من الأسوار حول تلمسان قبيل الشروع في تأسيس مدينة المنصورة، من قبل أبي يعقوب، قد يحمل شيئا من الصحة، إذا ما اعتبرنا أن الأسوار التي بناها اقتصرت على الجهة الغربية لمدينة تلمسان، والتي ستوكل لها مهمة حماية مدينة المنصورة، حيث ينطلق في بنائها بعد أن يتم الخطوة الأولى، و المتمثلة في بناء بعض الأسوار غرب تلمسان السالفة الذكر، ويجب أن لا ننسى أن هذه الأسوار بنيت قبل تخطيط مدينة المنصورة ، فبناؤها دام ثمانية أشهر على التقدير، أي من بداية الحصار في شعبان سنة (698هـ/1299م) ، حتى شهر ديسمبر باعتباره بداية فصل الشتاء، وهذا إذا أخذنا بقول ابن أبي زرع بأن القصر بُني قبل فصل

(1) - السلاوي ، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص 9 .

الشتاء من سنة (698هـ)، وهو أول ما اختط بمدينة المنصورة[1]، لذلك إذا كان قصد ابن خلدون إحاطة مدينة تلمسان جميعها بأسوار ، فهذا أمر مستبعد، إذ لا يمكن إنجاز بناء ضخم مثل هذا في ظرف ثمانية أشهر أو حتى في ظرف سنة، فهي فترة قصيرة جدا ، خاصة إذا علمنا بالظروف التي سادت في تلك الفترة، فهذا أمر لا يمكن تصديقه إلا إذا كان المقصود به الجهة الغربية لمدينة تلمسان، وقد أدى هذا السور دورا هاما في حماية المدينة الناشئة من أي هجوم زياني قد تتعرض له أثناء انشغال المرينيين بالبناء والتشييد ، وعليه تستنتج أن المرينيين كانت لديهم معطيات جعلتهم يقومون بإستراتيجية عملية لغزو تلمسان.

كما اتفق جميع المؤرخين على أن بداية تأسيس المدينة كانت في سنة (698هـ/1298م)[2]، باستثناء المؤرخ السلاوي في كتابه الاستقصاء حيث يذكر سنة (1303/702م) أعتبرها بداية لوضـــع الأســس الأولـــى للمـــدينة[3]، في حـــين يتخذ المؤرخون الآخرون هذه السنة بمثابة تاريخ الانتهاء من بناء المدينة، إذ فيها يأمر أبو يعقوب بإحاطة سور عظيم حول المدينة[4].

ويتفق ابن أبي زرع، وابن خلدون في تمصير المدينة وتمدينها بإحاطتها بالسور الذي يعد إحدى خصائص المدينة الإسلامية حيث يقول" وبنى تلمسان الجديدة ومدنها"[5]. ***(مخطط رقم:6)***

ومما تجدر الإشارة إليه أنه ليست لدينا أدنى المعلومات حول مواقع المنشاءات في مدينة أبي يعقوب بالرغم أنه اعتنى وبالغ في أعداد مدينته إعدادا لائقا بمقامه ومقام دولته، وهذا راجع لسببين :

---

(1) - عبد الرحمن بن خلدون، العبر... ، الجزء السابع، ص 196.
(2) - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ... ، ص 511. أنظر كذلك:
- ابن الأحمر، روضة النسرين... ، ص49.
- يحيى ابن خلدون، المصر السابق، ص 209.
(3) - السلاوي، المصدر السابق، الجزء الثالث ، ص 79.
(4) - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، الجزء السابع، ص 452.
(5) - ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 512.

- **السبب الأول** : أن هذه المصادر لا تذكر موضع، أو اتجاه، أو مرفق من المرافق، والذي يتم إما بتحديد موضعها بالنسبة للمدينة ككل ،أو بالنسبة لأثر ذا أهمية كبيرة كالجامع مثلا، أو مدخل من مداخل المدينة.

- **السبب الثاني**: لكون المدينة تم تخريبها من طرف الزيانيين بعد خروج المرينيين منها، وارتحالهم إلى المغرب الأقصى إثر مقتل أميرهم مؤسس المدينة، سنة (706هـ/1307م)[1] .

لقد تعددت أسماء المدينة الجديدة، واختلفت الروايات حولها، فابن خلدون عبد الرحمن يذكر للمدينة أسماء أحدها "المنصورة "، وفي موضع آخر "البلد الجديد "[2]، ويتفق معه كل من أخيه يحيى، والسلاوي في تسميتها بالمنصورة[3]، أما أبن زرع، و ابن الأحمر فيشيران إليها مثل ما ذكرنا باسم " تلمسان الجديد"، وقد ورد هذا الاسم في درهم مريني يرجح أنها ضربت بالمدينة، في الفترة التي كانت فيها المنـــصورة عاصمة للمرينيين، وأطلق عليها كذلك اسم المحلة "المنصورة"،[4] ويقصد بالمحلة المنصورة الجيوش المنصورة، غير أن الاسم الذي ظل متداولا إلى اليوم هو " المنصورة"، في معظم المراجع الحديثة[5] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المدينة المنصورة مرت بثلاث مراحل، الأولى في عهد أبي يعقوب سنة(698هـ/1298م إلى 706هـ/1307م) ودامت ثماني سنوات .

والثانية هي في عهد أبي الحسن علي سنة (735هـ/1335م إلى 754هـ/1348م) ودامت ما يقرب من أربعة عشر سنة.

---

(1) - عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر ... ، الجزء السابع ، ص 196.

(2) - نفسه، ص 458.

(3) - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 210 .أنظر كذلك:
- السلاوي، المصدر السابق، الجزء الثالث ، ص80.

(4) - ابن الحاج النميري ، فيض العباب ...، ص 402- 484 -485.أنظر كذلك:

- J.BARGES, Compliment à L'histoire des Béni-Zeiyan, Rois de Tlemcen Laroux, Paris 1887 p 256,

(5) - CH.BROSSELARD, « Les Inscriptions Arabes de Tlemcen », revue Africaine, n° 17, 1859, p 324

أنظر كذلك:

- G. et W .MARÇAIS, Les monuments …, p 193.
- A.BEL , Op-Cit , p 59.

والثالثة في عهد أبي عنان فارس ودامت من ثلاث إلى أربع سنوات .

وبذلك تحولت المنصورة إلى عاصمة المغربين الأوسط والأقصى وحلت محل تلمسان، الزيانية وفاس المرينية، واتخذها المرينيون عاصمة جديدة لدولتهم ومركز لحكمهم ، قرابة نصف قرن في ثلاث فترات متقاطعة.وكان طبيعيا أن تحظى مدينة المنصورة بعناية سلاطين بني مرين واهتماماتهم، وهي العاصمة الجديدة لدولتهم، وإذا كانت المنشآت الأولى التي أقامها أبو يعقوب قد خربت أكثرها على يد الزيانيين، فإن أبا الحسن أعاد إحيائها كما شيد منشآت جديدة تعبيرا عن قوة الدولة، وازدهارها، وهو ما تؤكده النصوص التاريخية المعاصرة، و المتأخرة[1].

- الجدول رقم (2) : يبين سنوات الصراع

بين الدولتين المرينية والزيانية من خلال كتاب الاستقصاء[2]

والحديث عن أحداث هذا الصراع لا تنتهي لذا نسجل جوانب المواجهة بين الدولتين في جدول مركز على نشأة الحدث، والقائد، ونتيجة الحادثة رغم أن المبادرة للهجوم كادت أن تكون مرينية.

ج 3 / ص	السنة	القائد	ملاحظات
18	655هـ/1257م	أبو بكر بن عبد الحق	انهزم يمغراسن بن زياد
20	657هـ/1259م	يعقوب بن عبد الحق	واجه هجوما ليمغراسن انتهى حتى كل دمان بالقرب من تازا
26/25	666هـ/1260م	يعقوب بن عبد الحق	هزيمة يمغراسن في تلاغ وكاد ينتصر لأبي دبوس آخر الموحدين.

[1] - بن مرزوق، المصدر السابق ، ص 402 - 403 - 447 – 448.أنظر كذلك:
- عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ... ، الجزء السابع، ص 534- 537 .
- السلاوي، المصدر السابق،الجزء الثالث، ص 114.

[2] - نفسه، الجزء الثالث والرابع.

32/31	670هـ/1271م 1272م	يعقوب بن عبد الحق	قاوم عسكر هذه الحملة " بلغت 30 ألف" اللقاء كان بواد اسلي.
54	679هـ/1280م	يعقوب بن عبد الحق	هزيمة يمغراسن بالملعب بأحواز تلمسان
69	689هـ/1290م	يوسف بن يعقوب	حصار عثمان بن يمغراسن بتلمسان
76	694هـ/1295م	يوسف بن يعقوب	خرج لغزو تلمسان ، لكنه توقف لتحصين تاوريرت التي كان نصفها للسلطان يوسف ونصفها لعثمان بن يمغراسن ولكل واحد منهما بها عامل من ناحيته
	695-696هـ 1297/1296م	يوسف بن يعقوب	حصار فاشل لندرومة وتلمسان.
	697هـ/1298م	يوسف بن يعقوب	حصار فاشل لتلمسان بعد إعادة بناء وتحصين وجدة(*). تكليف جند " تاوريرت و وجدة" بشن الغارات على أعمال تلمسان.
79-80-85	698هـ/ 1299م	يوسف بن يعقوب	حصار تلمسان :"أخذ بمخنقها... حتى لم يخلص إليها الطيف" طوال" مائة شهر"، ثم خلالها بناء المنصورة " مدينة عظيمة استبحر عمرانها"هلك السلطان خلال الحصار قتيلا.
105/104	714هـ/1314م	عثمان بن يعقوب أبو سعيد	حصار فاشل لوجدة ثم تلمنسان

(*) - مدينة كبيرة البساتين والمزارع ومياه العيون ، وتعد من أخصب الأراضي، تقع على الطريق المار بين بلاد المغرب وسجلماسة. أنظر:
- البكري، المصدر السابق، ص 87.

117	730هـ/1330م	عثمان بن يعقوب أبو سعيد	نهوض إلى تلمسان وتوقف في ملوية
120	733هـ/1333م	أبو الحسن على	غارة زيانية انتهت إلى تاوريريت لمناصرة أبي علي منافس أبي الحسن
126/124	735هـ/1335م 737هـ/1337م	أبو الحسن علي	اتصل الحصار مدة ثلاث سنين وانتهى باقتحام تلمسان.
155	748هـ/1347م	أبو الحسن عي	غزو افريقيا و ال استيلاؤه على تونس
182	753هـ/1352	أبو عنان	افتتاح تلمسان مجددا
201	758هـ/1357م	أبو عنان	غزو إفريقيا
ج4 / ص			
4	760هـ/1359م	أبو بكر ابن أبي عنان	افتتاح تلمسان
33	761هـ/1360م	أبو سالم بن أبي الحسن	افتتاح تلمسان
43	763هـ/1362م	عبد الحليم بن أبي علي (مطالبا بالعرش ضد تاشفين بن أبي الحسن)	تمكن من الوصول إلى فاس ومحاصرتها خلال سبعة أيام بمساعدة من الزيانيين
59/57	771هـ/1369م 774هـ/1373م	أبو فارس عبد العزيز	احتلال تلمسان ووفاة السلطان بها
68/67	785هـ/1383م	أبو العباس أحمد بن أبي سالم	تخريب تلمسان على إثر هجوم أبي حمو بني يوسف الزياني مع أولاد حسين من عرب معقل على تازا وتخريب قصر السلطان بها

77/76	795هـ/1393	أبو العباس أحمد بن أبي سالم	افتتاح تلمسان
91/90	812هـ/1409م	أبو سعيد عثمان ابن أبي العباس	بلوغ جيش لأبي فارس الحفصي صاحب تونس مشارف فاس ، انتقاما إثر التدعيم المريني لأحد منازعيه في العرش.

2 – أســـباب تأســـيس المنـــــصورة:

أ – الســــــــبب العســـــــكري:

بعد أن فشلت الغارات المرينية العديدة التي شنها أبو يعقوب وأسلافه من سلاطين المغرب، أربع محاولا ت للظفر بتلمسان فقد باءت كلها بالفشل ، فذهب إلى البحث عن وسيلة تحطم مناعتها و تكسر تحصيناتها ، فجاءت فكرة الحصار بضربه على مدينة تلمسان ومنعها من كل تمويل خارجي، وذلك ببناء معسكر يأوي الجيوش المرينية لتكون مهمتها السهر على دوام الحصار. وقد تعمقت فكرة الحصار عند أبي يعقوب نتيجة للصعوبات التي يواجهها يوميا في مواجهته مع الزيانيين، وهذا سيحول دون فتح المديـنة في مدة قصيرة، وسيتطلب ذلك سنوات طويلة، وهذا ما دفع فـكرته في بناء مدينة عسكرية، وقد اتفقت جميع المصادر التاريخية على أن إنشاء المدينة كان بسبب ذلك الحصار الطويل المضروب على عاصمة بني زيان منذ سنة(698هـ/1298م) إلى سنة (706هـ/1307م)، وقد دام ثمان سنين باستثناء ابن الأحمر الذي أشار إلى أن مدة الحصار لم تدم أكثر من سبع سنين[1].

ب – السبب الطبيعي :

نظرا للظروف المناخية التي تعرفها تلمسان والمتمثلة في المناخ القاري الذي يتميز في الشتاء بالبرودة القاسية والأمطار الغزيرة، وتساقط بعض الثلوج خاصة في المرتفعات، وفي الصيف يكون الجو حارا وجافا[2]، فلم يكن في استطاعة الجيوش المرينية المبيت تحت الفساطيط والخيام أمام الوضع المناخي القاسي طوال فصل الشتاء ، والذي يمتد من هر نوفمبر إلى شهر ماي[3] ، لذلك أمر السلطان أبا يعقوب ببناء قصر له

---

(1) - ابن الأحمر، روضة النسرين ...، ص 49 - 50.

(2) -L .PIESSE, Tlemcen, Revue d'Afrique Française N°51 , Maison Quantin, Paris , 1988, p 345.

(3) -R .L LAWLESSE and G.H.BLAKE, Tlemcen Continuity and Change in Algerian Islamic town , Bowker London and New-york, 1976, p 11- 14.

عند حلول فصل الشتاء، ثم اتخذ مسجدا محاذيا له، وبعد ذلك تلاهما ببناء المرافق الأخرى[1].

جـ – السبب السياسي:

بعد انهيار سرح الإمبراطورية الموحدية قامت ثلاث كيانات سياسية مستقلة، ومن هنا سعت كل واحدة من تلك الدول إلى حسم الأمر لصالحها، فمن هذه الزاوية يمكن تحليل الصراع المريني الزياني بالمنافسة السياسية ، حتى لا ندخل في التفاصيل وجزئيات تلك الضغينة التي جمعت المرينيين والزيانيين *أنظر جدول الصراع المريني الزياني.*

أولا وقبل كل شيء، لابد من الإشارة إلى أن الدولة المرينية والزيانية رغم انتمائهما إلى عصبية واحدة وهي زناتة، فقد كانتا متنافستين، ومن ثم فكثيرا ما لجأتا إلى المكائد، والدسائس للقضاء على بعضهما البعض، كما لجأتا إلى إجهار الحرب علانية، إلا أنه لم تستطع أي منهما حسم الموقف لصالحها[*].

كانت أنظار المرينيين منذ عهد أبي يوسف يعقوب تتجه خاصة إلى مدينة تلمسان، فهناك سؤال جوهري يفرض نفسه إذا، وهو لماذا هذه الحاضرة بالذات ؟ ، لقد فسّر د.عبد الرحمن الجيلالي تلك العداوة بين الطرفين تفسيرا سياسيا ، فهو يقول: " لمّا أشرفت سفينة العراك والحرب بالأندلس على شفى المنحدر والغرق، وانكشفت لملوك بني مرين أن ساعة انهزام دولة الإسلام هناك قد حانت أو كادت، وكان شعور الدولة المرينية بالمسؤولية العظمى الملقاة على كاهلها يومئذ قد تضاعف بحكم أنها سيدة العدوتين، وأنها وارثة عرش الموحدين الذي طالما خضعت لعرشهم الأندلس بما فيها من رعايا وملوك، وشريف وصعلوك، فساءها أن تقع الكارثة بالأندلس على مشهد ومسمع منها، بل ومن العالم الإسلامي أجمع دون أن تكون قد اتخذت لهذه الحالة المتوقعة عدتها واحتاطت على الأقل لكي لا تتهم بين الدول بالإهمال وعدم الصلاحية للملك ، فاهتمت وقتئذ بالعمل على مزيد من الاقتراب من الساحل الشرقي باتخاذ عاصمة ثانية لها بالمغرب الأوسط لتيسر

---

[1] - ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص. 511.

[*] - لقد كانت الدولة المرينية تغير من طبيعة سياستها العدوانية تلك ، وذلك حسب قوتها أو وضعها ، ومن ثم يمكننا القول أن العلاقة بين الطرفين مرت بعدة مراحل.

لها الدفاع عن أرض الأندلس، فحاولت فتح الجزائر من ناحيتها الغربية، ويممت تلمسان فهاجمتها عدة مرات..... [1].

ثم يقول : " وفي ربيع الثاني سنة (687هـ/1288م) عزم السلطان يوسف بنو يعقوب المريني على المسير إلى غزو تلمسان وفتحها بسبب إيواء صاحبها لبعض الثوار على دولة مرين..... ، وإن كل ما كان بعد ذلك من عداوة وضغينة بين بني زيان، أو واقعة حربية إنما كان منشؤها هذه الحادثة "[2] .

ودائما في نفس السياق يضيف د. الجيلالي : " حمل السلطان وأبو سالم المريني على تلمسان انتقاما من سلطانها الزياني لإيوائه الزرد إلى عامل درعة، وقاتل أخ السلطان"[3]

ومن خلال كل هذه المقولات يتضح أن الباحث يؤكد خاصة العامل السياسي في تفسير تلك العداوة بين الطرفين .

* - المرحلة الأولى التي واكبت تطور المنشآت المنشاة بالنسبة للدولة المرينية، فهنا إكتفت فقط بالرد على الهجومات الزيانية.

* - المرحلة الثانية بعد أ ن استتب لها الأمر بالمغرب الأقصى ودخلت في طور الاستقرار والازدهار وذلك منذ سنة (668هـ/1289م)، صارت تعد حملات ضد الزيانيين هادفة إلى إخضاعهم ووضع ممتلكاتهم ، بل أكثر من هذا فقد ثارت تميل إلى أسلوب الحصار الطويل مع توجيه كل اهتماماتها إلى تلمسان .

*- المرحلة الثالثة سينسدل الستار عن انتصارات المرينيين في هجوماتهم على الزيانيين نظرا لدخولهم في طور الضعف والتراجع، فاكتفوا ببث القلاقل داخل الدولة الزيانية كمساعدة الثوار والمطالبين بالحكم، هذا ولا ننسى أن العداوة بين الطرفين أقدم، فهي ترجع إلى الصراع على الأرض منذ أوائل العصر الموحدي.

كما يمكن أن نقول أن تحركات المرينيين كانت نتيجة أهداف سياسية ، حيث كانوا يريدون إعادة الوحدة إلى بلاد المغرب، إلا أننا نعتبر ذلك سببا ظاهريا لعلة أعمق.

---

(1) - عبد الرحمن محمد الجيلالي ،المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص 101.

(2) - نفسه ، ص 102-103.

(3) - نفسه، ص 112.

د – .السبب الاقتصادي :

فكما نعلم، عانى المرينيون من كثرة المناوشات المضادة لحـكمهم، وذلك من طـرف المعاقيين المتواجدين بجنوب المغرب الأقصى ، ومن ثم كثرت الحملات التأديبية المرسلة إلى كل من درعة وسوس ، لردع قوة تلك القبائل، غير أن تلك الحملات لم تغير شيئا كبيرا لذلك الوضع ، فبدأ المسلك التجاري الذي يرتبط بمدينة سلجماسة يعاني من قلة الأمن والسلم وبالتالي بات من المؤكد أن ينتقل ذلك المسلك نحو الشرق ، كما انه بات من المؤكد أن يبرز مركز تجاري بالشرق، وهو مدينة تلمسان.

انطلاقا من هذا يمكن الاستنتاج أن المرينيين بعدما عجزوا عن قمع ثروات الأعراب، فكروا في حل ثان حتى يظلوا أهم المستفيدين الأولين من الموارد التجارية، وخاصة موارد التجارة الصحراوية، وهذا الحل يكمن في السيطرة والاستحواذ على تلمسان، وبهذا نعتبر أنه إذا كانت أهمية تلمسان قبل القرن 7هـ/13م تعود إلى كونها مرتبطة بالمسلك التجاري الكبير الذي يربط سجلماسة بفاس ثم تلمسان ثم باقي المراكز الأخرى بإفريقيا الشمالية، فإن أهميتها مع بروز الزيانيين كقوة يحسب لها حسابها ، صارت تكمن في كونها مركز تجاري مهما، ومنفذا أساسيا إلى بلاد السودان ، وذلك من جراء المسلك الذي بات يربطها مباشرة. ببلاد السودان وهو مسلك : تلمسان، توات، ولاتة، مالي[1]، *(خريطة رقم:5)* بل ومتنفسا على أوروبا وذلك عبر ميناء وهران وهنين[2] ، ولعل من مظاهر أهمية المدينة في إطار النشاط التجاري البعيد العهد اكتنافها دارا لسك العملة، إذ كانت تتوصل بكميات هامة من ذهب السودان، ثم استقبالها تجار الدول الأوروبية كجنوة وكطلانيا وغيرهما ، وإقامة مبادلات تجارية معهم عبر مينائي وهران

---

(1) - محمد العبدري ، الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، 1968، ص 278 . (ذكر أنه لما وصل إلى تلمسان " التقى قافلة تخرج وهي كثيرة تزيد عن الألف ، وقال لنا قائد على الباب أ ن لها في محاولة الخروج نحو من ثلاث أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة " فقوله هذا يدل على أن المدينة صارت مركزا تجاريا مهما تنطلق منه القوافل نحو بلاد السودان).

(2) - A.L DE PERMARE, Magrebe et Andalousie au Xiv siècle, Les notes de Voyage d'un Andalous au Maroc 1344-1345, Lyon, 1981, p 69-71

وهنين[1]، ولا يفوتنا الذكر في هذا المقام أنه بعد أن أصبح انتقال المسلك التجاري المؤدي إلى بلاد السودان إلى الشرق شيئا مؤكدا، حاول المرينيون اقتحام مدينة تلمسان فلما تعذر عليهم ذلك شيدوا مدينة منافسة لها. "... وكان ذلك في فصل الشتاء من سنة (698هـ/1298م) ، حيث جعلها السلطان معتصما لجنده المعسكر والمحاصر لمدينة بني زيان، وسمّاها " المحلة المنصورة"، أو تلمسان الجديدة.... ويقال أنه كان بأعلاها تفافيح من الذهب الخالص يقدر ثمنها بسبعمائة دينار.....[2]

فبتشييدهم للمنصورة ضمنوا الاستفادة من موارد التجارة وخاصة الذهب ، حتى أن المدينة الجديدة أصبحت تشمل دار لسك العملة، وقد كادت تلمسان أن تفقد أهميتها التجارية في هذا الإطار غير أنه بتحطيم المنصورة استعدادات المدينة سابق نشاطها، وأهميتها المتميزة.

- ثالثا : التحصينات العسكرية

1 - الســـــور : *(مخطط رقم:9/خريطة رقم:6)*

يتوقف تخطيط المدن العسكرة على طبوغرافية الموقع، إذ يتبع سور المدينة موقعها الطبوغرافي ويساير خطوطها التضاريسية[3]، ينجر عنه عدم انتظام أشكالها ، فمعظم المدن المحصنة في المغرب ذات شكل غير منتظم كما هو الحال في المدن المرينية، كفاس الجديد، وسلا والمنصورة بتلمسان *(مخطط رقم 10)*، المحاطة بسور في غاية العلو

---

[1] - محمد العبدري، المصدر السابق ، ص 278، أشار إلى أهمية ميناء وهران حيث قال " ...وهي من مراسي تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي...".أنظر كذلك:
- الحسن الوزان، المصدر السابق،الجزء الثاني ص 36 . قال عنها " وكانت وهران مقصودة كثيرا من التجار الكطلانيين والجنيويين ولازال فيها بيت الجنيويين لأن هؤلاء، كانوا يسكنون فيه".
- جغلول عبد القادر ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، بيروت، 1982، ص 68 .(يشير إلى أن أهمية تلمسان تعود إلى موقعها الجغرافي الممتاز فهي تقع على مفترق طريقين كبيرين هما الطريق الصحراوي الذي يربطها بسجلماسة وبلاد السودان الغربي ، والطريق البحري للتجارة في البحر المتوسط بواسطة مناء هنين و وهران). و أنظر كذلك:
- BRIGNON et autres, Histoire du Maroc, Casa, 1967, p 136.
- يتحدث هذا الكتاب عن أهمية ميناء وهران وهنين ، فهما من أكبر الموانئ على البحر المتوسط وهذا ما جعل المرينيين يسعون للسيطرة على تلمسان.

[2] - عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ، ص 105.

[3] - جمال حمدان، المرجع السابق، ص 725-726.

والمناعة، فقد شيده على موقع ذو تضاريس مختلفة ، حيث شيد جزءً منه على مرتفع، والجزء الآخر على سهل، وهذا ما أدى إلى عدم انتظام شكل السور، فهو يشبه مستطيل غير منتظم الأضلاع .

أما بخصوص تاريخ بناء السور بمدينة المنصورة، فقد أشرنا سابقا إلى أنه بُني مرتين، ففي المرة الأولى شرع في بنائه أبو يعقوب سنة(702هـ/1302م)، وعندما جاء المرينيون من مدينة المنصورة إثر مقتل سلطانهم هدم جملة ما هدم من المنشآت سور المدينة من طرف الزيانيين[1]، أما المرحلة الثانية كانت في عهد حفيده أبي الحسن حيث ذكرنا أنه أعاد بناء معالم مدينة المنصورة[2].

وقد استطعنا التفريق بين السور الحالي، والسور القديم الذي بناه أبو يعقوب بفضل استشارات مارسي جورج الذي يرجع البقايا الأثرية بالمغرب من المدخل الشرقي إلى السور القديم[3].

أ – تخـــطـــــيط الــــســــــــور :

يقدر محيط المدينة، السور ب 5 كلم[4]، وقد بنيي بالطابية[5]، *(شكل رقم:1)*تمتد من الشمال إلى الجنوب على شكل رباعي غير منتظم أضلاعه غير متساوية، أصغرها الضلع الجنوبي 300 طولا و750 عرضا، أو1000*1100[6] وتحصر بداخلها مساحة تقدر بما يزيد عن 101 هكتار بامتداد جنوب شمال. ***(مخطط رقم:9/صورة رقم:39-40-41-42-43)***

---

(1) - عبد الرحمن بن خلدون، العبر ... ، الجزء السابع، ص 459.

(2) - إبن مرزوق، المسند... ، ص447.

(3) - G&W. MARÇAIS , Op-Cit , p 203.

(4) - Du .T. Hoit. Op-Cit, p 321.

(5) - CH. BROSSELARD, « Les inscriptions »… , p 332.

أنظر كذلك:

-P. CRESSIER, La fortification … , Op-Cit. p 183.

-R.BOURUIBA, L'Architecture militaire de l'Algérie médiévale, Alger, 1983,p112

(6) - J.BARGES,Complément à l'Histoire des Béni-Zeiyen, Rois de Tlemcen, Laroux, Paris. 1887, p 250.

أنظر كذلك:

- جورج مارسي، تلمسان، ترجمة سعيد دحماني، دار التل للنشر، البليدة ، الجزائر، 2004، ص 65.

قدر سمك الحوائط بـ 1,50م ثم يتقلص تدريجيا كلما ارتفع نحو الأعلى، أما ارتفاع السور إلى نهاية ذراوي الأبراج فيقدر بحوالي 12م بينما يقدر ب 9,20م إلى نهاية ذراوي السور نفسه، أما مطفى الجند، أي الممشى، أو طريق الجند فيقوم عند 7,60م، ويقدر اتساعه بـ 0,80م وهذا الأخير يستخدم للحراسة و بواسطته يتم الاتصال بكل أبراج سور المدينة، ويعلو هذا الطريق جدار يبلغ ارتفاعه 0,70 م، أما سمكه فيصل إلى 0,65 م تقوم عليه الشرفات ، فهو واقي للجند على شكل دار بزين، وقد كان الصعود إلى هذا الطريق كان يتم بواسطة درج، إلا أننا لم نعثر على أثر لهذا الدرج[1]، وأغلب الظن أن الصعود كان يتم بواسطة سلالم خشبية، أو أحبال تنزع عند ارتقاء الجنود إليه ليفرغ الجندي تفرغا كليا للحراسة، وعدم التفكير في النزول. ***(شكل رقم:4/صورة رقم:42-43)***

ينتهي السور في أعلاه بشرفات هرمية الشكل، أو رباعية الارتفاع بها 0,85 م وعرضها 0,70 م والمسافة بينها -فتحات الرمي، و المراقبة- تقدر بحوالي 1 م. ***(شكل رقم:1-أ/صورةرقم: 42)***

2 - الأبـــــــراج:

تلتحم بالأسوار من أساساتها إلى قمتها بمسافة غير متساوية شغلت السور المحيط بالمدينة من جميع جهاته و أركانه، ويقدر عددها بحوالي 80 برجا تختلف من شكلها وحجمها بين أبراج الأركان وأبراج الأضلاع، ***(الشكل رقم:7/مخطط رقم:9)***، وهي ذات وظيفتين:

*- **الأولى :** تدعيم السور وتقويته في جزئه السفلي.

*- **الثانية :** الحراسة والمراقبة والرمي في جزئه العلوي.

أما من حيث الشكل فهي على نوعين، أبراج مستطيلة، وتحتل أواسط الأضلاع، وهي أكثر عددًا و أبراج مربعة التي تحتل الأركان[2].

(1) -G et W .MARÇAIS , Les monuments…, p 60
(2) -Ebid , p 60

أ – الأبراج المستطيلة :

شيدت في كامل أنحاء السور ما عدا أركانه، وذلك على مسافات غير متساوية فيما بينها تتراوح في العموم بين 24,25 م إلى 43,30 م، أما الأبراج نفسها فطولها 7 م، وبروزها عن الحائط يتراوح بين 3,5 م إلى 4 م، وارتفاعها إلى قمة الذراوي حوالي 12 م، وبذلك يزيد علوها عن ذراعي السور بحوالي 2,5 م، وذلك لكي يسمح بالحراسة، والمراقبة لمدى أكبر في مجال الرؤية وبمدى أبعد في مجال الرمي.

إن هذا الارتفاع جاء نتيجة للغزو العسكري، ولتحقيق أغراض الدفاع حيث هذا الارتفاع في الوقت نفسه كلما ازداد أثر سلبا على التصدي للمهاجمين، لاتساع المساحة المحيطة بأساسات الأسوار، ويعد محور ميل المدافع مما يصعب عليه إصابة أهدافه، وهو يقف وراء المتارس فإن خرج منها تعرض لقذائف المهاجمين، وذلك كله فرض على الفكر العسكري تقنية المعمارية في بناء الأسوار و الأبراج بها[1]. ***(صورة رقم:38-40-41/شكل رقم:6)***

*– التركيب المعماري :

بعد عملية الفحص المعماري لهذا النوع من الأبراج أبرز تقنية بنائية متشابهة وتصميما داخليا يكاد يكون متطابقا إلا في عدد قليل منها ، ويتألف عموما مما يلي :

-أبراج ذات طابقين متركبتين، حيث يشغل كل من طابقين ، فراغ شبه مربع وغطي كل منها بقبو أسطواني (برميلي) يقومان على حائط عمودي على السور الأصلي إلى ارتفاعات مختلفة من برج الأرض، ونجد في بعض أبراج هذا النوع أن طابقه الأول بني إلى ارتفاع ثلثي البرج فقط، ويتضح من البحث الأثري، والدرس المعماري أن هذا التكوين المعماري للأبراج وظيفته تدعيم السور، وتقوية الأبراج ومتانتها في آنٍ واحدٍ، فضلا عن تكوين طابق علوي له القدرة على تحمل الثقل الأعلى لحركة الجند والذخيرة، وآلات الحرب.

---

[1] - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الأول، ص 171.

كما تخلو من الأبواب في الطابق السفلي التي بوصلها بداخل المدينة مما ينفي معها فكرة كونها غرف أو حجر لإقامة الجند، أو استراحتهم، ذلك لأن وسيلة الاتصال الوحيدة بينها وبين سطوحها العلوية هي مطاف الجند في السور، وهذه الظاهرة توجد في أبراج مدينة سلا(*) و مدنية هنين(1)، *(شكل رقم:6)* ويؤكد ذلك احتفاظ أحد هذه الأبراج في المنصورة بدرج ذي عدة عتبات يوصل بين مطاف الجند متبعا ذراويه ليصل في نهايته بقاعة مقببة عبر باب صغير معقود مبني بالآجر فتح في رقبة البرج، كما يرتفع من داخل الغرفة في برج آخر ملتصق بحائطها يؤدي إلى سطح البرج(2). *(مخطط رقم:12/صورة رقم:44-45)*

غير أن هناك بعض الأبراج من هذا النوع فتوحاتها المؤدية إلى سطوحها مبنية بالطابية وليست بالآجر، ومن أمثلة هذه الأبراج التي ما تزال في سور مدينة المنصورة ، برج من النوع الأول بالجهات الجنوبية الغربية منه ما تزال محتفظا به حتى اليوم بتركيبه الداخلي، كما نجد برجا آخر من النوع الثاني في الجهات الشمالية الغربية تهدمت أجزاء كثيرة منه، ولكن آثار تركيبه الداخلي ما زال واضحا ، غير أن بعض الأبراج الأخرى تخلو من وسيلة اتصال بين مطاف الجند وسطحها ، مما يدل على أن عملية الصعود كانت تتم بواسطة سلالم(3)، أو حبال لخلوها من الدروج الصاعدة وربما كان ذلك عملية مقصودة، لأنه ليس من العسير بناء درج مادامت هذه الدروج متوفرة في أبراج أخرى، وذلك يؤكد الرغبة في إلزام الحراس بالبقاء في أماكنهم، وعدم مغادرتهم لها إلا بوضع سلم، أو وصلها بحبل، وربما كان ذلك تعبيرا عن صرامة، وصعوبة الموقف العسكري المريني.

(*) - و الصحيح هي شالة مدينة موازية لوادي أبي الرقراق الذي يفصلها عن الرباط العاصمة، نالت عناية كبيرة من طرف المرينيين، تعتبر عمارتها نموذج للفن المغربي في القرنين الثالث والرابع عشر، بقي فيها ابن الخطيب منفيا ثلاث سنوات تقريبا(760هـ/763هـ)، وألف بها كتابه هذا.أنظر :
- ابن الخطيب، المعيار ... ،ص 74،75.

(1) - أنظر كذلك:
- G .H. BASSET et L. PROVENÇAL, Chella, une nécropole mérinide, Hespéris, 1-2 série, 1922, p 47-52.
- G.MARÇAIS, L'architecture…, p 320.

(2) - G et W. MARÇAIS, Les monuments…, p 20.

(3) - G.MARÇAIS, Le Manuel.., p 570.

ب – الأبراج المربعة: *(مخطط رقم:9)*

وعددها قليل توجد في الأركان الأربعة لسور المدينة، وطول ضلعها 7م، أما ارتفاعها فيفوق ارتفاع الأبـراج المستـطيلة الملتحمة بالسور، وتتشابه في التصــميم المعماري الداخلي، تتكون من حجرة سفلية منخفضة مقبية فتحة فيها باب على داخل المدينة، ويوصل ما بينها وبين مطاف الجند أعلاها بدرج صاعد، تتركز عتبته على الحيطان الأربعة الداخلية للحجرة[1]، وأحسن نموذج له البرج الجنوبي الغربي الذي يلتحم بالسور في زاويته، ويبرز عنه جنوبا بـ 3,5 م، وغربا بـ 3,90 م، ويمتد بـ 7م، ويبدو البرج في داخله على هيئة قاعة تتخذ شكل حرف اللام الابتدائي مقلوبا (L). *(صورة رقم:46-47/شكل رقم:7)*

3 – مداخل المدينة :

تعد الأبواب من العناصر الأساسية في المدن الإسلامية لأهميتها في الاتصال بين داخل المدينة وخارجها، فقد نصح القز ويني بضرورة فتح أبواب عدة في السور الواحد، حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج من باب واحد، بل يدخل المرء، ويخرج من أقرب الباب إليه[2] وذلك تيسيرا له واقتصادا في الجهد والوقت، ويبدو أن اقتصار مدينة المنصورة على أربعة أبواب يعود للأسباب العسكرية، والظروف الحربية.

لقد جاءت أبواب محورية متقابلة شديدة التحصين، وهذه ظاهرة معروفة في كثير من المدن الإسلامية، سواء بنيت المدينة لأغراض عسكرية أو حضرية، وباعتبار أن الباب هو نقطة ضعف في السور، لذلك أعطى المهندسون المعماريون المسلمون أهمية كبرى لها، فتفننوا في عملية تحصينها، حيث أنهم احتضنوا هذه المداخل بين برجين في غاية الضخامة والمناعة.

---

(1) - G. MARÇAIS, L'architecture…, p 321.

(2) - القزويني، المصدر السابق ، ص 7.

لقد أضحت تسمية الأبواب في أسوار المدن ، قاعدة عامة وخاصة في المغرب والأندلس ، فهي غالبا ما كانت تحمل ظهريا اسم المدينة لشهرتها، أو أهميته الاقتصادية و التجارية والسياسية المتجهة نحوها، والأمثلة في المغرب والأندلس كثيرة[3].

وهذا ما نجده في مداخل مدينة المنصورة، حيث اتبع المرينيون نفس القاعدة في تسمية أبوابها، فقد أورد ابن مرزوق أسماء لثلاث أبواب من أبواب المدينة حيث سمى الباب الشرقي باب الحجا، والباب الغربي باب فاس، والباب الشمالي باب هنين[2]، ولم يذكر تسمية باب الجنوب، وأغلب الظن أن عدم تسميته راجع إلى عدم وجوده في إحدى الطرق التجارية، ولا على مدينة مشهورة، أو منطقة هامة إذ انه يشرف على مرتفع لالاستي.

أ – البـــــاب الشــــمالي و الجنـــــوبي:

يقع الباب الشمالي أو باب هنين، في منتصف الواجهة الشمالية تقريبا، ويقابله بالجهة الجنوبية، وفي منتصفها أيضا الباب الجنوبي، يكتنف كل منها برجان بارزان إلى الخارج نصف مهدمان.

يتمثل التصميم المعماري للبرج الأيسر من الباب الشمالي، مع التصميم المعماري للبرج الأيمن من الباب الجنوب، ويتكون كل منها من باب منخفض معقود، ما تزال بداية استدارة العقد عند منبته واضحة، وعقده مسنن يغلف عقد آخر منخفضا عنه أملس، يتصل بمنحدر عبارة عن ممر أو دهليز مقسم إلى تسعة أجزاء مغطاة بقبو أسطواني، ويوصل إلى ممر مطاف الجند، الدائري في أعلى السور، ويرجح أن هذا المنحدر كان يقوم على نواة مركزية اندثرت، غير أن هذا التكوين المعماري الداخلي لهذا البرج نفتقده في البرج المقابل، وبدون شك كان يماثله جملة و تفصيلا[3].

---

(1) - G.DEVERDUN et C. ALLAIN, Les portes anciennes de Marrakech, Hesperis,T XLIV ,1957,p 87,88.

(2) - محمد بن مرزوق، المصدر السابق ، ص 403.

(3) - G et W .MARÇAIS, Les monuments…, p 204

أنظر كذلك:

- جورج مارسي، تلمسان ...، ص 62.
- عبد العزيز لعرج، المرجع السابق ،الجزء الأول، ص 178.

وتتراوح فتحة المدخلين ما بين 11,70 إلى 12,40م ،وجه كل منهما 7م، يبرزان عن الحائط بـ5م، ويتكون كل منهما من قاعة مربعة، وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد آثار الجدار في الجهة الجنوبية من جهة المدخل الجنوبي، ويمثل شكل مستطيل طوله 15,80م، وعرضه حوالي 11,20م ، تلتصق هذه الجدران مباشرة على المدخل، وهي عبـــارة عن قائمة يستريح فيها الجنود ، مقاساتها (4,5 x 5م) ، وبها باب يؤدي إلى داخل المدينة، يبلغ ارتفاعه 2,30م، أما عرضه فيصل إلى 1,50م ، وهو يلي البرج الأيسر من المدخل الجنوبي مباشرة، وتدل الآثار على أن القاعة كانت مسققة.

تقدر فتحة المدخل بحوالي 5م، وكانت معقودة بعقد حدوي منخفض نوعا ما، ويكتنفه من كل جانب برجان، الأيسر منها يكاد يكون مندثرا تماما إلا من أجزاء بسيطة، إلا أن البرج الأيمن مازال يحتفض بخطوطه الرئيسية التي تمكننا في معرفة الطبيعة المعمارية الأصلية، والبرجان مستطيلان المسافة بينهما حوالي 12,50م ، وطول كل جهة منهما 7م . ويبرزان عن الحائط بـ 5م .

يتكون معماريا من الداخل من قاعة مستطيلة الشكل ، طول ضلعها يتراوح ما بين 4,5 x 5م ، الغرض منها استراحة الحراس ويرجح أنه كان بكل منها باب صغير عرضه 1,50م يفتح على داخل السور، ومعالمه مازالت واضحة في البرج الأيمن، وكانت القاعة مغطاة بسقف مسطح، وفي مقابل الباب من الداخل فراغ مستطيل مقاساته 15,80مx11,30م ، وفي ركنه الجنوبي الشرقي باب صغير يؤدي إلى داخل المدينة عبر سورها.

إن هذه المداخل تشبه بشكلها، وحجمها، وتكوينها المعماري إلى حد كبير المدخل الرئيسي لمدينة سلا ***(مخطط رقم:12)*** مع الاختلاف فقط في شكل الأبراج، وربما كانت أقرب في تكوينها العام إلى باب مدينة مكناس***(شكل رقم:10).*** [1][2]

---

(1) - G. MARÇAIS , L'architecture… , P 318.

(2) - H . BESSET et L. PROVENCAL, Op-Cit, P 53.

أنظر كذلك:

- أبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 48.

ب- البابان الغربي و الشرقي :

ويرجح أنهما البابان اللذان يمر منهما طريق تلمسان – مغنية، وما تزال أثار برجي المدخل الغربي وهو باب فاس واضحة المعالم حتى اليوم، وهما مربعتين الشكل في تركيبهما المعماري، يبرزان إلى الخارج مما يبرزان بروزا خفيفا إلى الداخل، ولا شك أنهما كانا أكبر حجما مما هما عليه اليوم[1]، وقد اختفى تركيبهما المعماري اليوم.

أما الباب الشرقي وهم باب الحجاز يكتنف الباب برجان احتفظا بأجزاء من جدرانهما، بارزة إلى داخل الأسوار ومتعامدة عليها ، يحتوي أحدهما في أعلاه على آثار لبداية قبو من الآجر ، نستدل منه على التكوين معماري لبناء مستطيل يحمي ممر طوله 14 م وهو عبارة عن ممر أو دهليز لمدخل، ولكن من الصعب تحديد عرضه،ولا شك أن مطاف الجند كان يعلو هذا التكوين المعماري ويمتد ما بين البرجين وفوق الباب[2].

(مخطط رقم 9).

---

(1) - أنظر كذلك: J. BARGDES, Tlemcen Capital …, p 251.
-G. MAÇAIS ,Tlemcen… , P 60.

(2) - جورج مارسي، المرجع السابق، ص 67.

خـلاصـة الفـصـل:

بعد عملية استعراض لمدينة المنصورة وما اشتملت عليه من عمائر عسكرية -أسوار وأبواب، وأبراج- يمكن القول أنها مدينة لها نفس شروط البناء ومرافق المدينة الإسلامية، كما تعتبر من الأمثلة الرائعة للمدن العسكرية في المغرب الأوسط والتي تعود إلى القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، ومن خلال هذه الدراسة استنتجنا أن مدينة المنصورة بنيت لأسباب عسكرية، و الحضارية، وما تجدر الإشارة إليه أنهم أتقنوا فن الحصار، و بالتالي يمكن القول أن مدينة المنصورة بنيت بسبب طول الحصار، وما يتطلب ذلك من يقظة و حرص على عاصمة الزيانيين، وهذا من أجل استكمال المشروع المريني، ولإعادة توحيد بلاد المغرب، وباعتبار تلمسان مفتاح المغرب الأوسط وقاعدة و محور تجاري هام.

كما استطعنا أن نستخلص بعض خصائص العمارة العسكرية الإسلامية، حيث أنها امتازت بالضخامة و العظمة كمثيلتها بفاس الجديد التي هي بدورها بنيت بمواد محلية، وهذا في تصورنا دليل على أن الحكام المرينيون كانوا يريدها برهانا على أنهم الأحق بخلافة الموحدين.

كما نلاحظ أن جميع عمائر المدينة بنيت عن طريق التراب المدكوك حيث أن سمك أسوار المدينة كان كبيرا جدا ، وهذا يدل على أن على أن العدة الحربية الهجومية في تلك الفترة كانت لا يستهان بها، كما يدل كذلك وجود ممشى على السور محمي بشرفات وأبراج المراقبة على أن المدينة كانت في حالة تأهب و استعداد دائمين لرد أي غزو خارجي، بالإضافة إلى وجود أربعة أبواب خارجية ضخمة مزودة هي الأخرى ببرجين للمراقبة.

و نترك البحث مفتوحا إلى دراسات وأبحاث تاريخية أخرى تساعدنا في حل العديد من الألغاز المرتبطة بالعمران العسكري.

الفصل الثالث

دراسة تحليلية

- ✓ **أولا :** مواد البناء وتقنياته.
- ✓ **ثانيا :** العناصر المعمارية.
- ✓ **ثالثا :** العناصر الزخرفية..

أولا : مواد البناء وتقنياته

1 – الطـــابــــــية:

هي مادة بنائية استخدمت في البناء بدلا من اللبن، أو ا لحجر، أو الآجر ، أما من حيث المصطلح، فالطابية كلمة عربية أوردها ابن خلدون في مقدمته عند الحديث عن صناعة البناء، وسمّاها "التراب المدكوك"، وهي نوع من الخرسانة بالمفهوم المعاصر، لأنها تتكون من خليط من المواد اللاحمة والماء والحصى وبقايا الفخار والخزف المكسور، وتتحول بعد التصلب إلى حجر اصطناعي[1]، شديد الصلابة لا تؤثر فيه ضربات المنجنيق.

ويعتبر الوصف العمري لها بالحجارة في صلابتها، وأحسن دليل على ذلك أنها بقيت إلى يومنا هذا، وقد استخدمت في بناء أسوار المنصورة، و فاس الجديد، و في النص الذي أورده العمري، وهو يتحدث عن فاس الجديد قائلا : ".... وتزيد فاس الجديد عن فاس العتيق في الحصانة والمناعة و العتيقة بسور واحد من الحجارة، والجديدة بسورين من الطين المفروغ بالقالب من التراب والرمل و الكلس المضروب، وهو أشد من الحجر..."[2]، وقال عنها ابن خلدون ".... ومنها البناء بالتراب خاصة تقام منه حيطان... "، ثم قال " ...إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحما كأنه قطعة واحدة، ويسمى الطابية، وصانعه الطوّاب.."[3] . *(صورة رقم:14)*

هذه التقنية منتشرة بكثرة في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وهذا يعود إلى خصائص الطبيعة، وسهولة الحصول على المادة البنائية، وتشكيلها بالإضافة إلى فعاليتها الدفاعية، التي كانت فكرة رئيسية في ذهن الحكام، وهي مادة حافظة للرطوبة والحرارة.

---

(1) –A.KOMARA, Matériaux et Eléments de Construction, Moscou, 1978, p 174, 175.

(2) - العمري، المصدر السابق، ص 116.

(3) - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ...، الجزء الثاني ، ص 491.

هذا وقد استخدم هذا الأسلوب في العمارة القديـمة بالعراق، وفي العمارة الإســلامية في سمراء ، كما أنه استخدم أيضا في بناء أسوار قرى ومدن نجد[1] ،ويمكن إرجاع البناء بالطابية إلى عهد الفاطميين بالمغرب، حيث أشار ابن حماد إلى بناء المنصورية سنة 334هـ وذكر أن سورها بني بالطوابي[2]، واستمر البناء بها في بلاد المغرب، و انتقلت إلى الأندلس.

ويعد البناء بالطابية كمادة بنائية قوية أفضل من استخدام مادة التراب في البناء، حيث يدخل في الطابـية الجيارة، والنورة التي تـساعد على قوة تماسـكهما[3]، ولذلك شــاع استعمالها في بناء أسوار المدن، فقد ذكر ليون الإفريقي أن سور مراكش " في غاية من الجمال، و القوة مبني بالطين المدكوك، والجير، والرمل الغليظ الممزوج بالحصى[4]، ويتراوح سمكها مابين 1,5 م إلى 1,60 م بالمنصورة، وفي فاس الجديد يصل إلى المترين، ثم يضيق كلما ارتفعت الأسوار لتشكل الدورة ذات ممر دائري الذي ينتهي بشرفات، وقد عرفت استعمالا واسعا في العهد المريني، ويتم الحصول على هذه المادة البنائية كالتالي:

أ – الخـــلـــــطة :

هي عبارة عن مركب يدمج في الرمل بالجير البلدي، والحمري المختلفة، 50% من الرمل، و25% من الجير البلدي، و 25% من الطين، ويطلق على هذا القياس " الثالثة "، والنوع الثاني من الخلطة يحتوي على 50% من الحمري، و 25 % من الجير، و 25% من الرمال، ويعرف هذا النوع عند البنائين " بالمركز"، تستعمل كلا الطريقتين في الجزء الواحد من السور، فتخصص الثالثة للجزء الأدنى من السور في حين يخصص المركز للمستويات العلية بجوار الخلطة يستعمل " الحجر" الكلسي، والحصى بالإضافة

[1] - ابن الرامي ، المصدر السابق، ص 201.
[2] - أبي عبد الله محمد بن حماد ، أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، تحقيق تهامي النقرة و د . عبد الحليم عويسي، دار العلوم للنشر، الرياض ، 1984، ص 61.
[3] عبد العزيزالسيد سالم، تاريخ المغرب... ، ص 774 - 775.أنظر كذلك :
- عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، نشر دار السلي، الدار البيضاء، القسم 1، 1958 ص59،58.
[4] - حسن الوزان ، المصدر السابق، الجزء الأول ، ص 7 - 12.

إلى الرصراصة الموجودة بكثرة في فاس، يعتمد في كل هذه المراحل على خشب العرعار الذي يمتاز بصلابته لوضع القوالب وتحضير الألواح اللازمة لنصب الصقالة[1].

ب – تقـــــــــــنية التشــــــيـــــــــد : [2] *(شكل رقم:1-أ)*

تشكل المستويات التي يمكن تمييزها حاليا في الميدان بواسطة فواصل الربط الأفقية والعمودية، شواهد على حدود الصقالة ، يتراوح على هذه المستويات بين 1 م، و 2 م، ويقل هذا السمك في بعض الأحيان ليصل إلى حوالي 30 سم إذا عوضت الصقالة بطريقة نصب الألواح ، أما الفواصل العمودية فتحدد اتساع الألواح المخصصة لنصب الصقالة، وتبيان طولها بين 5 م و 7 م، إن عملية البناء بها كانت تتم بعملية"الفورمة" كما سماها ابن الرامي، وهي ألواح من خشب تسكب الطابية بها قبل أن تجف، وبعد أن تجف تنزع الألواح لبناء طبقة أخرى وهكذا تلاحظ بالأسوار مجموعة من الثغرات، والفتحات التي تنتشر بشكل غير منتظم أحيانا، ومنتظما أحيانا أخرى، فتارة تتباعد هذه الفتحات عن بعضها بحوالي 80 سم، وتارة بحوالي 1م فأكثر *(شكل رقم:1 أ)* . أما كثافتها فتتراوح ما بين 2 م^2 و 5 م ^{2}، وهذه الثغرات أحدثت أثناء بناء السور من أجل تسهيل عملية الارتقاء أثناء تشييد الأجزاء العليا منه، إلا أن كثافتها الكبيرة ببعض الأجزاء، وقربها الكبير من سطح الأرض بأجزاء أخرى (20 سم) بالإضافة إلى إمكانية غلقها بعد بناء السور تجعلنا نستبعد هذا الرأي، ونميل إلى كونها تركت من أجل تهوية السور، والتقليل من الرطوبة به، خاصة وأنها محمية على مستوى السقف بواسطة أجزاء من الخشب والآجر، وفي بعض الأحيان أسطوانات فخارية تحمي كل جوانب الثغرات.

إلا أنه يترتب عن هذه التقنيات مجموعة من الملاحظات المرتبطة بتدهور السور:

[1] - عبد القادر فنان، "أسوار فاس، حاجز أم أصالة"، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، العدد 1 ، 1985 ، ص 98، 99.

[2] - يونس جعفر، الأسس التكنولوجية في استخدام الديكور، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د. ت. ص 23.
أنظر كذلك:
- عبد القادر فنان، المرجع نفسه، ص 97 إلى 102.
- ابن الرامي، المصدر السابق، ص 201.

*- إن اتجاه و تطور الشقوق يساير الفواصل الأفقية و العمودية التي تحد القوالب التي استعملت في تشييد السور.

*- إن التوزيع العشوائي، وكثافة المرتفعة لثغرات التهوية يؤدي إلى خلق مجموعة من النوايا المتدهورة حول الثغرة فتشكل منطلقا لتدهور الصور. ***(صورة رقم:6-9-11-41-43-44-16-15)***

2 – الـــحـــــجر:

تعتبر الحجارة المادة الثانوية التي اعتمد عليها المرينيون في بناء الاستحكامات، حيث بنيت بها معظم المنشآت العسكرية، وقد كانت معظم الحجارة المستعملة حجارة كلسية لونها يميل إلى الأصفر أحيانا وإلى الرمادي أحيانا أخرى، ولقد استخدمت في تلك المنشآت الحجارة بنوعيها المشذبة و غير المشذبة، أما المشذب فقليل الاستعمال، ونجد له أمثلة في أجزاء من سور، أما الحجارة غير المشذبة، أو الدبش فهي الأكثر استعمالا، وربما يرجع ذلك إلى الظروف الحربية التي كان يعيشها في تلك المرحلة، وما تتطلبه الحجارة المشذبة من وقت وجهد كبيرين، وقد استعملها بكثرة في السور الخارجي لمدينة فاس ،والحجارة عبارة عن كتل صخرية نارية ناتجة عن البراكين، والرسوبية ناتجة عن ترسبات أحجار، ومواد كالحجارة الكلسية، والرملية، وكانت تقطع تلك الكتل إلى قطع صغيرة مناسبة لمقاسات مختلفة، تشذب أحيانا بآلات خاصة، وتستعمل أحيانا على صورتها الطبيعية، وقد تطرأ عليها بعض التغييرات الطفيفة حتى تلائم عملية البناء[1].

كما تعددت أنواع الحجارة من حيث المادة ، فقد أخذت كذلك طرق قطعها وتسميتها، الأولى بالدبش إذا كان غير معالج، بحيث تكون فيه الحجارة مشذبة، وكلمة دبش كلمة عامية تعني الحجر الغشيم، لم ينحت، أو يشذب و كان يستعمل عادة في أسس المباني[2]، وقد استعملها البناء المريني في كثير من أساسات السور، أما التسمية الثانية فتتمثل في

(1) - محمد عاصم زرق، المرجع السابق ، ص 74 أنظر كذلك:
- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 126.

(2) - نفسه، ص 126.

الحجر المنجد، أو المنضد، أو المنحوت، أو المشذب،[1] وقد استعمله البناء المريني ، كان المحدد في بعض البروج وفي تبليط أرضية الأبواب. *(صورة رقم:14-7-15-27)*

وتتم عملية البناء بالحجارة بوضع صف منها فوق أسس البنايات حسب سمك السور المراد بناؤه.[2'] *(شكلرقم:1-ب)*

ويرجع استعـمال الحجارة المـشذبة إلى الساسـنيين في بلاد ما بـين النهرين، و عند الرومان، والبيزنطيين، وفي الشام،[3] واستعمله المسلمون فيما بعد، إضافة إلى الحجارة غير المشذبة في بناء الجدران الترابية، وفي تبليط الأرضيات، والنوافذ المخرمة،[4] وقد شاع استخدامه منذ عصر الأمويين الذين بنو به قصورهم في بادية الشام،[5] كما استخدمه العباسيون في قصر الأخيضر، واستعمله الفاطميون في مصر بين القرنين(4هـ-10م/6هـ-12م)[6]، كما استعمله سكان المغرب أيضا وشاع في مبانيهم الدينية، والمدنية، والحربية خلال القرن 3هـ/9م، وفي الأندلس استعمله الأمويون في بناء أسس منشآتهم، كما استعمله الموحدون في مختلف أبنيتهم خلال القرن 6هـ/10م في تزيين الواجهات، خاصة في إطار تزيين المداخل والأبواب[7].

أ- تقـــنية البناء بالحجر غير المنـــتظم وغير المحدد: *(شكل رقم:1-ب/صورة رقم:7)*

تعد هذه التقنية إحدى التقنيات المستخدمة في أجزاء السور الخارجي لفاس الجديد في الجزء الشمالي الشرقي ، وتبدو هذه التقنية انطلاقا من أساس السور ، حيث يحفر خندق للأساس بعمق 1,50 م إلى 2 م ، ويجب البناء بالحجارة الكبيرة لكي تحمل ضغط السور، والجدير بالذكر أن تقنية تصفيف الدبش توضع بطريقة غير منتظمة مع مراعاة استقامة الجدار، وبعد وضع المستوى الأول للدبش حيث يمر ملاط الجبش بين الفراغات

---

(1) - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص 661.

(2) - جورج مارسي، "بناء"، ترجمة عبد القادر كك. دائرة المعارف الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، الجزء السابع، ص 27.

(3) - G. MARÇAIS , « Bina » , Encyclopédie de L'islam , Nouvelle Edition T 1, Paris ,1975, p 1264.

(4) - عبد الرحيم غالب، المرجع السابق ، ص 126.

(5) - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 74.

(6) - G .MARÇAIS, « Bina » … , P 1264.

(7) - G.MARÇAIS, L'architecture … , P 331.

الموجودة بين الدبش ، ثم يلي ذلك مستوى ثانٍ بنفس الطريقة، ويتراوح سمك السور عن القاعدة 80 سم إلى 70 سم، ويتضاءل عند الأعلى.

3 – الآجـــــر:

لقد استخدم الآجر في العمارة الإسلامية كمادة ثانوية، والأمثلة قليلة، حيث بنيت به الدعامات، وسقفية المدخل، والعقود، والمداخل والتسقيف. ***(شكل رقم:11-12/ صورة رقم:14-16-25-34-36)***

والآجر بضم الجيم وتشديد الراء لفظ فارسي معرب، معناه اللبن[1] إذا طبخ، وعرفه المطرزي[2] أنه طين مستحجر، وقد عُرف بتعريف آخر: أنه لبن الطين المحروق، وهو مكون من طينة تدخل في تركيبها مجموعة من الأكاسيد، كالكالسيوم، و المغنزيوم إضافة إلى الرمل الذي يكسب الآجر الصلابة، والمقاومة، واللمعان[3] ، ويتم تشكيله بإضافة الماء للطينة، ومزجه معا بالأرجل، وبعد أن تصير الطينة جاهزة توضع في قوالب خشبية مفرغة تختلف مقاساتها، و أشكالها من منطقة إلى أخرى، ومن فترة إلى فترة، وعادة ما يكون طول الآجر، الناتج عن تلك القوالب يساوي ضعف عرضه وضعف سمكه، وهو ما ينطبق تماما على الآجر، حيث بلغ طوله 24 سم، وعرضه 12سم، وسمكه 6 سم، وبعد عملية القولبة يعرض الآجر للهواء ليجفف من الماء ثم يحرق في أفران خاصة.[4]

وقد استعملت هذه المادة منذ القديم في حضارة بلاد الرافدين، وعند الرومان،[5] وانتقلت بعد ذلك إلى العمارة الإسلامية، وقد اهتم المسلمون بصناعة الآجر، وخضعت لرقابة محتسبة[*] وكانت مواضع صناعة الآجر خارج المدن لاتساع الموضع، ولتجنب المدينة ضرر الدخان، حيث بنبت بها مساجد الكوفة، والفسطاط، واستعملها الأمويون في

---

(1) - عاصم محمد رزق،المرجع السابق، ص 11.
(2) - ابن الرامي، المصدر السابق، ص 138.
(3) - يونس جعفر، المرجع السابق، ص 20-21
(4) -G .MARÇAIS, « Bina » …, p 1264.
(5) - عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 126.
(*) - تضمنت كتب الحسبة إشارات واضحة لهذه المواصفات فيذكر بن عبدوه أنه " يجب أن تكون الآجر وافرة معدة لهذا المقدار من عرض الحائط وقد يكون للمحتسب قالب في غلظ الآجر ومتانة البناء شرط أساسي من الشروط الأربعة التي يجب توفرها في مواد البناء بمواصفات عالية الجودة لتبقى المباني سليمة متينة وقد ركز المحتسب على إنتاج العمارة ولا تصبح العمارة عمارة بدونها وهي المنفعة والمتانة والجمال و الاقتصاد. أنظر:
- ابن الرامي، المصدر السابق، ص 138.

بناء جدران أبنيتهم، وفي أقبية قصر المشتى (125هـ/742م- 126هـ/743م)، وقصر الطوبة في بادية الأردن (126هـ/744م)، واستخدمها العباسيون في بناء الجوسق الخاقاني (218هـ/833م)[1]، وفي الجامع الكبير بسمراء، وجامع أبي دلف[2]، كما استعمل الآجر الطولونيون في بناء جامعهم بالصليبية(263هـ/876م-265هـ/879م)، والفاطميون، و الأيوبيون، والمماليك[3]، وقد شاع استخدامها مع الحجر، والطابية في بلاد المغرب، و الأندلس[*] وفي المدن العباسية الأغلبية، وفي قلعة بني حماد[4]، والجامع الكبير بتلمسان المرابطي، و مئذنة جامع إشبيلة لا خير الدار[5]،واستعمله المرابط ون في الجامع الكبير بفاس[6]، وقد استعملت هذه المادة بطرق مختلف وتتمثل في:

أ – طريــــقة المدامــــيك المنتـــــظمة: *(شكل(11-جـ)*

وتقوم على مادتي الآجر، والملاط حيث ينظم فيها الآجر أفقيا على شكل مداميك متراكبة متكررة بطريقة محكمة ومنتظمة ، ويبدو فيها الملاط اللاحم كطبقات عمودية بين المداميك مما يعطي الانطباع بمظهر فني جمالي ، وقد استعملت هذه الطريقة في أجزاء كثيرة، وخاصة في بناء الأعمدة، والأبواب، وفي أجزاء بعض السور.

ب – طريــــقة المدامــــيك المتــــناوبة: *(شكل رقم:11-و-ب)*

تقوم على تكرار المداميك من الآجر، والطابية من الحجارة غير المسقولة، ومداميك من الآجر بالتناوب، فيها مجموعة مداميك آجرية بمعدل ثلاثة أو أكثر، تتكرر تناوبا مع المدماك، أو أكثر من الحجارة ، وبتنظيم كل منها بطريقة أفقية بترابط المدميك مع الآخر كل مع الأخرى بطبقة من الملاط اللاحم يختلف سمكها بين مداميك الآجر، ومداميك الحـــجارة، غير أن هذه الطريقة البـنائية يمــكن أن تغـطي الجــدار بكــامله، واستعـملت

(1) ـ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 759-760.
(2) ـ رؤوف الأنصاري، عمارة المساجد، دار النبوغ والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 56-59.
(3) ـ عبد العزيز لعرج،المرجع نفسه، ص 661.
(4) -R. BOURUIBA. L’art Religieuse Musulmane En Algérie, Alger, 1983, p 47.
(5) -G .MARÇAIS. Manuel d’art Musulman, … T 1 , p 36.
(6) ـ صالح بن قربة، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1986، ص 47-64-65-102.

استعمالا جزئيا في بعض أجزاء السور الشرقي، وبعض أبراجه بفس الجديد ، ربما القصد منه استعمال الحجر إلى جانب الآجر، زيادة إلى تدعيم الحوائط وتقويتها .

جـــ – طريـــــقة المدامـــيك المائـــلة السنبـــلية: *(شكل رقم:11-د)*

تعتمد هذه التقنية على مادة الآجر، وتنظيمها حيث تنفذ فيها مداميك الآجر بطريقة مائلة في اتجاهات متغيرة إلى اليمين، أو إلى اليساربمعدل مدماكين، أو أكثر، وبميل يتراوح مابين 45 و 50 درجة، وذلك بالتناوب مع مداميك أخرى عمودية من الآجر، ومداميك الآجر المائلة في نظامها كالسنبلة، مما دعى بعضهم أن يطلق عليها طريقة السنبلة [1]، وقد بنيت أجزاء من هذه السور بهذه الطريقة، وخاصة في فاس الجديد. *(صورةرقم:16)*

وقد استعملت هذه التقنية في عملية التلبيس " وضع وجه آجري على جدار المبنى بالطابية" ، حيث تتطلب مهارة كبيرة ، واستعملت هذه التقنية لكثرة الرطوبة، أو ربما بسبب فيضانات الوادي لكي لا تأثر على جدار السور.

د – طريـــقة المدامـــيك المائـــلة: *(شكل رقم:11-أ)*

واستعملت فيها بناء الأقبية الأسطوانية، والعقود *(شكل رقم:12)* بداية بـ:

*– تقنـــية بناء الأقـــــبية الأســــــطوانية:

تقوم هذه التقنية على تنظيم قطع الأجر بطريقة مائلة ميلا حادا من غير قالب، بحيث تحمل الحوائط المائلة وتشد فوقها مداميك أفقية تأخذ في الانحناء التدريجي لتشكل الجزء السفلي للقبو، ليكوّن بذلك قاعدة جديدة له، ومنها تنبع طريقة جديدة في بناء أقبية عن طريق تقسمه إلى قطع على شكل عقود متوازية، تعتمد عل أحد حوائط العمق كنقطة ارتكاز، وانطلاق، وعلى ذلك الأساس تقوم العقود بتكوين أشكال مربعة قائمة تلاحم مع أخرى بملاط سريع التلحيم، حيث تلحم القطع السـابقة مع التـالية بها، ثـم يمـلأ الفـراغ،

---

[1] - يونس خنفر، المرجع السابق، ص 25.

وهكذا حتى يتم تشكيل القبو، وهذه التقنية قديمة عرفها الساسانيون في بناء أقبية عمائرهم، واستعملها المرينييون في تشكيل الأقبية الأسطوانية *(شكل رقم:11-أ)*، و بكثرة في تسقيف أبراج المنصورة وفاس الجديد ، وكذلك في مداخل أبواب هذه الأخيرة.

*** – تقنـــية بــــــناء العــــــقود:** *(شكل رقم:12)*

تتشابه طريقة تنظيم الآجر في مداميك بناء العقود حيث يعتمد في بنائها على قالب خشبي، حيث يحدد خطوطه التحديدية القائمة والمقوسة، تفصلها قطعة مستوية، تمتد بين نقطتي منبت العقد على الجانبين إذا كان العقد منكسرا .

أما تنظيم الصفوف نفسها، فتبدأ من الأسفل إلى الأعلى بطريقة منتظمة، ثم بطريقة مائلة عندما تصل إلى مستوى بداية التقويس ، لتتحول إلى ميل تدريجي، وتستمر في ذلك حتى تصل إلى مفتاح العقد ، فيترك فراغا مثلثا قاعدته مقوسة إلى الأعلى ورأسه إلى الأسفل في منتصف التقويسة، ويحدده تنظيم قطعتي آجر أو أكثر بطريقة شاقولية، وتنظيم على جانبها في ذلك الفراغ بقطعة آجر بطريقة شبه شاقولية، وهذا ما هو واضح في عقد مدخل باب الأمر.

أما العقود فتبنى بواسطة طبقات مشعة حول نقطة مركزية في منبتها، أو أنها ترتفع بطريقة محمولة حتى نقطة التلاشي، وبواسطة طبقات مشعة في الاتجاه الأعلى، أما المفتاح فيشكل بزاوية أو زوايا متراكبة ونجد ذلك في عقود المداخل المرينية والملاحظ في باب السبع، وباب السمارين، وباب الأمر.

4 – الـزلـيـج:

استعملت مادة الزليج في العمارة الإسلامية العسكرية كمادة ثانوية، والتي كانت تزين بها واجهات مداخل الأبواب المرينية، وازدهر فن الزليج بالمغرب الإسلامي، خصوصا أيام بني مرين، ولعب الخزف بأنواعه دورا اجتماعيا تطرق إليه المؤرخون وحفظته الآثار، وقد نوع المرينيون طريقة صنعه وألوانه، وأنواعه، ونص ابن أبي زرع في روض القرطاس على الدور الذي لعبه فن الزلـيج في الحياة المغربية على عصر بني

مرين، كما أشار الجزنائي في زهرة الآس إلى صناعة الزليج في ساقية باب المدرج بالقرويين في عصر أبي يعقوب يوسف.[1]

تعد طريقة ضرب الزليج هي نفسها في الآجر وقالبه من الخشب، أصغر حجم من الآجر، فقالبه مربع طول كل ضلع منهما حوالي 10 – 11,5 سم، وسمكه 1,5 سم ، وسمك إطاره 0,5 سم، يتألف من جزأين مربعين متساويين يفصل بينهما ذراع يمتد خارج إطار القالب.

وبعد عملية القولبة والتجفيف تتم عملية التشكيل، وهذا قبل الحرق وقبل تلقي الطلاءان التلوينية، ويطلق على هذه المربعات المضروبة في القالب و المجففة في الظل بالمزهر، حيث أورد العمري قوله :" ... وأما دور هؤلاء فيفرش في الآجر ويسمى المزهري ..."[2].

وتنقسم البلاطات الخزفية من حيث الطلا آت التلوينية إلى قسمين، بلاطة مطلية بلون أو لونين ومزخرفة والثانية خالية من الزخارف، الأولى استعملت في الفسيفساء الزخرفية، التي اختلفت أشكالها وأحجامها وألوانها وزخرفتها، وهذا ما نلاحظه فوق عقد باب الأمر، إن هذا النوع من الخزف يحرق مرتين أو ثلاث مرات، ويطلق عليه تسمية الزليج المنقوش، حيث يقطع أو يقص على هيأة الزخارف المطلوبة ثم يثبت على السطح ويعرف في المشرق باسم المونة.[3]

أما النوع الثاني فأستعمل في تزليج شبكة المعينات الموجودة فوق عقد المدخل يطلق عليه الخزف المموه وهو واسع الانتشار، ويعرف بالزليج منذ أن وجد بالمغرب الإسلامي خلال القرن الخامس، و قد دخل المغرب الأقصى عن طريق إفريقيا، وقد عم استعماله منذ النصف الأول من القرن الثامن[4]، وقد استعمل المرينيين عدة ألوان، فضلا عن ألوان الموحدين الأخضر، والأبيض، استعملوا اللون البني المائل للسواد منجنيزي، والأصفر المائل للحمرة بأكسيد الحديد، والأزرق القاتم والأزرق الفاتح، ومعظمها نراها

---

(1) - الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر2001، ص 102، 103.

(2) - العمري ، المصدر السابق ، ص 117.

(3) - عثمان عثمان إسماعيل، العمارة الإسلامية... ، ص 365. أنظر:
- عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 803- 811.

(4) - عثمان عثمان إسماعيل ،المرجع نفسه، ص 365.

في الخزف المموه في الزخارف الهندسية والنباتية على مداخل فاس الجديد، وخاصة على باب الأمر،(*صورة رقم: 33، 34).*

5 – المـــــلاط:

يعتبر الملاط مادة أساسية في البناء، فهو الذي يربط بين الحجارة والأخرى، وبه تقام الجدران و الأسوار، ويتحدث عنه ابن خلدون فيقول " فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران ملصقا بعضها إلى بعض بالطين والكلس، الذي يعقد معها فيلتحم كأنهما جسم واحد[1]، فالملاط عبارة عن خليط يشكل مادة صلبة تربط بين مختلف عناصر البناء، وعادة ما يكون ذلك الخليط مكون من الرمل و الطين مع إضافة الماء، وأحيانا يكون من مادتي الجبس و الجير، وهما مادتان يستخرجهما الإنسان من باطن الأرض على شكل كتل حجرية يقوم بحرقها، ثم يفتتها، أو يطحنها بطاحونات خاصة[2]، وأحيانا يستعمل الخشب كمادة لاحمة إضافة إلى الرمل البحري أو النهري[3].

وقد استعمله المرينيون بأنواعه، الطيني، والمشكل، والجبس، و الحصى، والتربة في كل من الأسوار، والمداخل، و الأبراج، وفي كل عمائرهم.

6 – الــــجــص:

لقد استعمل الجص في العمائر المرينيين لغرضين:

- **أولا:** لتغطية الفجوات بين الحجارة المشذبة أو الدبش، كما هو الحال في الجزء المتبقي من بعض العمائر حسب ما لاحظناه .

- و**ثانيا:** لاكتساب الجدران المنظر الجميل، و النعومة، وقد استعملوه في زخرفة باب السبع.

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ،الجزء الثاني، ص 491.
[2] - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 661.
[3] – نفسه، ص 661.

والجص عبارة عن حجارة رسوبية كلسية تجلب من المقالع في شكل كتل يتم تفتيتها وبعد حرقها تكون قد فقدت كل رطوبتها، وصارت سهلة للطحن، وبعد عملية الطحن تلي الغربلة لتكون صالحة للاستعمال.

وقد استعمل الجص في تكسية الجدران، وكانت تتم العملية كما يصفها ابن خلدون في أن يترك الجـبس في المـاء مدة أسـبوع حتى يختمر، فإذا حصل له ذلك يبدأ الجصـاص بوضعه فوق الجدران إلى أن يلتحم بها[1]، كما استعمل في الزخرفة، و كان يتم ذلك بتحديد الزخارف المراد تنفيذها، ثم يبدأ الفنان بحفر المساحات الخارجية عن إطار الزخرفة بواسطة مثاقب حديدية[2].

كما استعمل الجص في تكسية الجدران، و كانت تتم العملية كما يصفها ابن خلدون "... بأن يترك الجبس في الماء مدة أسبوع حتى يختمر فإذا حصل له ذلك يبدأ الجباس وضعه فوق الجدران إلى أن يلتحم بها ..."، كما استعمل في الزخرفة، و كان يتم ذلك بتحديد الزخارف المراد تنفيذها، ثم يبدأ الفنان بحفر المساحات الخارجية عن إطار الزخرفة بواسطة مثاقب حديدية[3]، كما يستعمل الجبس في التسقيف ، حيث كان يصب بين العوارض الخشبية، أو الألواح بعد أن تسد الفتحات من الأسفل بأخشاب مسطحة، و الجبس مادة أساسية في تكسية الجدران، فهو عازل للحرارة، و الصوت و سهل الزخرفة، و قد عرفه الإنسـان منذ عصـر الفراعـنة بمصر، و حضارة وادي الرافدين، و انتشر استعماله عند الساسانيين، و منهم انتقل إلى المسلمين حيث استعمله الأمويون في قصر الحير الغربي (109هـ/727 م)[4] ، و العباسيون في الجامع الكبير بسمراء و جامع أبي دلف، وفي مختلف أبنيتهم، و قصورهم بسمراء، و استعمله الطولونيون، و الفاطميون في جامع الأزهر، و اتبع الأيوبيون، و المماليك في مصر، و الشام نفس الأساليب الفاطمية في استعمال الجبس ما بين (6-9هـ/12-15 م) . كما هو الحال في مسجد الظاهر بيبرس و

(1) - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة... ، الجزء الثاني، ص 492.

(2) - بكار آري، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة العربية، ترجمة سامي جرجس، دار التوالي للنشر، إطاليا ، 1981، ص 74.

(3) - ابن الرامي ، المصدر السابق ، ص 46.

(4) - عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 429 .

في الأضرحة، و المدارس، و بالموازاة مع المشرق عرف المغرب الإسلامي، و الأندلس الجبس، واستعملوه في مختلف أبنيتهم، وبرعوا فيه حتى بلغ عندهم أرقى درجات الإبداع، و قد وجدت نماذج منه في الحظائر العباسية الأغلبية، والفاطمية، والقلعة الحمادية، كما استعمله الموحدون في تلبيس الجدران داخل المباني، وواجهات الحصون، والأبنية[1] ، ومن نماذجه البديعة تلك التي كانت تزين بركة قصر الحمراء، والزهراء بقرطبة3هـ/9 م.

وكانت من تقاليد ذلك الفن تغطية الجدران الداخلية -أعلى الزليج- بالجص الذي نقشت فيه شتى أنواع الزخارف الهندسية والكتابية ذات التضفير، التي يغلب عليها التوريق المتقابل داخل عقود قائمة على أعمدة دقيقة من الجص، و لعب فن الجص المغربي دورا حاسما في فن الجمال الزخرفي بحسن تقسيمه وتنوع أساليبه، وما اشتمل عليه من عبارات أدبية ، وأبيات الشعر الرقيق، بالإضافة إلى النصوص الدعائية والقرآنية، وكذلك النصوص التأسيسية، كما هو الحال في نصوص مدرسة سلا التي تدور على الجدران والأعمدة، ومن أهم هذه الأعمال الجصية قبة تازا، التي أضافها المرينيون إلى المسجد الموحدي الأول بعد توسعه.[2] وقبة الناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين بجامع القرويين بفاس بقبة من الجص متقنة العمل وعلق بها سنة 737هـ [3]

7 – الـخـــشــب:

استعمل المرينيون مادة الخشب بكثرة في مجالات مختلفة في الأبواب، و في التسقيف، و في تدعيم السقف في باب السمارين كما نلاحظه، لقد كان مادة متوفرة لأن موقع فاس و المنصورة الطبيعي تكثر فيه الغابات. *(صورة رقم:30-28/صورة رقم:1-2)*

و الخشب مادة عضوية مصدرها الغابات، و يتم تحضيره بقطعه من الأشجار في وقت ملائم عادة ما يكون في فصل الشتاء، ثم يقوم النجار بنزع القشرة، ثم يقطعه إلى قطع متساوية، و منتظمة، و يخزنه في أماكن تقيه من الحرارة، و من الأمطار حتى لا

(1) -G. MARÇAIS, L'architecture… , P 40.

(2) - عثمان عثمان إسماعيل،العمارة الاسلامية... ، ص 346.

(3) - الجزنائي، المصدر السابق، ص 111.

يلتوي، ويمد بطريقة أفقية، و بعد مدة من الزمن يفقد الخشب نسبة كبيرة من رطوبته، بحيث لا يبقى منها سوى 13 أو 5 %، وهي النسبة التي يصبح فيها صالحا للاستعمال[1].

ويعود استعمال الخشب إلى عهود موغلة في القدم لما له من خصائص بالغة، فهو يتميز بقوة احتمال كبيرة، ومنتظمة، ومقاومة الشد، والضغط، وسهولة تصنيعه، وتشكيله، وصقله[2]، وكان استخدام المسلمون لهذه المادة في عدة مجالات أحيانا لا ينفصل عن المباني، مثل الأسقف، كسقف جامع سيدي الحلوي المريني، وجامع أبي الحسن، وأولاد الإمام الزيانيين بتلمسان[3]، والقباب، والأعمدة، والمسانيد الخشبية، والأبواب، و قد بقي منها العديد من الأمثلة في العالم الإسلامي، و استعمل في المحاريب كمحراب مشهد السيدة نفيسة بالقاهرة(532-هـ541/1138-1146م)، ومحراب السيدة رقية بالقاهرة 5هـ/11م[4]، بالإضافة إلى تلك المجالات فقد استخدم في إنتاج تحف منقولة منفصلة عن العمارة مثل المنابر كمنبر جامع القرويين بفاس، و منبر جامع الكتبية بمراكش[5].

لقد انتشرت صناعة الخشب منذ بداية الدولة المرينية بنوعيها العسكري، والمدني، فالأولى كانت مقتصرة على صناعة الأساطيل البحرية، نذكر من ذلك دار صناعة السفن بسلا في عهد يعقوب بن عبد الحق، ودار الصناعة جبـــــل الفتح[*] في عهد أبي الحسن و استكثاره من قطع الأسطول الحربي من اجل وحدة المغرب العربي والأندلس، وقد واصل أبي عنان رعاية الأسطول الإسلامي فكانت صناعة الأساطيل إحدى أنواع صناعة الخشب.

أما في الصناعة المدنية فقد استخدم في أماكن مختلفة نذكر منها، المباني و الأبواب، والشبابيك، والأسقف، والقباب، فعلى حد قول أبي فضل الله العمري" لقد كان لعاصمة أبي مرين في المائة الثامنة اليد الأولى في صناعة المخروطات من الخشب و النحاس"، فقد

(1) - رزق محمد عاصم، المرجع السابق ، ص129-131.
(2) - يونس محمد خنفر، المرجع السابق ، ص 165-166.
(3)
-R.BOURUIBA, L'art Religieuse…, , p 185.
-G .MARÇAIS, L'architecture Musulmane…, p 44.
(4) - حسن زكي، فنون الإسلام، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان، 1981، ص 118 – 119.
(5) - عفيف البهنيسي، الفن الإسلامي، دار الأطلس للدراسات للنشر، الطبعة الأولى، دمشق، 1986، ص 404- 40.
(*) - هو جبل طارق نسبة إلى طارق ابن زياد، وكان يسمى الفتح جبل ، بمعنى التجويف، تابع سياسيا لبريطانيا حاليا، وتنازعها إسبانيا فيه، وهذا خلاف قديم.أنظر :
- ابن الخطيب، كتاب معيار ...، ص 50، 51.

ابتكر الفنان المسلم صناعة الحشوات الخشبية بمنتجاته المتنوعة مثل أعتاب المباني، والأسقف، والمقصورات، والعنزات، والمنابر، وغيرها.

وتزخر العمائر الدينية والمدنية، والعسكرية بفاس الجديد وتلمسان بأمثلة كثيرة وجيدة من صناعة الأخشاب، بعضها ما يزال في مكانه وكثير منها نقل إلى المتاحف، والزائر إلى متحف البطحاء ومتحف تلمسان، ودور فاس ومدارسها، وفنادقها، ومساجدها، تستلهم نظره، قد تأثر الفنان المريني بالتحف المرابطية ، وهذا ما لمسه د.عثمان عثمان إسماعيل حيث قال بأن المنابر المرابطية مفتاح الزخرفة الخشبية المرينية معتمدين في ذلك على الدعائم الفنية والصناعية الأندلسية التي كانت سائدة آنذاك[1].

8 – الحــديــد:

استعمل الحديد كمادة مكملة في البناء ملحمة في أغلب الأحيان ، فقد استعمل في مغالق الأبواب، و في الربط بين الألواح في شكل مسامير، و الحديد يضم مجموعة من الأنواع، منها الحديد الزهري الذي يتميز بعدم النقاوة لاحتوائه على نسبة كبيرة من الكربون، مما يصعب من مهمة استخدامه لسهولة تكسيره إذا ما تعرض للطرق، و السحب، و يدخل في الصناعات الحديدية كالبوابات، و الأثاث المعدني . *(صورة رقم:30)*

و من أنواع الحديد أيضا المعدن الصلب، وهو على شكل سبيكة من الحديد، و الكربون يتميز بسهولة تشكيله، وإمكانية برده، واستعمال أقلام الحفر فيه، و سهولة إحداث ثقوب به، و قطعه بالمنشار[2]. و كانت الأدوات الحديدية على اختلاف أنواعها، و أغراضها تصنع بطريقة الطرق، و الصب، و يبدو أن الحديد الذي استخدمه المعمار المريني يكون قد طبقه عليه عن طريق الصب ، و تعتمد هذه الطريقة على صهر الحديد، و صبه في قوالب نموذجية خشبية،أو رملية، أو معدنية[3]. وكما كانت للحديد طرق مختلفة لصناعته، فإن هناك طرق أخرى للزخرفة تقوم على التخريم، و التكفيت، و

[1] ـ عثمان عثمان اسماعيل، العمارة الاسلامية... ، ص 312.
[2] ـ محمد زهران، فنون أشغال المعادن، مكتبة الأنجلو المصرية، 1965، ص8.
[3] ـ نفسه، ص 9.

الترصيع[1]، وقد استعملت كذلك مادة البرنز آنذاك لأغراض معمارية في المباني المرينية، وبخاصة في الأبواب، متمثلة في أبواب خشبية مرصعة بالبرنز، كما استخدمت هذه المادة في تثبيت وتوصيل الأجزاء المختلفة من القطع المعدنية ، وعلى حواف المصرعين في الأخشاب، وصناعة المسامير المختلفة الحجم التي كانت ذات مظهر فني على شكل مستدير ذو قبيبات صغيرة ذات قنوات و أخاديد.

وهذا ما يلاحظ على كل من باب السمارين وباب السبع، ونجد البرنز قد استعمل كثيرا في المباني المرينية، وخير مثال على ذلك استعماله في الباب الرئيسي بجامع سيدي أبي مدين، وهو باب خشبي مرصع بالبرنز مموه بسائل من النحاس الأصفر الذهبي اللون[2]، وباب المدرسة البعنانية[3].

و لقد عرف الإنسان هذه المادة منذ أربعة ألاف سنة قبل الميلاد، و يعتقد أن الحيثين هم أول من اكتشفه، و من ثم بدأ ينتشر حتى عرفته سائر الحضارات القديمة[4]، كما عرفه المسلمون أيضا، و استعملوه في عدة أغراض في درابزينات، و شد الألواح إلى بعضها البعض، و في الشبابيك، و التسييج .

ثانيا : العناصر المعمارية

1 - العـــقــــود:

عُقد البناء أي ألصق بعض حجراته ببعض بما يُمسكها فأُحكم إلصاقُها، والعقد ما عقد من البناء[5]، مؤلفة من قطع حجرية ملتصقة فيما بينها على أشكال مختلفة[6]، واستخدم ابن الرامي مصطلح العـقد في كثير من المواضــيع، للدلالة على ارتـباط جـدران بعضها

---

(1) - محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيأة العامة للكتاب، مصر، 1974، ص148-149.

(2) - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص

(3) أنظر كذلك
- G.MARÇAIS, L'architecture… , p 338.
- G.W.MARÇAIS, Les Monuments…, p 259-260

(4) - الشيوخات أحمد مهدي محمد، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ، 1999، ص 160.

(5) - إبراهيم أنيس والآخرون، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 614.

(6) - مانويل مورينو جوميث ، المرجع السابق ، ص 498.

ببعض، وهو ما يعبر عنه باصطلاحات أخرى جرى استعمالها بين البنائين والأثريين[1]، وقد استعمل نوعين من العقود التي ما زالت باقية في أبواب المداخل، وهي على نوعين، و التي تتمثل في عقود نصف دائرية، و عقود متجاوزة منكسرة في الأبواب *(شكل رقم:13)* وعليه فإن المرينيون استخدموا العقد المتجاوز كمال الاستدارة الذي عرفه المرابطون، وأهملوا العقد المتجاوز المنكسر الذي استخدمه الموحدون ، كما كان المستطيل المحيط بالعقد أقل ارتفاعا من نظيره عند الموحدين[2].

أما العقود النصف الدائرية، فقد انتشرت في العمارة الإسلامية في جميع الفترات والأقطار، كما كانت منتشرة في جميع أنواع العمارة القديمة والوسيطة والحديثة، وليس من السهل الوصول إلي تحديد أول من ابتكرها، ولعلّ أقدم مثال لها في العالم، يوجد في قبة الصخرة.[3] و استعملت بعد ذلك في قصر الحير الشرقي الأموي، وشاع استعمالها عند العثمانيين[4] ، أما العقود المتجاوزة المنكسرة، فقد ظهرت هي الأخرى قبل الإسلام في قصر ابن وردان (560-564م) .عند الساسانيين في بلاط كسرى استعملها الأمويون في جامع الكبير بدمشق[5]، و أغلبها في جامع القيروان.[6] ثم شاع استعمالها في المغرب و الأندلس، و هي عقود ذات مركزين يزيد ابتداؤها عن خط كتفيها[7]. *(شكل رقم:13)*

والعقد عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة كما هو الحال في العقد النصف دائري، ونقطتين في العقد المتجاوز المنكسر، و أحيانا على عدة نقاط ارتكاز، وهو يتألف من صف من الآجر كل واحدة تسمى فقرة[8]، مثلما هو الحال في عقد المدخل، و رواق المدخل *(صورة رقم:18-29)* كما هو الحال في أبواب شـالة و أبـواب فاس الجـديد

---

(1) - ابن الرامي، المصدر السابق، ص203-204.
(2) - عثمان عثمان اسماعيل، العمارة الإسلامية ... ، ص 290.
(3) - فريد الشافعي، المرجع السابق، ص201 -202.
(4) - عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية...، الجزء الثاني، ص 61.أنظر كذلك:

-G. MARÇAIS, L'architecture …, p 450.

(5) - فريد الشافعي ، المرجع نفسه، ص 201-202. أنظر كذلك:
- عبد الحميد سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشآت المعارف بالإسكندرية، بدون تاريخ، ص214
(6) -L.GOLVIN, Essai sur L'architecture Religieuse Musulmane, Edition Klivchsieck, 1991,T1, p 99.
(7) - كمال الدين سماح، العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ ، ص 174.
(8) - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 667.

والمنصورة، كما لا ننسى أن له تأثير جمالي ويظهر ذلك في قصر الموحدين وباب الواديا[1].

ويتم بناء العقود بوضع قالب خشبي مقوس توضع عليه القطع الآجرية، ابتداءً من أسفل إلى أعلى بطريقة منتظمة، ثم بطريقة مائلة في الأجزاء المقوسة، و في أعلى العقد فراغ يسمى بمفتاح العقد يتم سده بقطعتين أو أكثر من الآجر بطريقة شاقولية، *(شكل رقم:12)*، و للعقد أهمية كبيرة، فهو يعمل على حفظ توازن المبنى، وتخفيف الضغط العلوي و الثقل و توزيعه على الأعمدة و الدعامات، مما يجعله يساهم مساهمة كبيرة في الحفاظ على المباني قائمة، و إطالة عمرها الزمني[2] ، ومن دون شك أن المرينيين كانوا يدركون ذلك الدور لذلك نجده في قبة المدخل يزيد طوله عن 7م . *(صورة رقم:29)*

2 - الأعـــمدة و الدعـــامـــات:

لقد استعمل المرينيون الأعمدة و الدعامات في سقوف الأبواب، فالأعمدة هي الأكثر استعمالا، و قد استعمل الأجر و الحجر المشذب في بنائها أحيانا. *(شكل رقم:11-جـ-هـ)* والدعامة بتشديد الدال و كسرها جمع دعائم، و دعم في العماد الذي يعتمد عليه السقف، و تتكى عليه الجدران حتى لا تسقط، و قد اتخذت عدة أشكـال منها المــربعة و المستطـيلة و أحيانا يعتمد عليها السقف مباشرة، و أحيانا أخرى تعلوها عقود يرتكز عليها السقف[3] كتلك التي نراها في مداخل الأبواب "باب السمارين وباب السبع" *(صورة رقم :19، 28، 29)* مبنية بالآجر وبطريقة المداميك المنتظمة *(الصورة رقم:91)* .

و الدعامة عنصر معماري ظهر في العمارة الإسلامية مبكرا، و كان أول استخدامه في قبة الصخرة من(73هـ/691م)، و في الجامع الأموي بدمشق (92هـ/710م)، و في قصر الأخيضر. (161هـ/778م)، ومع مرور الزمن تطورت أشكالها، و اتسع نطاق استخدامها في المشرق و المغرب[4]. *(صورة رقم:29-36)*

---

(1) - عثمان عثمان إسماعيل، العمارة الإسلامية ... ، ص 290.
(2) - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص667.
(3) - رزق محمد عاصم، المرجع السابق، ص 108.
(4) - جودة محمد حسين ، المرجع السابق، ص 70.

3 – الأرضـــيـات:

لقد اهتم الإنسان منذ أقدم العصور بتبليط أرضية مبانيه، حيث استعمل في ذلك عدة طرق وعدة مواد منها التبليط بالرخام، و الحجارة، و البلاطات الخزفية، والتراب المدكوك[1]، و من بين تلك المواد التي استعملها المرينيون الحجر الذي بلطت به أرضية الأبواب، وهذه الطريقة معروفة منذ القديم في بلاد ما بين النهرين، و عند الرومان، و البيزنطيين، و منهم انتقلت إلى المسلمين حيث استعملها الأمويون في تبليط الجامع الكبير بدمشق(92هـ/710م)[2].

كما استعمل المرينيون في تبليط فناء الباب، و هي عبارة عن قطع مستطيلة، أو مربعة الشكل، و أحيانا تكون غير منتظمة الشكل، و نحت في الحجر الجيري أو الرملي، ويطلق عليها أحيانا البلاطات المنحوتة، أو المصقولة لاستواء جوانبها[3].

وقد استعملت البلاطات الكبيرة بالتناوب مع البلاطات المربعة الصغيرة في التبليط، وكانت تتم عملية التبليط بوضع صف من الحجارة الموازية للمدخل، ثم تجعل الصفوف الأخرى متعامدة على هذا الصف الأول[4].*(صورة رقم:28)* وهذا مستعمل في باب السمارين، وباب السبع،كما نجد أن هذه التقنية مستعملة كذلك في الساحات العمومية لمدينة فاس الجديد وأزقتها.

4 – التســقــيف:

لقد تنوعت طرق التسقيف عند المسلمين، وتعددت أشكالها، و مواردها، فقد استعملت الأسقف المسطحة في مسجد قرطبة، والهرمية في أروقة الجامع الأموي بدمشق، والمقببة في قصر المشتى، والمخروطية في الكثير من الأضرحة العراقية، كما استعملت مواد كثيرة في التسقيف، الحجر، الآجر، والخشب، و الملاط.

---

(1) - عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص11.
(2) - نفسه، ص 11.
(3) - زرق محمد عاصم، المرجع السابق، ص36.
(4) - نفسه، ص 36.

لقد حدد ابن الرامي العناصر الإنشائية التي يجب توفرها في السقف حتى يكون سقفا، وذكر انها أربعة أشياء، أول ذلك الخشب، وما يلقى عليه من لوح، و قصب، و تراب، و الأكحال[*] ، والأصطاك[**]، أو فراش بالحجر أو غيره، فإن كانت خشب، وتراب، و أكحال دون الألواح، فلا يكون سقفا ولا بنيانا، ولا يتأتى معه شيء، لأنه لا يمسك التراب إلا الألواح أو القصب، فإن كان الخشب، و اللوح دون التراب فلا يكمل السقف، ولا يتأتى لأحد أن يمشي عليه، وكذلك إذا كان الخشب واللوح والتراب دون الأكحال، لا يـتأتى من كل ما عمل شيء ولا يطمأن به، ومن هذا الوصف يتضح أن مصطلح السقف يطلق غالبا على السطح المسقف المنفذ بهذا الأسلوب تمييزا له عن أنواع التغطية الأخرى[1]. *(شكل رقم:6-ب/صورة رقم:48)* ، وشرح ابن خلدون عملية بناء السقف فقال " بأن تمد الخشب المحكمة النجارة والساذجة على حائط البيت، ومن فوقها الألواح، كذلك موصلة بالدساتر ، ويصب عليها التراب و الكلس، ويبلط بالمراكز حتى تتداخل أجزاؤها وتلتحم، ويعالى عليها الكلس كما على الحائط"[2].

أ – التســـقـــيف بالأقـــبـــية:

تعتبر الأقبية الأسطوانية الأكثر استعمالا في العمائر، و نجدها في الأبراج، والقبب، والمداخل.

وتعد الأقبية الأسطوانية أكثر العناصر المعمارية استعمالا في التسقيف، لتوفر مادتها الإنشائية المشكلة من الحجر والآجر أو الملاط، وسهولة إنشائها وقدرتها على تحمل الثقل، و الضغط وتوزيعها توزيعا متوازنا على الجدران، كانت تبنى بالقوالب الخشبية، أو العبوات وأحيانا بنيت بغير قالب، وذلك بإقامة حيطان مائلة تستند عليها مداميك خلفية

(*) ـ **الأكحال :** إحدى الطبقات المكونة لأسقف المباني، بحيث كانت الأسقف تنشأ من الخشب الذي يوضع فوق لطبقة من القصب و الديس تعلوها طبقة من التراب، وهي الأصطاك.أنظر كذلك:
- ابن الرامي، المصدر السابق، ص 142.

(**) ـ **الأصطاك :** هي الطبقة التي تعلو طبقة الأكحال ، وهي الطبقة الملاطية الأخيرة، التي تسد الشقوق ، ولا تسمح بتسرب الماء، وتشكل أرضية الطابق الذي يعلو الطابق المسقوف إن وجد، أنظر:
- ابن الرامي، المصدر نفسه ص 142.

(1) ـ نفسه ، ص 190.

(2) ـ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 491.

منحنية، ومن هذه الطريقة ظهرت طريقة أخرى و ذلك ببناء مجموعة من العقود يتم الربط بينهما بملاط سريع التلحيم و شديد الصلابة[1]. *(شكل رقم:6-12)*

وقد عرف الإنسان الأقبية الأسطوانية منذ القدم، حيث كانت معروفة عند الفراعنة، و الساسنيين، و البيزنطيين، وكان ظهورها في العمارة الإسلامية مبكرا في قصر عمر (93هـ-95هـ/711م-713م)، وحمام الصرخ، وقصر المشتى(125هـ-126هـ/742م-743م)، و قصر الطوبة (126هـ/744م)، وكذلك في القصور العباسية[2].

ولعلّ أقدم الأمثلة للأقبية الأسطوانية الباقية، ما وجد في جامع سوسة بتونس الذي يرجع تاريخه إلى سنة (236هـ/850م)، وشاع استخدامه في بلاد المغرب، و المشرق واستعملوه في مختلف أبنيتهم العسكرية، والدينية، والمدنية، حيث استعمله الفاطميون في تسقيف مسجد الجيوشي (478هـ/1085م)، وجامع الأقمر سنة(519هـ/1125م)، كما استعمله الأيوبيون في أسوار قلعة الجبل سنة(572هـ/1176م–589هـ/1193م)، واستخدمه أهل المغرب بالإضافة إلى جامع سوسة، وجامع بوفتاتة، وفي قلعة بني حماد، وفي قصر المنار، ودار البحر، والجامع، والمئذنة، كما استخدمه المرنيون، والزيانيون في مننشآتهم بالمنصورة و تلمسان و فاس الجديد خاصة في تسقيف الأبراج،[3] *(شكل رقم:6-9-8)*، كما يؤكده جورج مارسي في أبحاثه الأثرية، إضافة إلى ذلك فقد استعمل كذلك في تسقيف الأبواب ، ومثال ذلك باب السمارين في الغرفة الأولى عند المدخل، وباب السبع، كما انتشرت هذه التقنية في مباني المرينيين عامة، والزائر لمدينة شالة يلتمس ذلك بوضوح في العمائر المرينية العسكرية. *(صورة رقم:30)*

ب – الحنايا الركنية وتكوين القبة:

هي عنصر معماري موجود في الأبنية منذ القديم، وقد وجدت الحنايا في الجدران و المداخل والسقوف، وفي كل مكان من البناء يراه المعماري مناسبا ليعمل فيه حنية، وهي

[1] - فريد الشافعي ،المرجع السابق، ص 198- 199.أنظر كذلك:
- عبد العزيز لعرج ، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص668.

[2] - فريد الشافعي،المرجع نفسه ، ص 197-199.

[3] - رزق محمد عاصم، المرجع السابق، ص 232-233.أنظر كذلك
- عبد العزيز لعرج، المرجع نفسه ، ص 604-605-669.

موجودة في زوايا المربع المراد تسقيفه بقبة[1]، وهدا ما يلاحظ في مداخل الأبواب المرينية بباب السمارين وباب السبع ، حيث تمد المداميك بطريقة منظمة تتناسب مع استدارة القبة يدخل البناء مادة الحجارة و مواد مختلفة على هيأة مداميك كقواعد منتظمة، الغرض منها الربط والتنسيق الحوائط بين هذه المواد، وهي طريقة تعترض البناء بصفة خاصة في الأجزاء العليا من حائط القبة المجوفة بين العقود والطاقية[2].

هذه القباب تبدوا من الخارج موضوعة على شكل مربع، أما من الناحية الداخلية فإن منطقة الانتقال من مربع إلى مثمن تتم بواسطة أربع حنايا ركنية[3]، ليسهل بعدها تكوين دائرة ترتكز على رؤوس هذه الحنايا وعلى منتصفات أضلاع المربع وتكون قاعدة للقبة، وقد كان لهذا النوع دورا كبيرا في تكوين القبة.

ولقد لعبت الحنايا الركنية دورا هاما في ظهور المقرنصات، فالمقرنصات تكوين هندسي زخرفي ظهر لأول مرة في قلعة بني حماد ، وبلغ درجته في التطور منذ سنة (555هـ/1160م) ، فقد ملئت تجويفات الزوايا الأربعة الغرفة المربعة التي يراد تقبيبها، بكواتت مقعرة متراكبة بعضها فوق بعض، وقد شاع استخدامها في العمائر الموحدية.

5 - الشــــرفـــــات :

هي زوائد توضـع في أطراف الشيء تحـلية له[4]، وفي الإطـار المعـماري الشـرفة ما يوضع في أعلى القصور والمدن، ويقال شرف الحائط أي جعل له شرفة، أي شرافة[5].

لقد استخدمت الشرفات للدلالة على النهاية العلوية للأسوار، والقصور، والمساجد، وغيرها من العمائر، وكانت تبنى بمواد مختلفة منها الخشب، والمعادن، وتكون قاعدتها أعرض من قمتها في الغالب،[6] ولقد استخدمت الشرفات في استحكامات المرينيين على ما هو ملاحظ في التحصينات، حيث كانت أسوار، ومداخل متوجة في الأعلى بأسوار

---

(1) - كمال حيدر،المرجع السابق، ص 18.

(2) - G . MARÇAIS , L'architecture…, p 329.

(3) - محمود عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، 88.

(4) - إبراهيم أنيس و الآخرون، المرجع السابق، الجزء الأول ، ص480.

(5) - ابن الرامي، المصدر السابق، ص 195.

(6) - رزق محمد عاصم، المرجع السابق ، ص 161.

مسننة،[1] ونفس الشيء بأسوار وأبراج فاس الجديد، إلا أن تلك الشرفات لم يبق منها شيء و اندثرت كلها بالمنصورة، وبدون شك أنها كانت تستخدم لوظيفة عسكرية خاصة، كما أننا نجدها في أسوار الأبراج، وفي المداخل حيث كان الجند، والحرس يراقبون تحركات العدو من خلالها ، كما كانت تسمح لهم بتسديد النبال، و إطلاق النار نحوهم، و في نفس الوقت كانت توفر لهم الحماية اللازمة من طلقات العدو وسهامه[2]. *(شكل رقم:2-ب-3-4)*

ولنفس الغرض استخدمها الساسانيون في عمائرهم الحربية، إضافة إلى الوظيفة الزخرفية، والشرفات عنصر معماري نشأ في الأصل في العمارة الحربية، ثم انتقل إلى العمارة الدينية والمدنية، وأصبح عنصرا زخرفيا معماريا شائع الاستعمال، كما استخدمها الرومان في الشام، مثل ما هو الحال في المعبد الكبير بتدمر[3] ،ثم انتقلت إلى العمارة الإسلامية التي طورته و أبدعت فيه ، وكان ظهورها في بداية القرن 2هـ/8م في بوابة قصر الحير الغربي سنة (109هـ/727م) وبوابة قصر الحير الشرقي (110هـ/728م).

ومما هو معلوم أن تلك القصور كانت ذات طابع عسكري، حيث كانت محاطة بأبراج، وانتقال عنــصر الشــرفات إليها كان لوظـيفة عســكرية، ولكـننا نجد هذا العنــصر أيضا في عمارة المساجد كما هو الحال في جامع القيروان، وجامع بن طولون سنة(263هـ/876م-265هـ/879م)[4]، ورغم استخدام الشرفات في العمارة الدينية إلاّ أنها كانت في البداية تستخدم لوظيفة عسكرية، ومع مرور الوقت أصبحت عنصرا زخرفيا استخدمت في جميع أنواع العمارة الإسلامية، من جوامع، وقصور، وقلاع، وحصون وغيرها[5]، وبقيت الشرفات مستخدمة في مختلق المناطق الإسلامية ومختلف الفترات، وورثها المرينيون عن الموحدين، و استخدموها في منشآتهم الحربية، وهذا ما نلمسه على طول أسوار فاس الجديدة، وفي الأسوار الداخلية منها، أما الشرفات الموجودة على الأسوار الخارجية، يعود بناءها إلى العصر العلوي، وأغلبها أعيد ترميمها في العصور اللاحقة، وقد انتشرت ثلاث أنواع من الشرفات:

---

(1) - R. BOURUIBA, L'architecture Militaire … , p 113 .

(2) - رزق محمد عاصم، المرجع السابق، ص161

(3) - فريد شافعي، المرجع السابق، ص 181-214.

(4) - رزق محمد عاصم، المرجع نفسه ، ص 161.أنظر كذلك:

- حسن باشا، المرجع السابق، ص 217-218.

(5) - نفسه، ص218.

1 - ***شرفات هرمية الشكل:*** نجدها في الأسوار الداخلية لمدينة فاس الجديد وأبراجها وأبوابها وهي أكثر انتشارا *(صورة رقم: 31، 25 ، 21، 17 / الشكل رقم: 3).*

2 - ***شرفات هرمية مشطوفة الرأس:*** نجدها منتشرة في الناحية الجنوبية في الأسوار الداخلية في فاس الجديد *(صورة رقم:10/ شكل رقم : 4).*

3- ***شرفات البسيطة:*** نجدها في أسوار المنصورة *(صورة رقم:8، 42، 45)* و أبراجها وكذلك في الأسوار الخارجية لفاس الجديد *(صورة رقم:8، شكل رقم: 1 أ).*

ثالثا تقنية الزخرفة

1 – الزخـــارف النــباتــية:

تتمثل الزخارف النباتية في ظاهرة التوريق العربي، وتتألف من فروع، وسيقان منثنية، و متشابكة، ومتقاطعة، و متتابعة، تبدو حينا قريبة من الطبيعة، و في معظم الأحيان شديدة التحوير أقرب على صور هندسية منها إلى أصلها النباتي، وظلت تنتشر وتنمو في المناطق التي بلغتــها حتى وصــلت إلى أقصـــى درجــة تطورها في القـرن (7-8هـ/13-14م)[1]، متشكلة من فروع وسيقان ، تتفرع، أو تتوزع منها مراحل بسيطة أو مركبة، المفردة، و المزدوجة وزهيرات ترتبط بها، أو تجاورها، أو تلامسها، وقد احتلت الزخارف النباتية المباني المرينية بقوة، ورسمت بأسلوب يتلاءم مع وجودها في المسطح، وهي تمتد في أماكنها بطريقة فعالة على حسب موضعها امتدادا طوليا، أو أفقيا، أو عموديا، في حركة متنوعة من الامتداد المستمر، و الالتفاف حول نفسها، و حول غيرها من العناصر.[2]

لقد ورث المرينيون الكثير من العناصر النباتية من الفن المغربي الأندلسي، وقد استــفادوا كــثيرا من الـفن المـرابطي، و الموحدي، والأندلسي، ذلك أن معــظم العناصــر

(1) - الألفي أبو صالح ، المرجع السابق، ص 113.أنظر كذلك:
- حسن زكي محمد، المرجع السابق، ص 250.

(2) - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق ، الجزء الثاني، ص 863.

النباتية الموحدية، انتقلت إليها المراوح النخلية، وهي على نوعين البسيطة والمراوح المزدوجة، وبدأت البسيطة في التراجع منذ القرن السادس الهجري ، تاركة مكانها للمراوح المزدوجة[1]، وحسب ما نلاحظ أنه انتشرت المراوح البسيطة والمزدوجة على عقود المداخل المرينية. *(صورة رقم:19-34-35)*

أ – المــــــراوح البســــــيطة:

والتي تكون من ورقة أو فص واحد ممدد أو ملولب، ذي انحناء خفيف على هيئة لام " ل" ، يتدرج من الشكل المفتوح إلى الشكل المنغلق، وتتركب من قاعدة وبدن ونهاية، القاعدة شكل برعم كأسي أو تتخذ لسان مفلوق الوسط ، أما البدن فيلتوي على شكل لولب منفوخ وينتهي بنهاية حادة ملتفة على نفسها التفافا خفيفا أو حادا غالبا ما يكون على هيأة علامة استفهام"؟"[2]، ويوجد هذا النوع البسيط على زخارف واجهة باب الأمر وباب السبع بطريقة متماثلة و متقابلة، حيث كانت متزاحمة بطريقة متبادلة أفقيا وعموديا ، تنطلق من ساق واحد ثم تستقل كل منهما عن الأخرى و تتكون المراوح البسيطة هنا من قاعدة كأسية غير مخرمة وبدن ذو انحناء خفيف ينسلب إلى الأعلى لتتراجع نهايته المدببة إلى الخارج وتستدير دون أن تلتقي بجسمها. ***(الصورة رقم:34-35-19-33/الشكل رقم: 15-ج)***

ب – الــــــمراوح المــــزدوجــــة: *(شكل رقم:15-أ-ب)*

هي أكثر انتشارا، و أكثر استخداما من طرف الفنان المريني، وهي تتكون من فصين شبه متساويين ينتهيان في زاوية حادة هي أكثر استطالة، وانسيابا من المراوح البسيطة، لكن بنفس الانحناء[3]، تتميز بحــرية كبيرة في هيئتها، و تتقبل هذه المــروحة جميع صور التمدد، والاستطالة، و الانحناء بتناسق، وانتظام ، كما تتراجع فصوصها، و تتراجع نهايـتها إلى الداخل حيث يشكل أحيانا هيئة الدائـرة، كما يتصل بأحد فصيها مروحة ،

---

(1) -H .TERRASSE, L'Art Hispano-Moresque, des Origines au XIII ème siècle, Vandest, Paris, 1932, p 346.

(2) - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 864

(3) - G et W . MARÇAIS, Les monuments …, p 107.

فتصبح مروحة ثلاثية ، فقد يكون أحد فصيها غليظا، والآخر رشيقا ، كما تتخذ فصوصها في التوائها فتأخذ علامة استفهام " ؟ "، أو شكل آخر.

كما أنها تتألف من فصين انفتاحهما منعرج، أو أقل انعراجا ، كما قد يكون أحد فصيها قصيرا حاد، و مدبب منحني قليلا، أو أقل انحناء، بحيث يشبه أصبع الإبهام ، وفص آخر متخذا علامة استفهام ، تنظم المروحة المزدوجة في الزخرفة العامة على أوضاع مختلفة قائمة، ومستلقية يتصل بعضها البعض، أو ينفصل، وهذا من أجل تشكيل صورة زخرفية، أو أشكال فنية متنوعة، في هيئتها إبعاد لروح الملل، وهذا ما جعل الفنان يعالج موضوعه بحرية كاملة ، هروبا من الأسلوب النمطي[1].

لقد نفذت هذه الزخارف على الزليج في أرضية بنية فاتحة –مائلة للبرتقالي-، وهي باللون الأسود، وهذه المراوح تتشابه فيما بينها على حد كبير، حيث نظمت فيها تنظيما متباينا، وأعطيت صور عديدة لأشكال ، إذ تحول بعضها من هيئتها النباتية إلى هيآت هندسية كأشرطة، ودوائر وهذا ما أكسبها رشاقة وذلك بفضل خطوطها الانسيابية، و المنحنية، و المائلة ، فيرتاح لها البصر.

يمكن القول بأن الفن المريني يعتبر فن متميز أعطى للخطوط الزخرفية حياة مسترسلة متصلة، ومنح العناصر، والوحدات جمالا منسجما مع الألوان على جانب نعومة الحس، و رقة الذوق التي لا ترتقي إليها فنون القرن السادس ، حيث أصبحت الخطوط الزخرفية المرينيية دقيقة رقيقة ، متداخلة منتشرة على جميع أرضية المساحة الزخرفية، بحيث لا يمكن تمييزها، و فرزها إلا عن قرب، وقد اكتسبت تنوّع في الألوان يصنع انسجاما عاما لجميع العناصر، والوحدات الزخرفية، بحيث نرى الألوان الأخضر، والأسود، والأبيض، و البني، وكأنها تعزف سيمفونية ناعمة، كما أن طريقة توزيعها في الواجـهة، و انتشار الزخرفة انتشارا يغطي جميع السطوح في جوانب العقود وبهذا تحققت نظرية الفن الإسلامي في الهروب من الفراغ. ويتم تقسيم المسطحات كليا إلى

[1] - عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 868.

حشوات، ومناطق زخرفية متقابلة متناسبة، ومتناظرة تحدث توازن دقيق في التوزيع العام لعناصر الزخرفة المعمارية على واجهة الأبواب[1]. *(صورة رقم:19-34-35)*

2 - الـــزخارف الهـــندســـية:

أ – شبـــــــــكة المعيـــــــــنات: *(شكل رقم:16/صورة رقم:19-25-26)*

تمثلت هذه الزخارف في شبكة المعينات حيث تتشابه المعينات الزخرفية في واجهات الأبواب، وتختلف في طريقة توزيعها، فتتشابه في باب السمارين، والسبع، وتنفرد في واجهة باب الأمر، حيث تتوزع في الأولى على جانبي العقد، وفوقه، أما في الثانية فكانت فوقه. هذا الاختلاف ربما يعود إلى أهمية الباب و موقعها، أو أنها لم تبن في وقت واحد.

حيث تشكلت من خطوط منحنية، ومنكسرة على هيئة قطع عضوية، أو قضبان حيث ينتهي كل معين في أعلاه بورقة ثلاثية مخرمة على هيئة وردة نباتية ذات ساق نازلة، ورُصِّعت خروم الوردة بصفوف من الزليج ذي اللون الأخضر، والأبيض، والأزرق القاتم على الترتيب، على غرار المعينات الموجودة في باب السمارين التي لم ترصَّع بالزليج، كما عمَّ استخدام شبكة المعينات في جميع المباني المرينية خاصة منها واجهات المآذن، والمساجد، والمدارس و غيرها، ومن أهمها مئذنة جامع فاس الجديد، و جامع الحمراء بغرناطة، وآثار سلا بالرباط، ومئذنة جامع أبي يوسف، و مآذن مدينة تلمسان، ومئذنة المنصورة، وتتنوع بين العناصر الهندسية والنباتية كما عرفت استخدام العناصر الكتابية[2].

تبقى شبكة المعينات ما هي إلا استمرار، وتطوُّر لنفس العنصر الزخرفي الذي كان منتشرا في العهد الموحدي، حيث استوحت منها الخطوط العامة لتركيباتها الزخرفية، وعلى الـرغم من اخـــتلاف مـؤرخي الفـنون، جورج مـــارسي، وبـروسـبير، وركار،

---

(1) - إسماعيل عثمان عثمان، العمارة الإسلامية... ، ص 298.
(2) - صالح بن قربة ، المئذنة ... ، ص 124، 125. لمزيد من الإطلاع أنظر كذلك:
- عبد العزيز لعرج ، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 845، 849.
- جورج مارسي، تلمسان ... ، ص 67.

وهنريتيراس في الأصل الزخرفي لهذه الظاهرة غير أنهم اتفقوا على أن موطنها الأول كان الأندلس، والرأي الأرجح هو ما ذهب إليه الدكتور عثمان عثمان إسماعيل الذي استنبط من دراسته أنها مغربية الأصل[1]، حيث يرى أن سكان المغرب " البربر" من طبيعة بيئتهم، ونوع ثقافتهم، وأصول معتقداتهم، فعمت جميع مبانيهم، ومنتجاتهم في النسيجية، والخشبية، وكان لها معنًا خاصًا في المعتقدات الشعبية، إذ كانت تلك المعينات ترمز إلى عدد العيون اليقظة، والحذر، التي يسمونها عيون الحجل "yeux de pordix" ، لقد كان المغرب الموطن الأصلي لتلك الزخرفة، ومنه انتشرت على يد البربر أنفسهم، فذلك العنصر لم ينتشر بالأندلس قبل العصر المغربي الأندلسي، واتصال حضارة الأندلس بالمغرب بعد موقعة زلاقة[2].

ب – العـــــقود المفصــــــصة التــــــطويـــقية أو التـــغليـــفية

لقد فصل الفنان المريني من تطويق، أو تغليف العقود الحاملة ذات وظيفة معمارية بعقد آخر مفصص بشكله البسيط، أو المركب، حيث كانت الفصوص نصف دائرية، أو أقل منها في باب السمارين، وباب الأمر، و باب السبع، وأحيانا تتقاطع هذه الفصوص فيما بينها، وتتراكب مشكلة فصوصًا أخرى مدببة، و أحادية تتناوب فيما بينها فمثلا يتضح ذلك في باب السبع، وهذه الظاهرة الزخرفية للعقود التطويقية كانت مظهرا زخرفيا عاما في المباني المرينية، وفي مدنهم بالمغرب الأقصى، وفي منصورة تلمسان، وفي المدخل الرئيسي للمئذنة. *(شكل رقم:13-أ/صورة رقم:19-20-26-34:)*

[1] - إسماعيل عثمان عثمان ، العمارة الإسلامية ... ، ص 303.

[2] - نفسه، ص 304.

خلاصة الفصل:

من خلال دراستنا للعمارة العسكرية بفاس الجديد، والمنصورة بتلمسان في العصر المريني، نتأكد من أن المدينتين عكست من خلال معمارها العسكري إشكالات ومعطيات عصرهما المتميزة، حيث كشفت عن طبيعة مواد وطرق البناء، والأشكال الهندسية المتبعة، وعليه إن عملية بناء الأسوار والأبواب والأبراج أدت إلى الوقوف عند طبيعة المادة البنائية المستخدمة، وكشفت المصادر التاريخية المعاصرة لها والدراسة الميدانية استعمال مادة الطابية والتراب المدكوك، نظرا إلى سرعة انجازها و قلة تكاليفها، ونجد استعمال مادة الآجر في بناء العقود والعمدة والدعامات وفي بعض الأجزاء من الأبواب، والأقبية الأسطوانية، أما مادة الحجر فقد كان استعمالها قليل جدا بالمقارنة مع المواد الأخرى، إضافة إلى بعض المواد المحلية، إلى جانب ذلك نستنتج وجود تقنية عالية في عملية البناء، وهذا ما يؤكد صمود العديد من المواقع في وجه العوامل الخارجية.

إن العمائر العسكرية المرينية رغم امتيازها بالعظمة والضخامة إلا أن طابعها الزخرفي الفني أكسبها منظرا جماليا مميزا يستلهم الناظر إليها، والتي تعكس زبدة التفكير المعماري في العهد المريني.

حيث نجد الزخارف الهندسية والفنية منفذة على الحجارة منحوتة بطريقة تدعو إلى الإعجاب تغطي جميع المساحة، وضئيلة الحجم نسبيا، وتحقق بذلك نظرية الفن الإسلامي - الهروب من الفراغ- ويتم تقسيم المسطحات الكلية إلى حشوات و مناطق زخرفية، وأشرطة متقابلة ومتناظرة تحدث التوازن الدقيق في توزيع العناصر الزخرفية المعمارية، وزخارف أبواب فاس الجديد دليل على ذلك، حيث نلاحظ الخطوط الزخرفية المرينية

الدقيقة والمتميزة المتداخلة منتشرة على جميع أرضية المساحة الزخرفية، وقد اكتسبت تنوع في الألوان، حيث تضع انسجاما عاما للعناصر والوحدات الزخرفية على خلاف خطوط العناصر الزخرفية الموحدية المتميزة بالبساطة والوضاحة لمن يراها من بعيد، ولقد انتشرت على الأرضيات الزخرفية تظفيرات هندسية ونباتية، خاصة المراوح النخلية البسيطة والمركبة.

وبالتالي نقول أن المرينيين قد أنشئوا طرازا فنيا متميزا خاص بهم، اعتمدوا فيه على التقاليد المحلية و المغربية الأندلسية، متأثرة بالفنون السابقة، ومتجسدة في جميع عمائرها حتى العسكرية منها.

الخاتمة

الخاتمة

تعتبر تحتصينات المدن المغربية من الأسوار، و الأبواب، و الأبراج، و الخنادق من الخصائص العسكرية البارزة في مدينة العصر الوسيط عموما، إن طغيان هذه الجوانب الدفاعية في المدينة دفع البعض إلى نعتها كأنها في حالة دائمة من المواجهة، و هي مستعدة على الدوام للدفاع، فالمدينة المغربية خضعت لتطورات منذ نشأتها يصعب معه تتبع مراحل التأسيس، و بناء الأسوار لان هذه الأخيرة كثيرا ما أصابها التلف، و الهدم لأسباب طبيعية، أو بشرية فهي تتعرض للهدم، والتخريب المقصودين إبان الحملات، و الحصار.

تتضح الأهمية القصوى للأسوار في الحياة العسكرية للمدينة المغربية في وقت الحروب، و الهجمات الخارجية إبان الصراعات المحلية على السلطة، و لذلك تعتمد السلطة السياسية القائمة إلى بنائها، أو ترميمها قبل الانصراف إلى الاهتمام بالمؤسسات الدينية نفسها، و هذا ما حدث عند بناء مدينة المنصورة، و فاس الجديدة.

عليه قمنا بالقيام بجرد واسع لمادة مصدرية غنية، و متنوعة، و المتناثرة في متون المضان المختلفة، أسعفتنا في التدقيق في الكثير من القضايا، و طرح بعض التساؤلات التي تدخل في فهم الاستحكامات العسكرية المرينية.

اعتمادا على المادة المتوفرة حاولنا دراسة استحكامات المدينتين السالفين الذكر كمثالين نموذجيين لأسلوب المرينيين في العمارة العسكرية باعتبارهما عاصمتين للدولة، الأولى بالمغرب الأقصى، والثانية بالمغرب الأوسط، بالإضافة إلى هذه الظاهرة المعمارية المتميزة في تاريخ بني مرين، تصدى البحث لجملة من المواضيع الجزئية التي لا تقل أهمية في فهم جوانب الاستحكامات العسكرية وعمارتها.

كما أن الجمع ما بين المادة المصدرية التوثيقية ، ونتائج البحث الأثري أفاد في إعادة قراءة وظائف العمارة العسكرية، كما أفاد في الكشف عن طبيعة مواد البناء، وطرق البناء، والأشكال الهندسية المتبعة في العمارة.

مما لاشك فيه أن الفائدة الأولى لهذه الدراسة تكمن في فتح آفاق جديدة للبحث، وإتاحة إمكانية قراءات جديدة في وضع خصائص العمارة العسكرية بالمغرب الإسلامي عامة، وخصائص السكن المحصن بالدرجة الأولى، وذلك في فترات تاريخية مختلفة.

هذا وبعد انهيار الدولة الموحدية ، فُسح المجال لمرحلة أخرى حدثت فيها تحولات عميقة في العمارة العسكرية، وذلك بشكل يوازي ظاهرة التجزؤ السياسي والإقليمي، الذي حدث ببلاد المغرب، والأندلس وصار تأطير المجال اقتصاديا، و بشريا، وسياسيا يمر عبر عملية الصراع على اكتساب المواقع الإستراتيجية، والمواقع المحصنة ، وبناء الحصون، والقصبات، والمدن المحصنة، وبذلك أصبحت العمارة الحربية إطارا ضروريا لمختلف الأنشطة العمرانية، والبشرية، والاقتصادية، وهذا ما لحظناه في عملية أسباب تأسيس المدينتين، وقد قدمنا نماذج، و حججا لذلك من خلال معلومات المصادر المعاصرة لتلك الأحداث. وذلك من أجل الاستقرار، والاستكمال، وإخضاع المجال.

لقد لعبت العمارة الحربية في المرحلة الأولى للدولة، وكانت عنصرا فعّالا في حياتها، وبالتالي لم تكتف في إخضاع المجال الداخلي، بل تطلعت إلى مراقبة المجال الخارجي، وتمثلت فيما أسسه أبو الحسن المريني من أبراج على طول سواحل افريقية مركزا على مضيق جبل طارق، والتي سميناها بأبراج المراقبة، إنها حصون المراقبة العسكرية التي كانت شاهدة على قوة، ونفوذ السلطة السياسية المركزية، وإرادة تجسيد فكرة توحيد المغرب.

من خلال هذه الدراسة الميدانية أمكن التوصل إلى خلاصة أساسية، واستنتاج بعض الخصائص للعمارة العسكرية الدفاعية المرينية، بفضل ما استطعنا الاطلاع عليه من معلومات مصدرية متنوعة أولاً والاستفادة من نتائج الأبحاث والدراسات الأثرية المعاصرة ثانيا، و من ثم تحليل العمارة الحربية المتمثلة في الأبراج، والأسوار، والأبواب، وغيرها، بقراءة متأنية فيما تم جمعه من المادة العلمية بهذا الصدد، حيث تجاوزنا التصورات التقليدية، التي سادت أغلب الأبحاث المنجزة، والتي يمكن حصرها في النقاط التالية:

* أهمية الموقع الإستراتيجي كما تبين من خلال النموذجين السابقين أن سياسة التحصينات الدفاعية المرينية بالمغرب تختار المواقع الإستراتيجية على طول السواحل المغربية، مركزة على جبل طارق، و على الطرق التجارية، لكسر شوكة اقتصاد الدولة الزيانية، ولقد تم اختيار الموقع وفق شروط طبيعية مثل توفر الأمن، والمياه.

* الأسوار الضخمة التي أقامتها حول المدينة، قوية ضمنت لها الحماية الكاملة من مطامع الأعداء الموجهة لفاس الجديد، متبعة بذلك التعرج، و الانكسار، والانحدار، والإكثار من الزوايا الداخلية، والخارجية في السور، وهذه التقنية موروثة عن الموحدين، الذين هم بدورهم ورثوها عن المرابطين. كما يتصل بالسور أبراج مختلفة التخطيط، تقوي الأسوار، وتزيد من المناعة، و هذا السور يتوَّج بممشى لتحرك الجند عليه، ويحيط بالممشى وشرفات هرمية الشكل تحمي الجند من سهام العدو، ومن خلالها تُقذف السهام.

* المداخل المرفقية أو المنثنية التي يكتنفها برجين لحمايتها أحيانا، و تكون هذه الأبراج مصمتة أي لا تشغلها غرف للدفاع، وأحيانا تكون مفرغة خاصة في الطابق العلوي، وتضم الأبراج مزاغل تكون متسعة من الداخل، وضيقة من الخارج ، وكل مرافق المدخل تكون من درج ممراتها منحنية على شكل مرفق مجزأ، إن سقف هذه الغرف مغطاة بأقبية، أو قباب ذات حنايا ركنية في أغلبها. وتترك الغرفتين الموجودتين في زاوية الانحناء بدون سقف، حتى تتاح الفرصة للجند الموجودين على سطح المدخل لقذف السهام على العدو، إذا ما حاولوا اقتحام المدخل.

* زخرفة واجهة المدخل: رغم ضخامة التحصينات الدفاعية المرينية، إلا أنها لا تخلو من الرشاقة، والرِّقة الظاهرة على زخارف المداخل، وأهم الزخرفة المجسدة، هي زخارف نباتية متمثلة في مراوح نخلية بسيطة، ومزدوجة، أما الزخرفة الهندسية، فقد تضمنت المعينات المتشابكة.

* إن طبيعة البناء، والمواد المستخدمة فيه، قد كشفت عن استخدام الطابية بشكل واسع، نظرا لسرعة انجازها، ولقلة تكاليفها من خلال إشارات متعددة في المصادر الدالة على انتشار البناء بالطابية على غرار البناء بالآجر، والحجر التي كانت قليلة جدا بالمقارنة مع التقنية الأولى، لكونها مادة دفاعية استعملت في بناء الأسوار، و استعمال الطابية والآجر والحجر غير المنحوت خاصة في أواخر العصر المريني الذي عرف نشاطا معماريا استثنائيا.

وبالرغم من هذا فإننا نبادر إلى القول بأن الدراسة التاريخية-الأثرية للعمارة العسكرية في المغرب الإسلامي تعكس أحد مظاهر الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، رغم ما شاع حولها من آراء، وتصورات ما تزال في اعتقادنا في حاجة إلى بحث دقيق، إن من شأن البحث الجزئي العميق في ميدان العمران أن يفيد في خلق تراكم معرفي هام، وضروري يوفر شرطا أفضل لعقد مقارنات واسعة، وبناء أدوات المنهجية، والمصطلحات التي تساهم في انجاز أبحاث أكثر دقة ، وإفادة علمية في مجال العمارة العسكرية.

. والله ولي التوفيق.

ثبت المصادر ومراجع البحث

المصـــــــادر والمراجـــــــع العربـــــية:

- أولا : المصـــــادر.

- القرآن الكريم.

1 - ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله ت (726هـ/1324م).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب منصور، الطبعة الأولى، المطبعة الملكية، الرباط، 1999.

2 - ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل (ت 807هـ/1404م) .

- روضة النسرين في ملوك بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م.

- نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1976.

3- ابن الأزرق محمد بن علي الغرناطي (ت 896هـ/1491م).

- بدائع السلك في طبائع الملك، وزارة الثقافة ، بغداد، 1977.

4 - ابن الحاج النميري.

- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1990،

5 - ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت 776هـ/1374م).

- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشره و تعليق أحمد مختار العبادي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1985م.

- معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، ترجمة محمد كمال شبان، الطبعة الأولى، مطبعة أقدال، المغرب، 1977.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، الجزء الثاني، 1973.

6- ابن القاضي أحمد بن العباس المكناسي (ت 910هـ/1504م).

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور ، الرباط، الجزء الأول، 1973.

7– ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 779هـ / 1377م).

- رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، الجزء الرابع، 1997.

8-ا بن بكار بلهاشمي.

- مجموع النسب والحسب والفضائل و التاريخ والأدب في أربعة كتب، الطبعة الأولى، مطبعة بن خلدون، تلمسان، .1961

9-ابن حماد محمد بن عبد الله.

- أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، تحقيق الناقورة تهامي و عويسي عبد الحليم ، دار العلوم للنشر، الرياض .1984

10-ابن خلدون عبد الرحمن، (ت 808هـ/ 1406م).

- العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء السابع، 1992.

- مقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبر، الطبعة الأولى، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس، 1984.

11-ابن خلدون يحي أبو زكريا، (ت 780هـ/1378م).

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات، نشر وتوزيع المكتبة الوطنية،الجزائر، الجزء الأول، 1980م.

12- ابن رامي .

- الإعلان بأحكام البنيان، دراسة أثرية معمارية ، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002م .

13 – ابن رضوان المالقي عبيد الله بن يوسف، (ت 784هـ/1382م).

- الشهب اللامعة في السياسة النافعة. تح سليمان معتوق الرفاعي، راجعه الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي ، بيروت، لبنان، 2002م.

14 – ابن سعيد المغربي أبي حسن علي، (ت 673هـ/1274م).

- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982م.

15- ابن محمد الزمزومي أبو الفضل محمد المستنصر بالله، (ت 1419هـ/ 1998).

- فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى، تحقيق حمزة بن علي الكتاني، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002.

16 – ابن مرزوق التلمساني محمد بن أحمد، (ت 781هـ/1379م).

- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق د. مريا خيسوس بيغيراء ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م.

17 – الإدريسي الشريف، (ت 560هـ/1067م).

- وصف إفريقيا الشمالية و الصحراوية من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشره هنري بيريس، الجزائر، 1957م.

18- البادسي عبد الحق ،(كان حيا سنة 766هـ).

- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، .1983

19– البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت 487هـ/ 1094م) .

- المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب مسالك وممالك، نشره دوسلان، مطبعة الدار الجديدة ، باريس، 1956م.

20 – الجزنائي أبو الحسن علي، (عاش في القرن 8 هـ) .

- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر2001.

21 – التنسي محمد بن عبد الله، (ت 899هـ/1494م) .

- تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الذر و العقيان في بيان نشر في بني زيان، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائرية، الجزائر 1985.

22 – الزرهوني يحيى بن عبد الله (الكفيف)، (ت 773هـ/1371م) .

- ملعبة الكفيف الزرهوني ، تقديم وتعليق د محمد بن شريفة، المطبعة الملكية ، الرباط 1987م.

23 – السلاوي أبو العباس أحمد الناصري، (ت 1315هـ/1897م).

- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذان جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ، المغرب، الجزء الثاني والثالث،1954م/ 1955م .

24- العبدري الحيحي محمد أبو عبد الله، (ت بعد 688هـ/1298م).

- الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، وزارة الثقافة، الرباط، .1968

25- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي)، (ت 710هـ/1310م).

-الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1975.

26 – العمري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن يحي بن فضل الله ، (ت 742هـ/1341م)

- مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر، تحقيق مصطفى أبو ضياف أحمد ، الطبعة الأولى، 1988م.

27- القزويني زكريا بن محمد (، ت 682هـ/1126م).

- آثار البلاد و أخبار العباد، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1980.

28- القلصادي علي أبي الحسن، (ت 891هـ/1486م).

- رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع والنشر، تونس، 1985.

29- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821هـ/1418م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الخامس..1995

30- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت 1041هـ/1631م).

- روضة الآس فمن لقيته من أعلام بمراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1964.

31 – مؤلف مجهول.

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، نشره الشيخ محمد بن أبي شنب ، مطبعة جون كربونل، الجزائر، 1920م.

32 – مؤلف مجهول.

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل بكار، عبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، .1979

33 - النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ/1332) .

- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، كتاب نهاية الأرب في الفنون والأدب، تح مصطفى أبو ضياف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

34 – الوزان حسن بن محمد (المعروف بالأسد الإفريقي)، ت(944هـ/1537م).

- وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، الجزء الأول، 1983م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر، تحقيق مصطفى أبو ضياف أحمد ، الطبعة الأولى، 1988م.

35- الونشريسي أحمد بن يحيى، ت(914هـ/1508م).

- المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حاجي، الطبعة الخامسة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الجزء الثامن، .2000

ثانيا - المراجــــــع:

1- أبو ضياف أحمد مظفي.

- أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين والمرينيين، الطبعة الأولى، دار الرشاد المغربية، الدار البيضاء، 1982.

2- الألفي أبو صالح.

- الفن الإسلامي ، أصوله، فلسفته و مدارسه، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1974.

3- الأنصاري رؤوف.

عمارة المساجد، دار النبوغ والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

4- باشا حسن .

مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية، القاهرة، .1979

5- بن عبد الله عبد العزيز.

- مظاهر الحضارة المغربية، نشرته دار السلمي، دار البيضاء، القسم الأول، .1958

- الجيش المغربي عبر العصور، سلسلة قسم الدراسات الدبلوماسية والقنصلية، وزارة العدل، الرباط، 1986.

- فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، الطبعة الأولى، المطبعة الملكية، الرباط، الجزء الأول، .2001

6-البهنيسي عفيف.

- الفن الإسلامي، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1986.

7- جودة محمد حسين.

- العمارة العربية الإسلامية خصوصياتها وابتكاراتها و جمالياتها، دار المسيرة، عمان، 1998.

8- الجيلالي عبد الرحمن محمد.

- تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزء الثاني، 1980.

9 - حاجي علي حامد.

- المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1986.

- المجتمع الإسلامي والسلطة،مطبعة إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1998.

10- حركات ابراهيم.

- المغرب عبر التاريخ، الطبعة الثانية، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، الجزء الثاني، 1984م .

- المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط، افريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1988.

11- حلمي عبد القادر.

- جغرافيا الجزائر، دمشق، 1986.

12- الخرخوري حسن أحمد .

- الأبراج تراث و تاريخ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة، 1998.

13- خنفر يونس.

- الأسس التكنولوجية في استخدام مواد الديكور، سلسلة الفنون التطبيقية والهندسية، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان. د.ت.

14- زغلول سعد عبد الحميد.

- العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1986.

15- زكي حسن.

- فنون الإسلام، دار الرائد العربي ، بيروت، لبنان، 1981.

16 - زهران محمد.

- فنون أشغال المعادن والتحف، مكتبة الأنجلو مصرية، 1965.

17- سامح كمال الدين.

- العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

18- السبتي عبد الأحد و فرحات حليمة.

- المدينة في العصر الوسيط- قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الإسلامي-، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994.

19- شافعي فريد.

- العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر، المجلد الأول، 1970.

20- شاوش الحاج محمد بن رمضان .

باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995.

21 -العبادي احمد مختار.

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشهاب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1979م.

22 – عبد العزيز السيد سالم

- المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الجزء الثاني،1981م.

- بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، القسم الثاني، 1992.

23- عبد العزيز السيد سالم والعبادي أحمد مختار.

- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، .بيروت، 1969.

24 –عبد الله محفوظ ولد بيه.

- خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، الطبعة الأولى ، الرياض، 1999م.

25 –عثمان إسماعيل عثمان.

- تاريخ شالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1975م.

- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الجزء الرابع، 1993.

26 – عثمان محمد عبد الستار.

- المدينة الإسلامية، سلسلة كتاب الثقافة، مطابع الرسالة، الكويت، 1988م.

27- عطاء الله دهينة و حاجيات عبد الحميد.

- الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،الجزء الثالث، 1984.

28 – عنان محمد عبد الله.

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة التأليف والنشر، القاهرة، القسم الثاني، 1964م.

29- مؤنس حسين.

- تاريخ المغرب وحضارته، الطبعة الأولى، مطبعة العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، المجلد الثاني، القسم الثالث، 1992.

30 - مرزوق محمد عبد العزيز.

- الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974.

31- مزيان محمد.

- فاس وباديتها مساهما في تاريخ المغرب السعدي، الطبعة الأولى، سلسلة رسائل الأطروحات، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية رقم 12، جامعة محمد الخامس، الرباط، الجزء الأول،1986م.

32- المنوني محمد.

ورقات عن حضارة المرينيين، الطبعة الثالثة، منشورات كلية الأدب، جامعة محمد الخامس، الرباط ، 2000م.

33- نشاط مصطفى.

- إطلالات على التاريخ المغرب خلال العصر المريني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 73، سلسلة البحوث والدراسات، جامعة محمد الأول، وجدة، 2003.

ثالثا - المراجع المترجمة إلى العربية:

1 – بريتون بيج .

- البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة إبراهيم خو رشيد و عبد الحميد يونس و حسن عثمان ، دار الكتاب، بيروت، 1981م.

2- بكار آري.

- المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة العربية، ترجمة سامي جرجس، دار التوالي للنشر والتوزيع، إيطاليا، 1981.

3 - جغلول عبد القادر.

- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، بيروت، 1982.

4- حمادة برادة.

- فاس من باب إلى باب جولات في المدينة القديمة .ترجمة موليم العروسي ،بوجمعة أشفري ، الطبعة الأولى،الدار البيضاء ، 2003.

5- حيدر كمال.

العمارة العربية الإسلامية خصائص التخطيط للمقرنصات، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.

6- روجيه لوتورن.

فاس في عصر بني مرين، ترجمة د . نقولا زيادة، سلسلة مراكز الحضارة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، مكتبة لبنان، بيروت، 1967.

7- لوطورنو روجي .

- فاس في عصر بني مرين، ترجمة د. نقولا زيادة ، نشر مع اشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة، بيروت، 1967.

- فاس قبل الحماية، ترجمة حجي محمد و الأخضر محمد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الجزء الأول، 1996.

8- مارسي جورج.

- تلمسان، ترجمة سعيد دحماني، دار النشر التل، البليدة، الجزائر، 2004.

9- مانويل جوميث مورينو.

- الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع ود. سالم السيد عبد العزيز، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1968.

رابعا - المـــــــــقالات:

1. **بن عبد الله عبد العزيز** . معطيات الفن الإسلامي في المغرب، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الدول المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط ، المغرب، العدد 3، السنة الثانية، يوليو 1975، ص 51-71.

- القوام العسكري في الحضارة المغربية، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، العدد 12، السنة 5 ، يوليو، 1978.

2. **بن قربة صالح**. الرايات والأعلام في التاريخ العسكري الإسلامي، مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، الرباط، المغرب، العدد 270، السنة 43، أكتوبر، نوفمبر، دجنبير، 2002، ص 113 -128.

3. **حركات إبراهيم** . العمران وفن البناء في عهد المرينيين، مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الأوقاف، الرباط، المغرب، العدد 6، السنة 4، مارس، 1960، ص 41-46.

4. **دبيش عبد الوهاب**. علاقة السلطنة المرينية بالمجتمع الفاسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن سيكا، الدار البيضاء، أشغال الندوة المنظمة حول المدينة في تاريخ المغرب العربي، من 24 إلى 26 نوفمبر، 1988، ص 259-277.

5. **دكار علي نصير**. المعاني اللغوية لبدة حصن و أحواضها، مجلة الأنباء، معهد آثار الأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، العدد 11، 1991.

6. **السوداني عبد الله عبد الرحيم**. أسوار بغداد، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد 4، 1979، ص 39-55.

7. **عبد الله العمراني**. فاس وجامعاتها، مجلة البحث العلمي، تصدر عن جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد 8، 1966، ص 167، 202.

8. **فنان عبد القادر**. أسوار فاس حاجز أم أصالة، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، العدد 1 ، 1985، ص 84، 104 .

9. **المنوني محمد**. فاس الجديد مقر الحكم المريني، مجلة البحث العلمي، الرباط،العدد 11 و 12، السنة 4 ، 1967 ، ص 179-205

10. **المنوني محمد**. وصف المغرب أيام أبي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، المغرب، العدد الأول، ص 131-155.

11. **وزيري يحي حسين**. العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصر، مجلة عالم البناء، تصدر عن جمعية إحياء التراث التخطيطي والمعماري، العدد 62، أكتوبر 1985. ص 17-21.

خامسا – المــعاجم والموســوعات و دوائر المــعارف :

1 - إبراهيم أنيس وآخرون.

- المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، الإسطنبول، تركيا، 1985.

2- الأيوبي مقدم هيثم والآخرون.

- مقال البرج الموسوعة العسكرية ، الطبعة الأولى، مطبعة المتوسط ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، الجزء الأول، 1977م.

- مقال السور، الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، فارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، الجزء الرابع، 1990 م.

- مقال التحصينات، الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، مطبعة المتوسط، المؤسسة العسكرية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الجزء الأول، .1990

3- البستاني بطرس.

- دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، المجلد السابع، .1986

4- البهنيسي عفيف.

- معجم مصطلحات الفنون ثلاثي اللغات، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، .1981

5- الجوهري إسماعيل بن حماد(ت 386 هـ).

- الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الجزء الأول، 1399هـ.

6- الشيوخات أحمد مهدي محمد.

- الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الأولى، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999.

7- رزق محمد عاصم.

- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الاولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.

8- غالب عبد الرحيم.

- موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، مطبعة جروس بريس، بيروت، لبنان، 1988.

9- مارسي جورج.

- البناء، ترجمة عبد القادر كك، دائرة المعارف الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء السابع، 1986.

10- ياقوت الحموي بن شهاب الدين بن عبد الله، (626هـ/1228).

- معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، د ت.

11 -وزيري يحيى.

- مقال الباب، موسوعة عناصر العمارة الإسلامي،الطبعة الأولى، مكتبة المد بولي، القاهرة، المجلد الأول، 1999.

سادسا – الرســـائل الجامــــعية:

1 – **لعرج عبد العزيز**. المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتورا دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1999.

سابعا – المراجـــع بالأجــــنبية:

1- *BARGES (J.),* 1887 ,**Complément à l'Histoire des Béni-Zeiyen**, rois de Tlemcen, Laroux, Paris.

2- *BEL(A.),* 1915, **Tlemcen et ses environs**, Toulouse.

3- *BOUROUIBA(R.),* 1973 **L'art religieux musulman en Algérie**, Alger.
1983, **L'architecture militaire de l'Algérie médiévale**, Alger.

4- *BRIGNON ET AUTRES,* 1967, **Histoire du Maroc**, Casa.

5- *DHINA (A.),* 1985, **Le royaume AbdElwalide è l'époque d'Abou-Hammou-Moussa 1er er d'Abou-Tachfine**, Alger.

6- *GAILLARD(H.),* 1905, **Fès une Ville d'islam**, Paris.

7- *GOLVIN(L.),* 1991, **Essai sur l'architecture Religieuse Musulmane**, Edition Klivchsieck, T1.

8- GOURDIN (PH.), 1996**, Les Fortifications du Maghreb d'après les Sources écrites, La vision d'Ibn khaldoune**, Sites et Monuments disparus d'après les Témoignages des voyageurs, Textes Disparus d'après les témoignages des Yvette, Edition Réunis, PAR RIKA GYSE Leu Bures, sur Civilisation du Moyen Orient.

9- *HERRO (J.),* 1990, **La ville au Moyen âge en occident paysage pouvoir et comflits**, pais.

10- *KABLY(M.),* 1989, **Société, pouvoir, Religion au Maroc à la fin du Moyen Age**, Maisonneuve ,La Rose, Paris.

11- *KOMARA (A.),* 1978, **Matériaux et Eléments de Construction**, Moscou.

12- *L DE PERMARE(A.),* 1981, **Magrebe et Andalousie au Xiv siècle**, Les notes de Voyage d'un Andalous au Maroc 1344-1345, Lyon..

13- *LAWLESSE(R.I) ET BLAKE(J.H),* 1976, **Tlemcen, Continuity and change Algerian Islamic Town**, Bowke, London.

14- *LETOURNEAU(R.),* 1949, **Fès avant le protectorat**, Casa,société marocaine de librairie et d'éditions.

15- *MARÇAIS (G ET W.),* 1905, **Les monuments Arabes de Tlemcen**, Fontemoing, paris.

16- *MARÇAIS(G.),* 1926, **Manuel D'art musulman, l'Architecture en Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile**, T1. Auguste. Picard, Paris.

17- *MARÇAIS(G.),* 1950, **Les villes d'art célèbres** : Tlemcen, Librairie, Renouard. H. Laurens, Paris.

18- *MARÇAIS(G.),* 1954, **L'Architecture musulman D'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile**, Arts et métiers graphiques, Paris.

19- *TERRASSE(H),* 1930, **Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protecorat français**, éd. Atlantides, 2T,Casablanca.

1942, **l'art hispano-Moresque**, des origines au XIII ème siècle, Vandest, Paris.

ثامنا: المقالات والمجلات بالأجنبية:

1- *BASSET(H.) ET PROVENÇAL(L.),* 1922, **Chella, une nécropole mérinide**, Hespéris, 1-2 série.

2- *BRESSOLETTE(H.) ET DELAROZIERE(J.),* 1982-1983, **Fes Jdid, de sa fondation en 1276 au milieu du XXème siècle**, Hespéries Tamauda, vol XX-XXI, P 245-285.

3- *BROSSELARD(CH.),* 1859- 1860, **Les inscriptions Arabes de Tlemcen**, Revue Africaine, n°17.

4- *CELLERIER(J.),* 1934, **Les conditions géographiques du développement de la ville de Fès**, Hesperis, T18.

5- *CRESSIE(P.),* 1995, **La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie**, Archéologie Islamique ,n°5.

6- *DEVERDUN(G.),* 1957 **Les portes anciennes de Marrakech**, Hesperis, p85,126.

7- *GAUDERFROQ DEMOMBYNE*1984*,* **Sur le Mellah**, Revue Journal Asiatique, Paris.

8- *LEZINE(A.),* 1962-1965, **Note d'archéologie Tlemcenienne**, bulletin d'archéologie Algérienne ,T1 ,e de boccard , paris.

9- *MAITROT (C.),* 1915 et 1916, **Les fortifications moral Africaine** , Les archives Berbers, publication Bibl du comité d'étude Berbers de Rabat, n° : 3.

10- *PAUTY (E.),* 1922, **Rapport sur la défense des villes et la restauration des monuments historique**, Actes du 3 ème congrès de l'Institut des Hautes – Etudes Marocaines, P 449,453.

11- *PIESSE(L.),* 1988, **Tlemcen**, Revue d'Afrique Française N°51 , Maison Quantin, Paris.

12- *SHATZ MILLER.(M.),* 1981, **Les premières mérinides et le milieu religieux de Fès**, Studia Islamica ,Tome 51.

13- *TERRASSE(H.),* 1947, **Une porte mérinide de Fès Jdid**, Annales de l'institut d'études orientales, T VI, P53- 65.

تاسعا: دوائر المعارف والموسوعات بالأجنبية.

BAUSANNI (A.), 1975, « **BAB** », **Encyclopédie de l'islam**, Nouvelle, Edition, T1, Edition G-P , Maisonneuve et La Rose , S.A. Paris, P 853-858.

COLIN(G.S.), 1975, « **BURDJ** », **Encyclopédie de l'islam,** Nouvelle Edition, T 1, Edition G,P Maisonneuve et La Rose, S.A. Paris, P, 1355.

MARÇAIS(G.), 1975, « **Bina** », **Encyclopédie de l'islam** , T 1, Edition G.P Maisonneuve et La Rose, , Paris, p. 1264-1266.

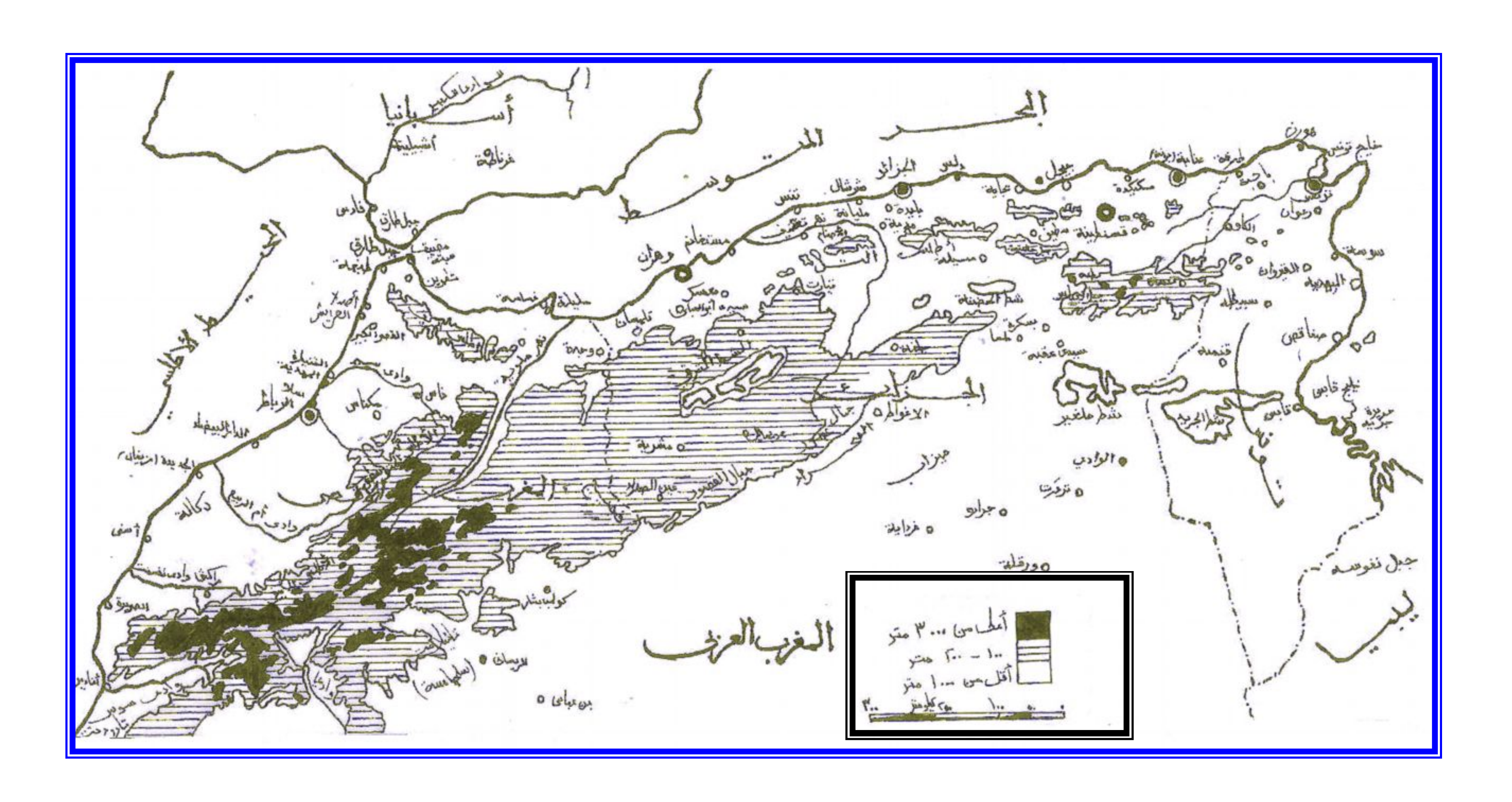
NORTHEDGE(A.), 1998, « **SUR** », **Encyclopédie de l'islam**, Nouvelle Edition, T9, Leiden, Brill, p 917- 919.

TERRASSE(H.), 1975 **,** « **HISN** », **Encyclopédie de l'islam** , Nouvelle Edition, T3, Leyde E.J. Brille, G-P, Maisonneuve et La Rose SA, Paris, p 515- 518.

الملاحق

- ✓ **أولا :** ملحق الخرائط.
- ✓ **ثانيا :** ملحق المخططات.
- ✓ **ثالثا :** ملحق الأشكال.
- ✓ **رابعا :** ملحق الصور.


-ملحق الخرائط



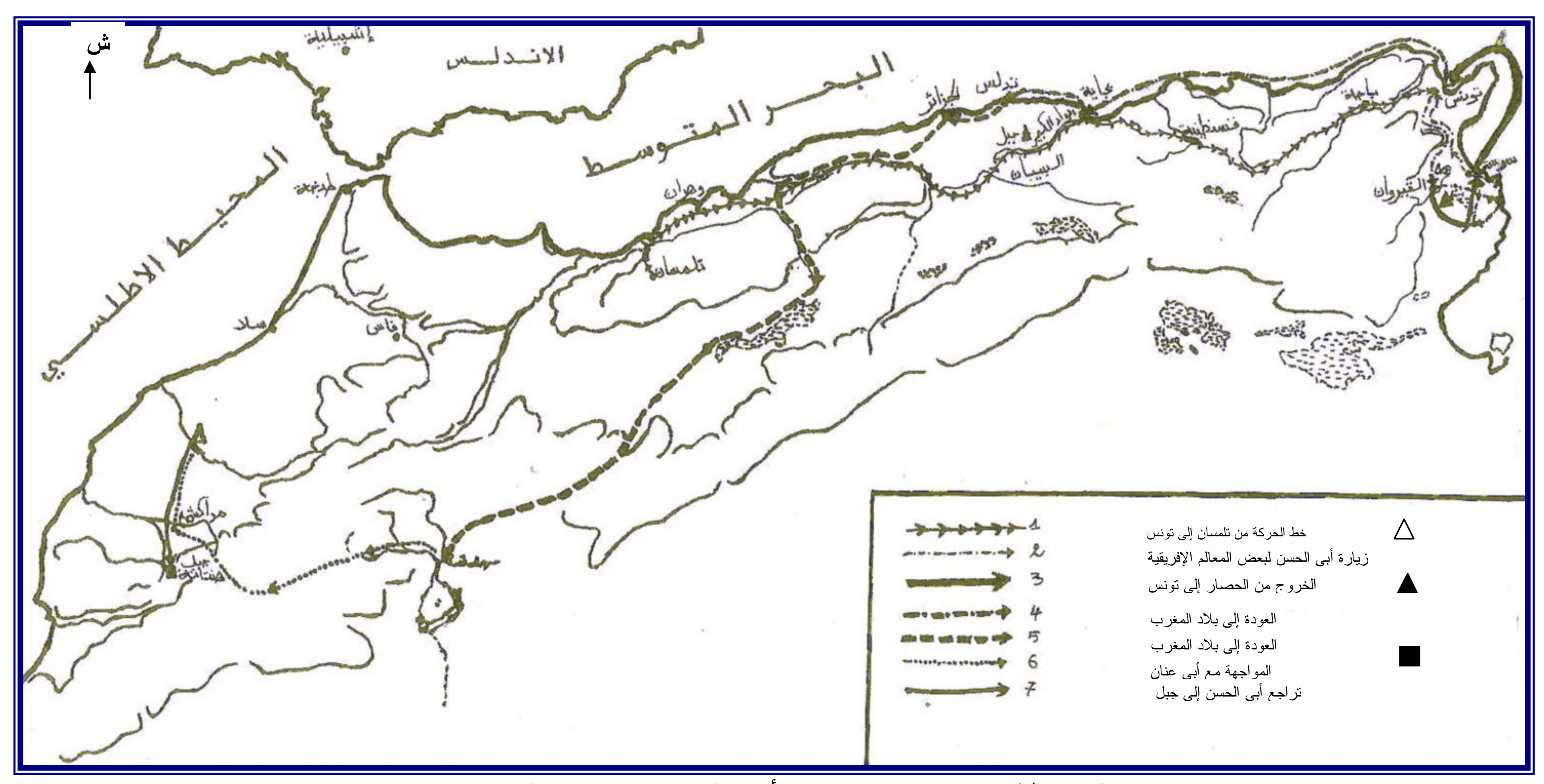
الخريطة رقم (1): تضاريس بلاد المغرب

(عن: أحمد بو ضياف)



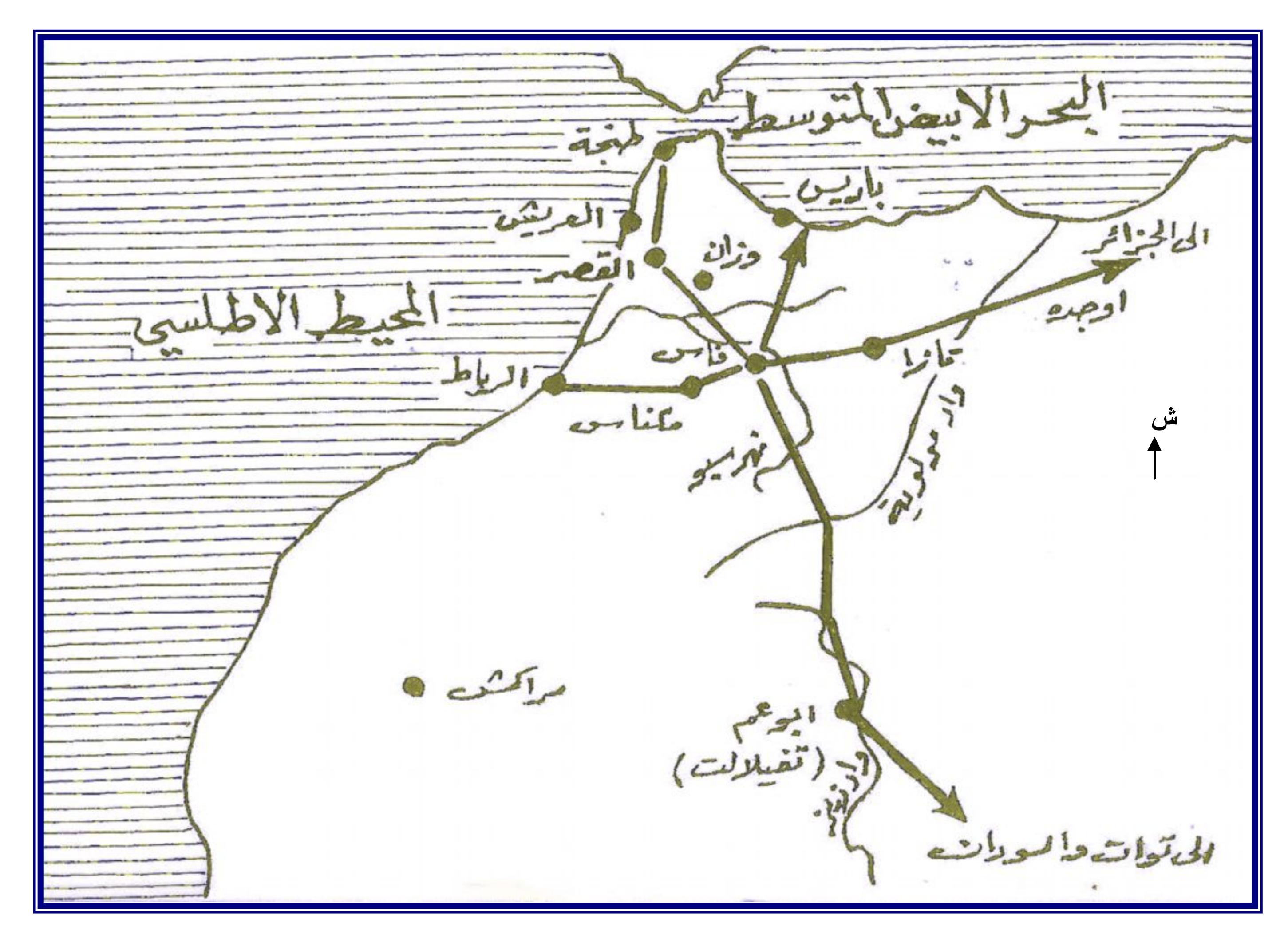
الخريطة رقم (2) : المواقع و المدن التاريخية خلال القرنين 7-8هـ/ 13-14م في بلاد المغرب .

(عن: عبد المنعم ماجد – علي البنا)



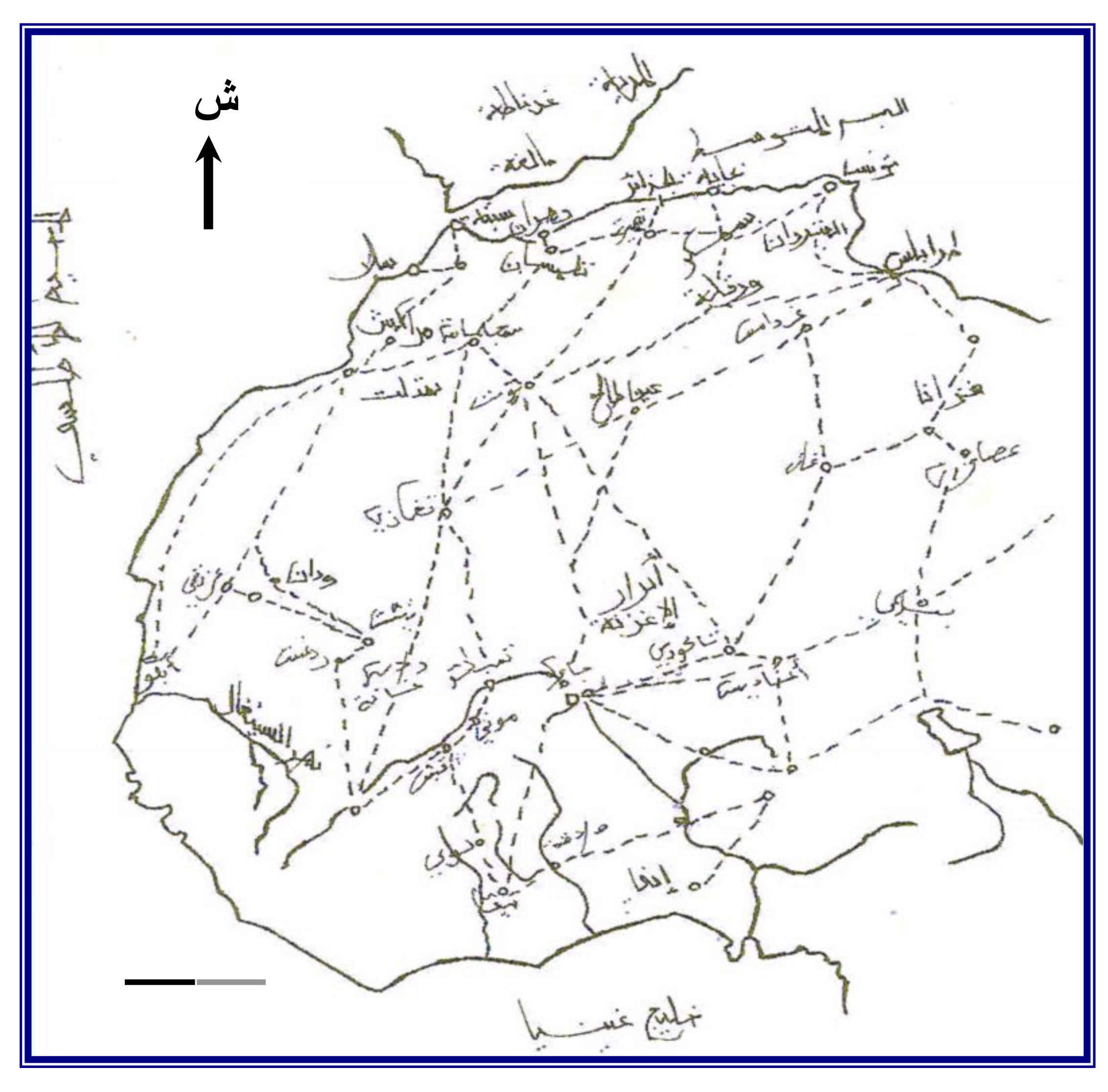
الخريطة رقم(3) : تحركات أبي الحسن في بلاد المغرب.

(عن: الزرهوني)



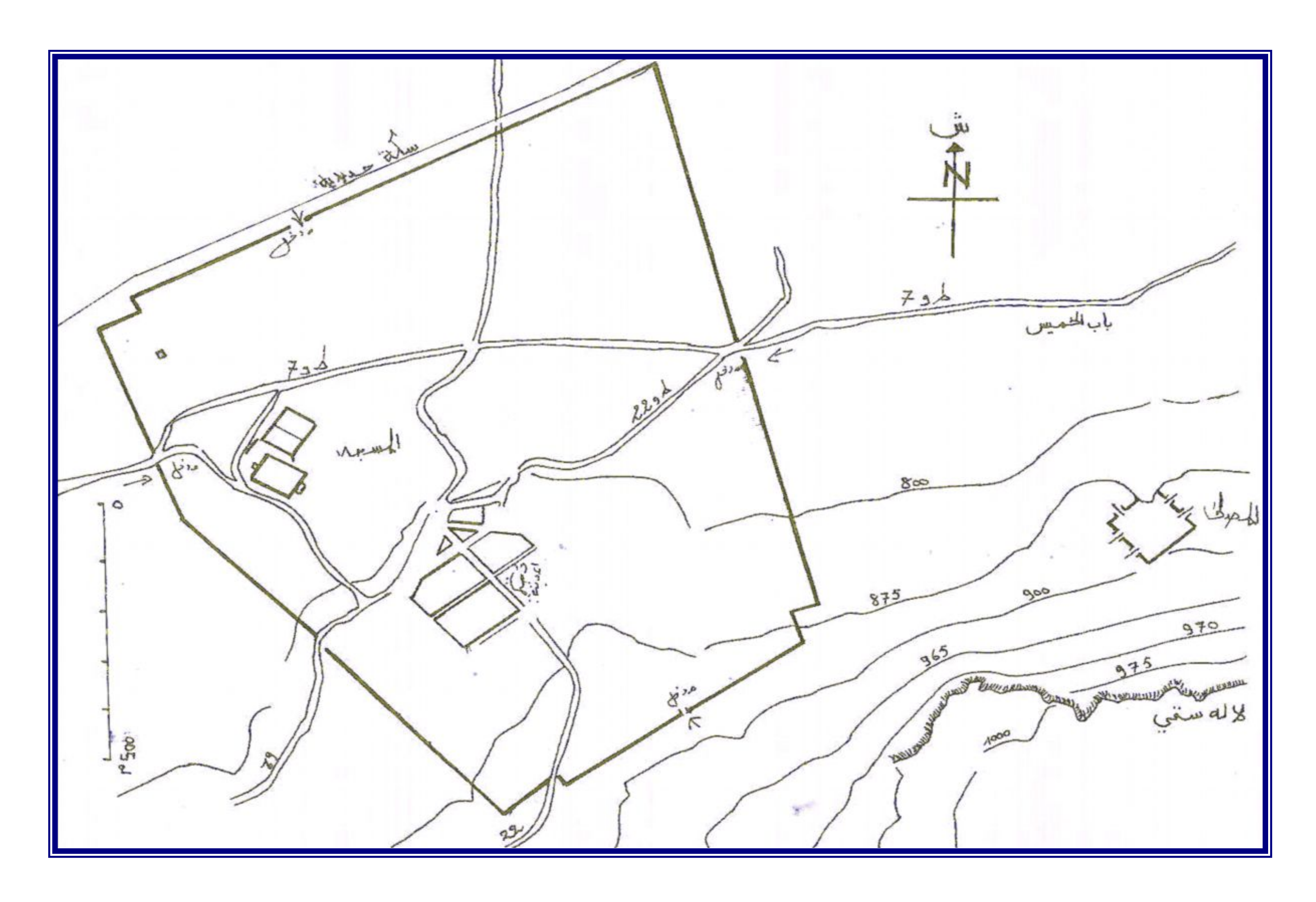
خريطة رقم (4) : فاس ملتقى الطرق في العصر المريني

(عن: روجي لوتورنو)



الخريطة رقم (5): المسالك و الطرق عبر الصحراء في العصور الوسطى

(عن: عبد الحميد حاجيات)

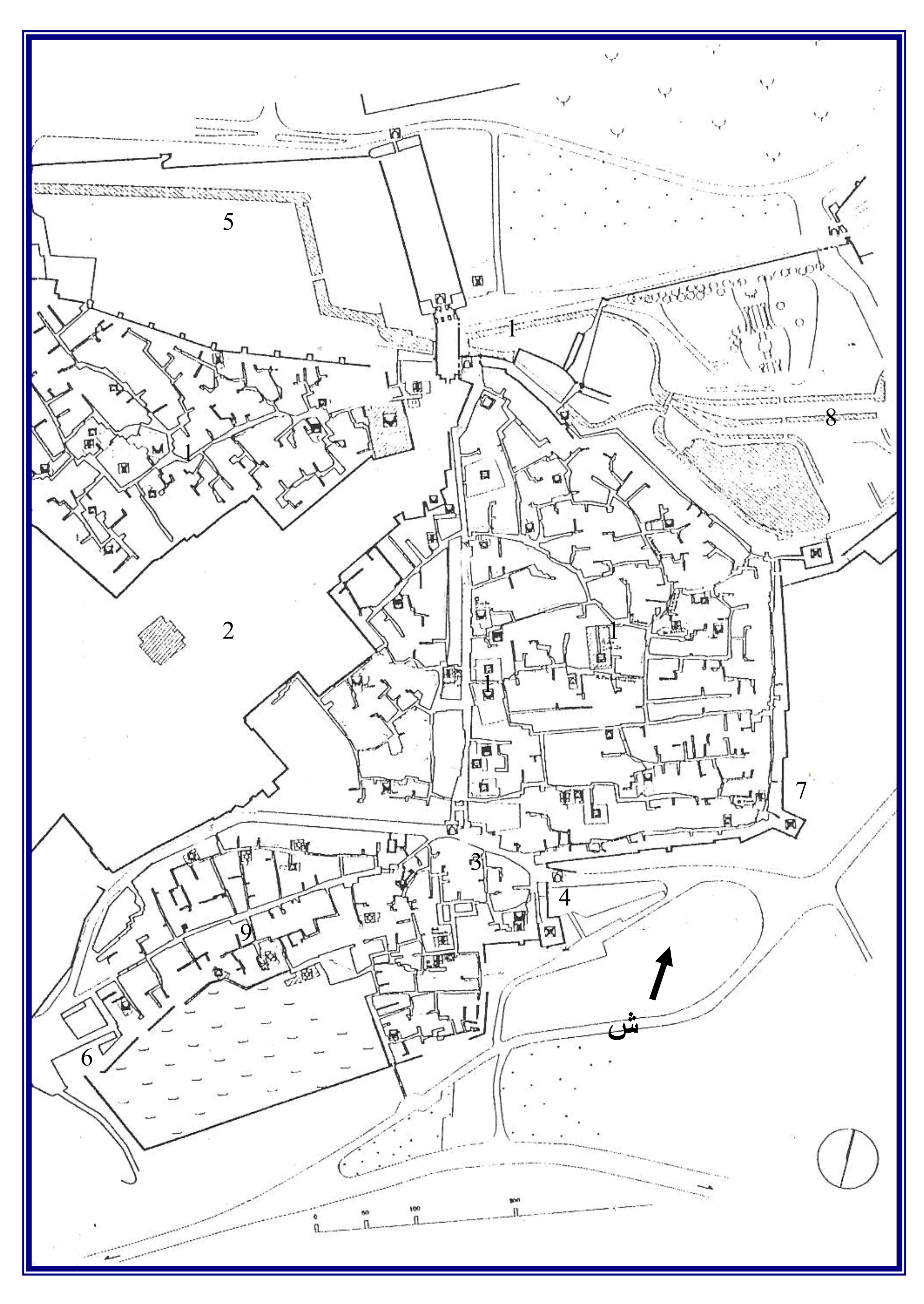


الخريطة رقم (6) : طوبوغرافية مدينة المنصورة

(عن : A.LEZINE)

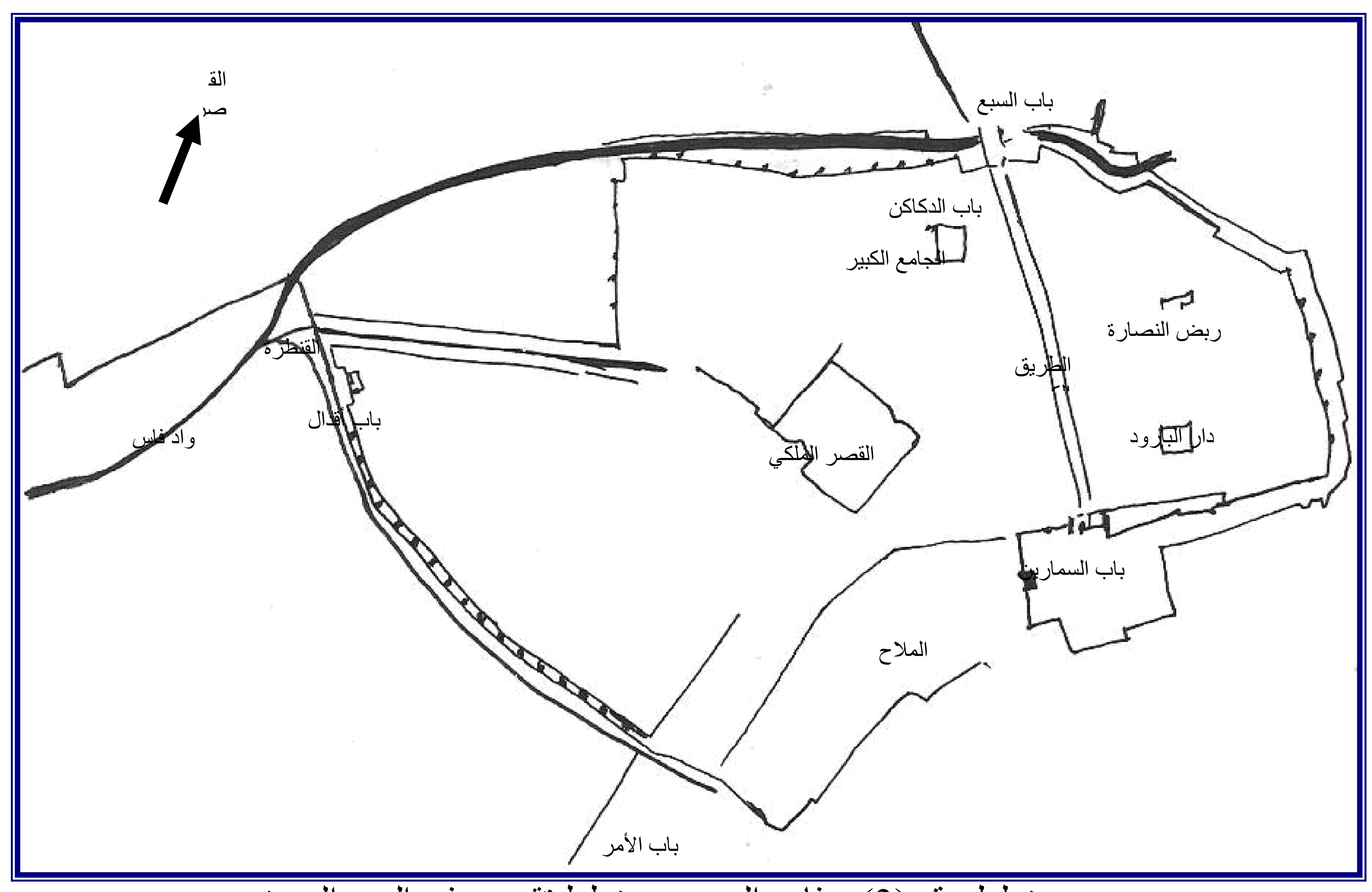

-ملحق المخططات

(



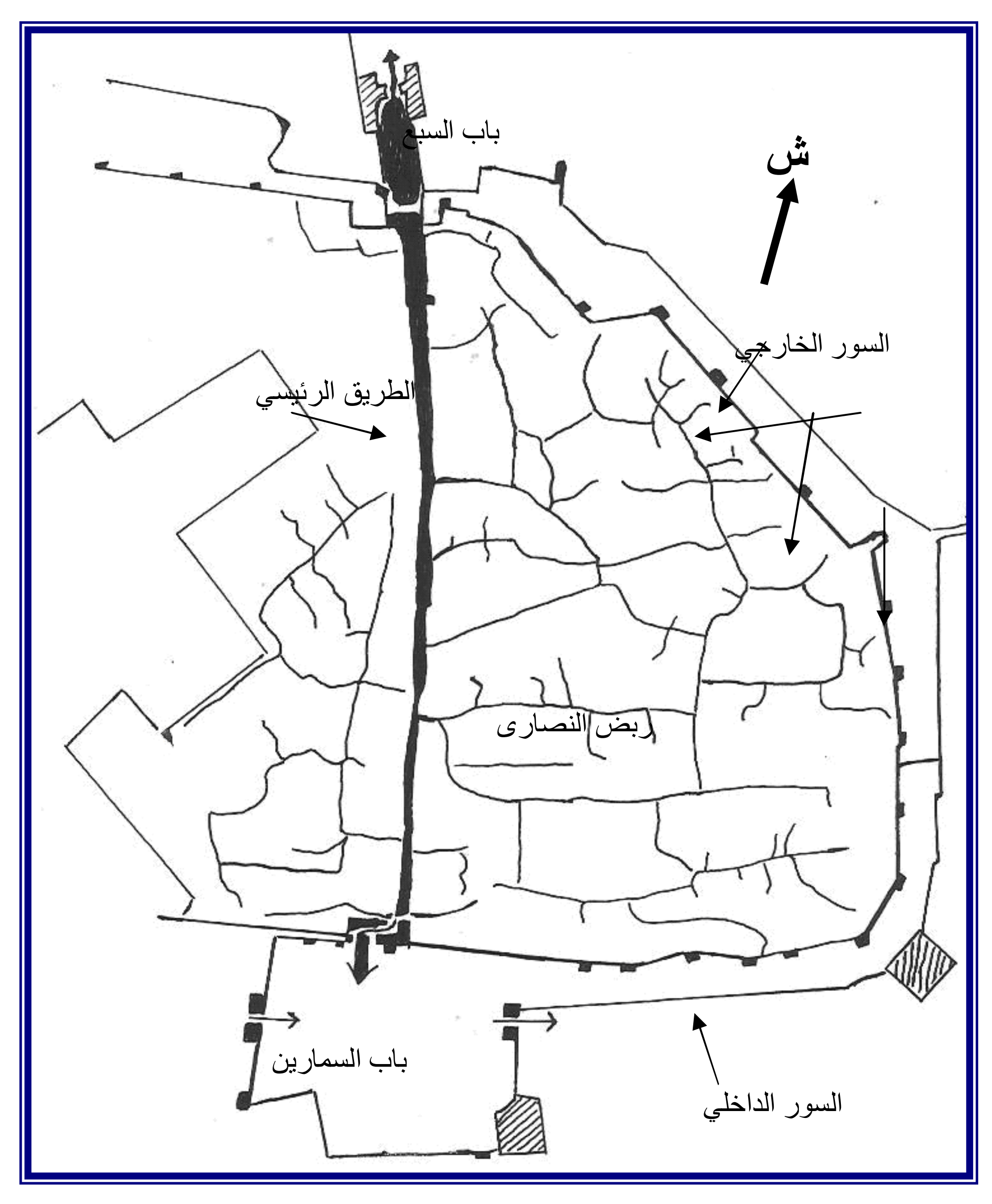
مخطط رقم (2) : مدينة فاس الجديد في العصر المريني

(عن: الدائرة الاثرية.بفاس



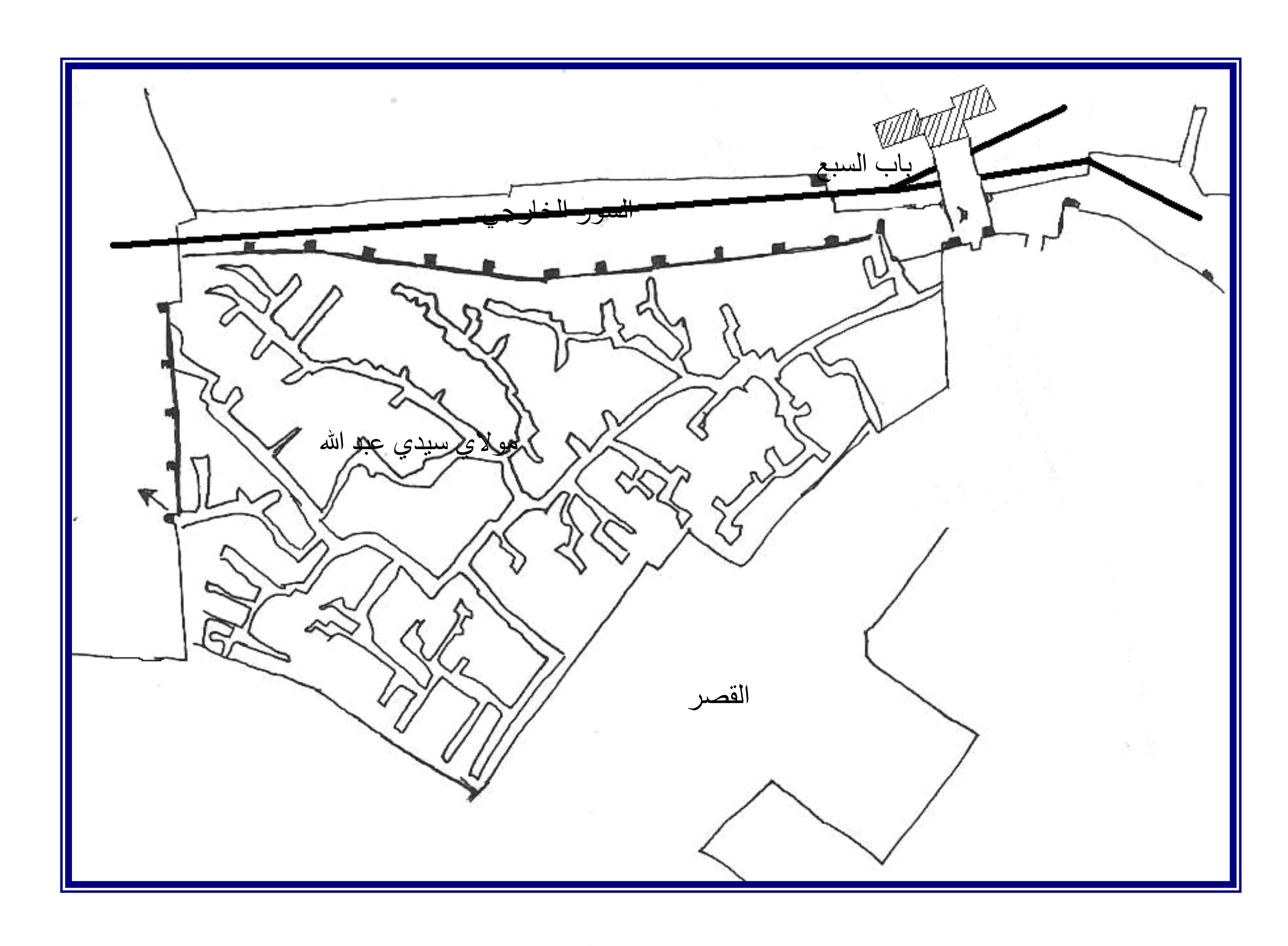
مخطط رقم (3): -فاس الجديد - مخطط تقريبي في العهد المريني

(عن: H. Bressolette et J. Delarozière بتصرف)



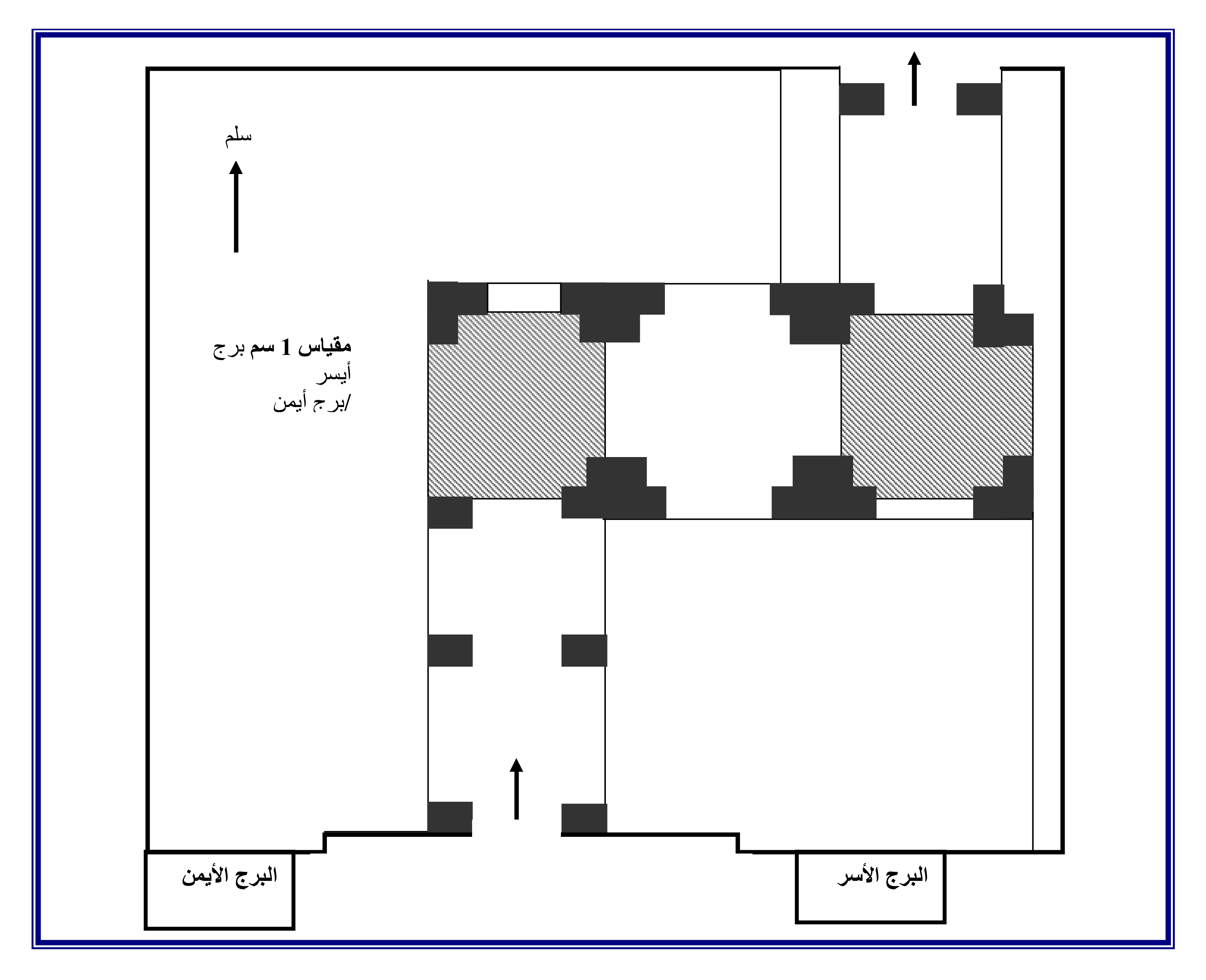
المخطط رقم(4) : -فاس الجديد - الجزء الشرقي و الشمالي للسور

(عن: H. Bressolette et J. Delarozière بتصرف)



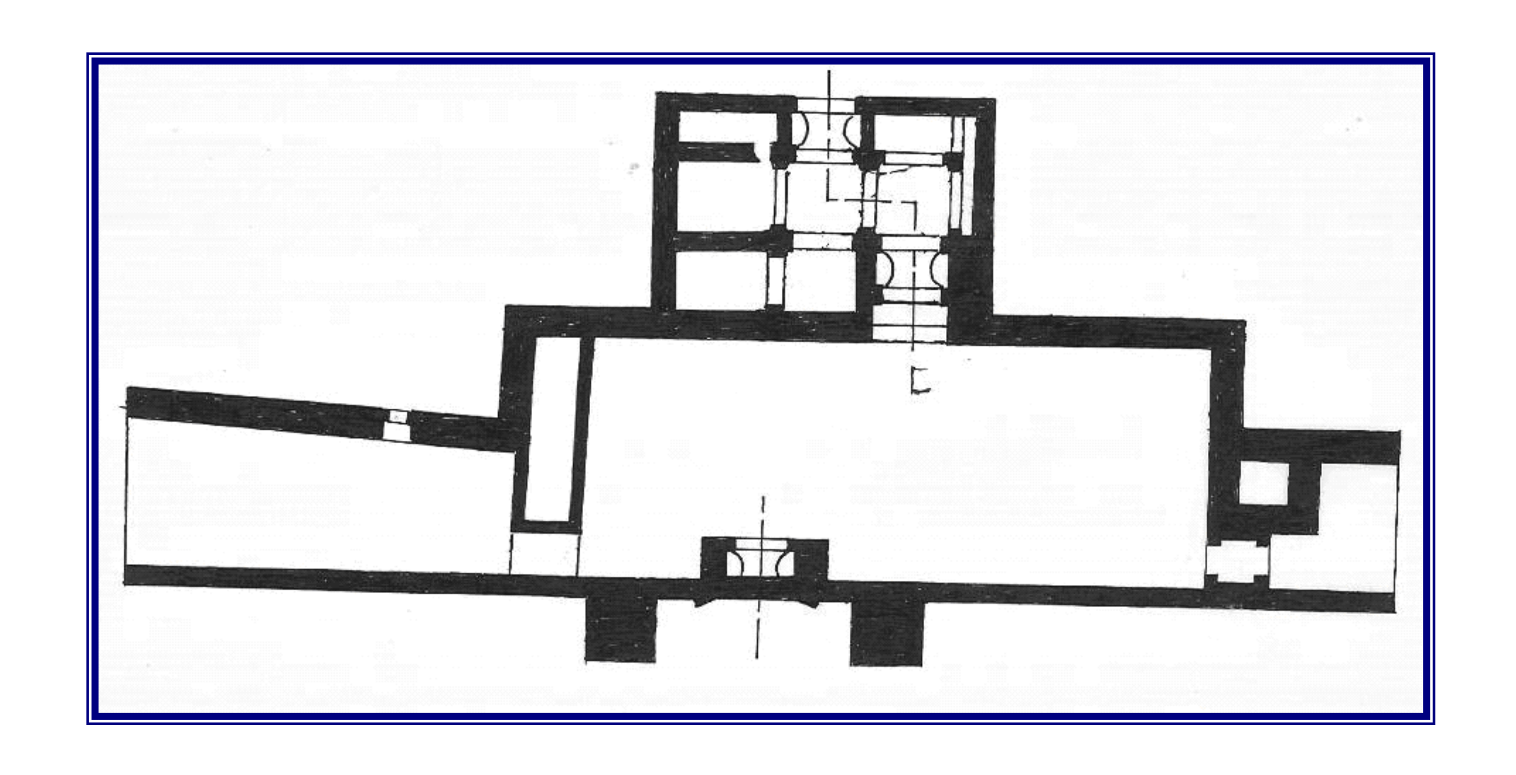
مخطط رقم (5): - فاس الجديد- الأسوار في الناحية الشمالية والغربية

(عن: Bressolette بتصرف)



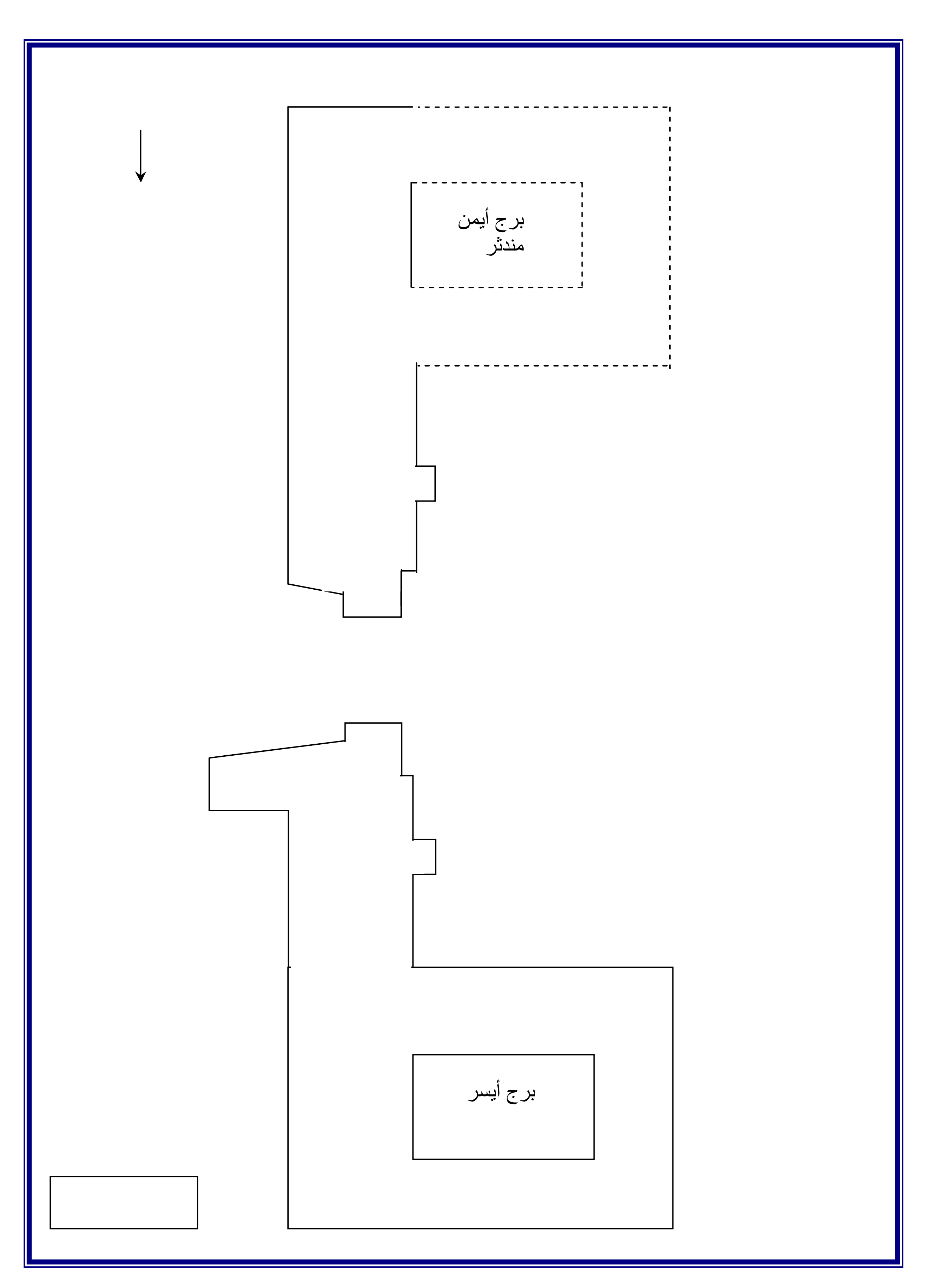
مخطط رقم(6) : فاس الجديد - المخطط الأفقي لباب السمارين

(عن: الباحث



مخطط رقم(7) : مدينة فاس الجديد - مخطط باب أقدال

(H. Terrasse : عن)



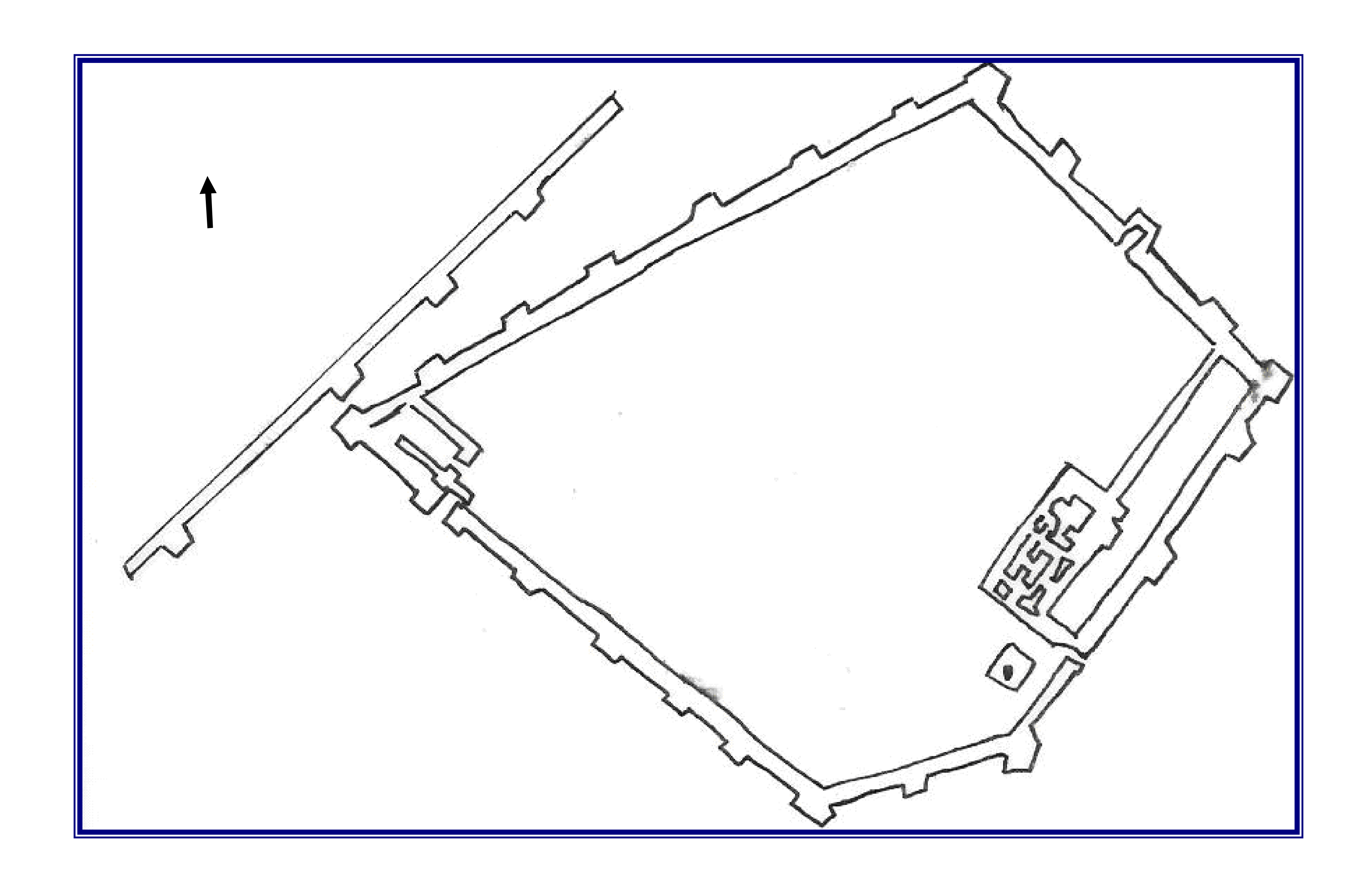
مخطط رقم (8): - فاس الجديد - مسقط أفقي لباب الأمر

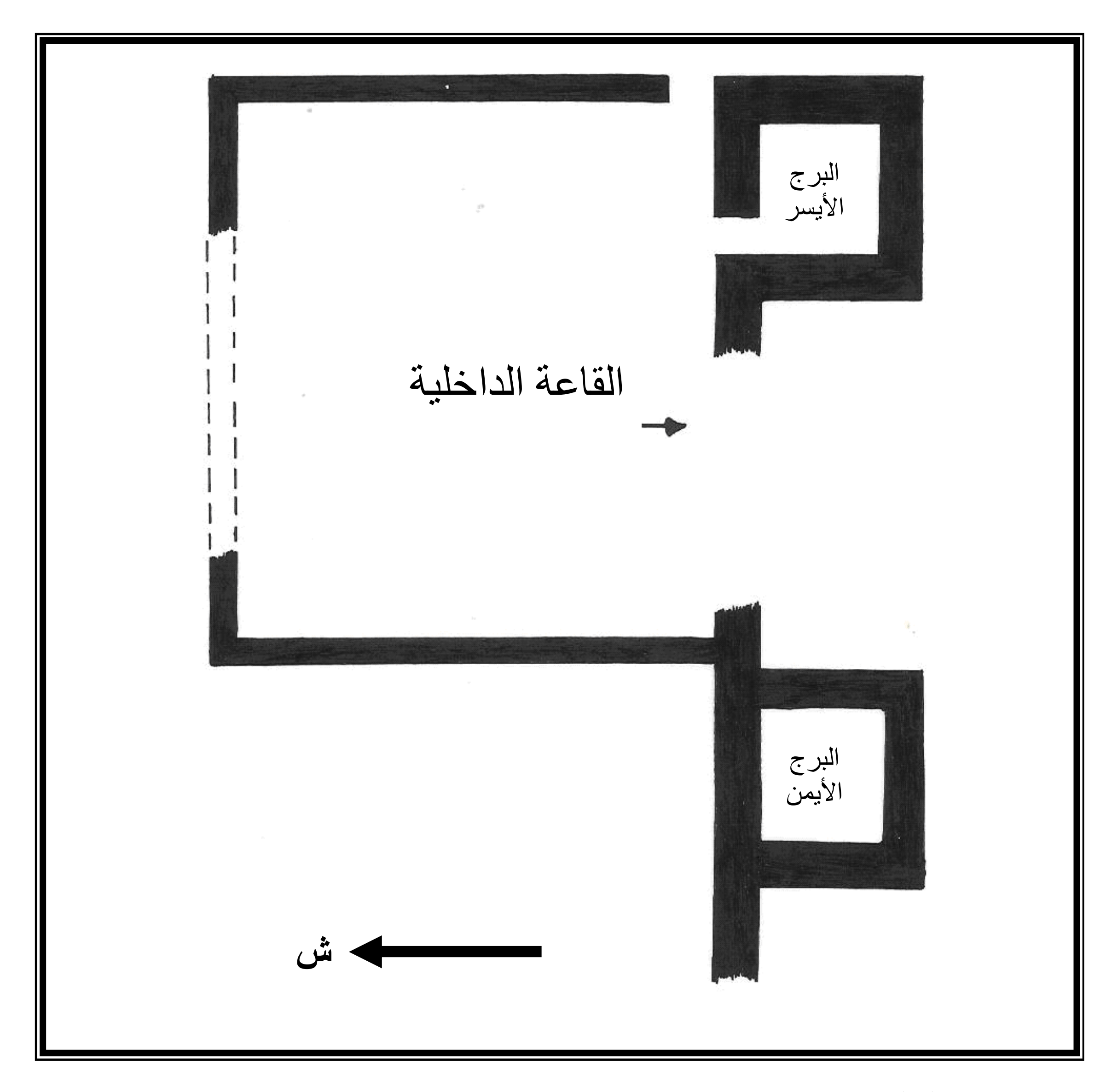
(عن:الباحث)



المخطط رقم (9) :تلمسان . المنصورة - مخطط تقريبي لأسوار و أبراج في العهد المريني.

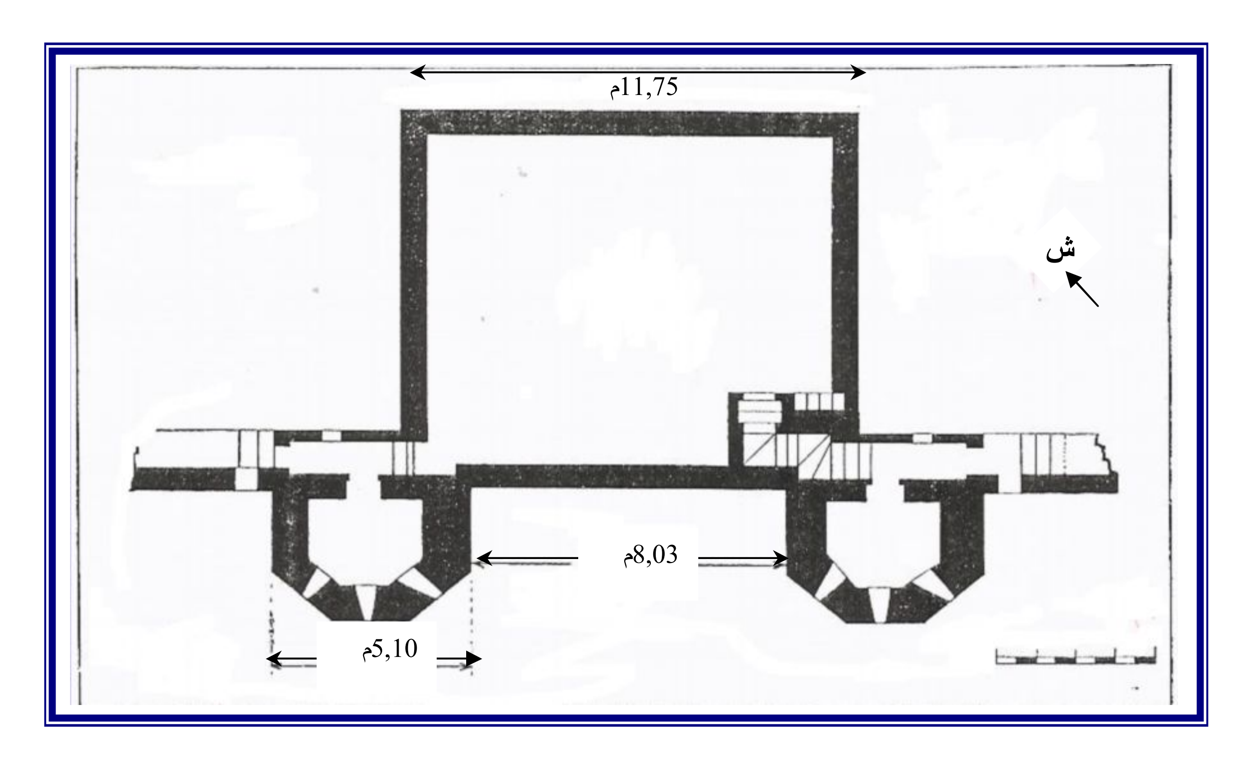
(عن: الباحث)





مخطط رقم(11) : تلمسان المنصورة - ا لمدخل الجنوبي

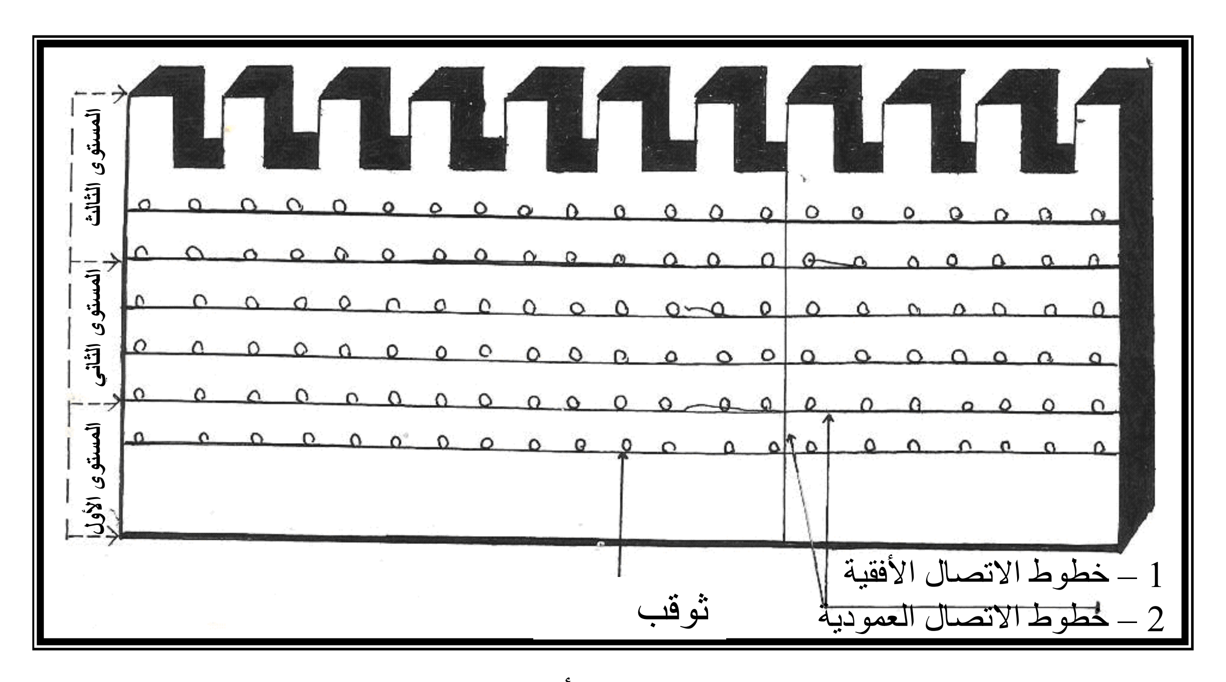
(عن: الباحث)



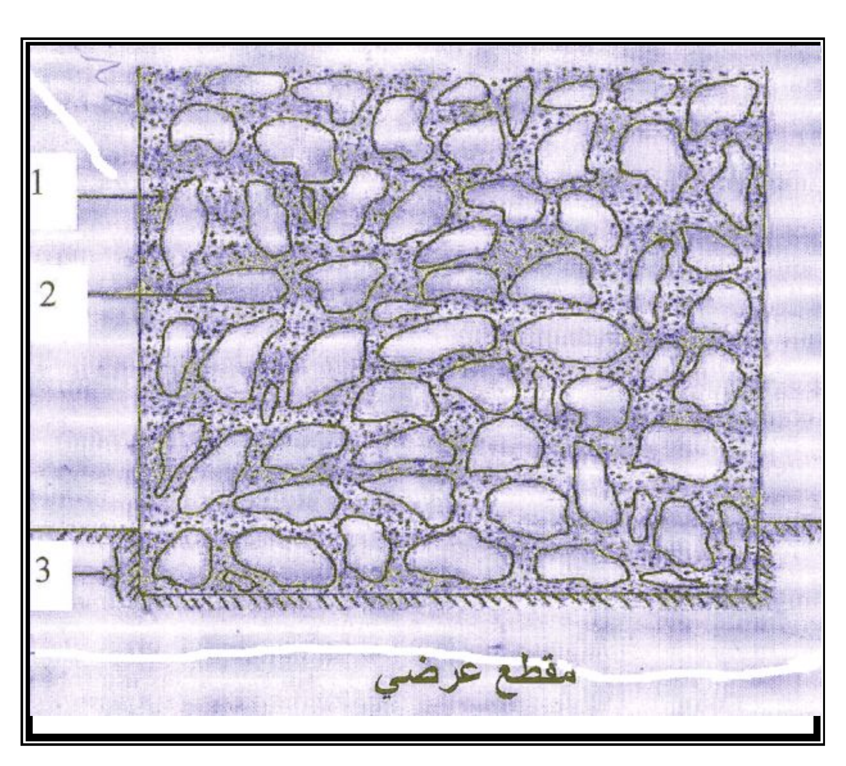
مخطط رقم(12) : مدينة سلا - مخطط الباب الرئيسي

(H. Basset et L. Provençal:عن)


ملحق الأشكال



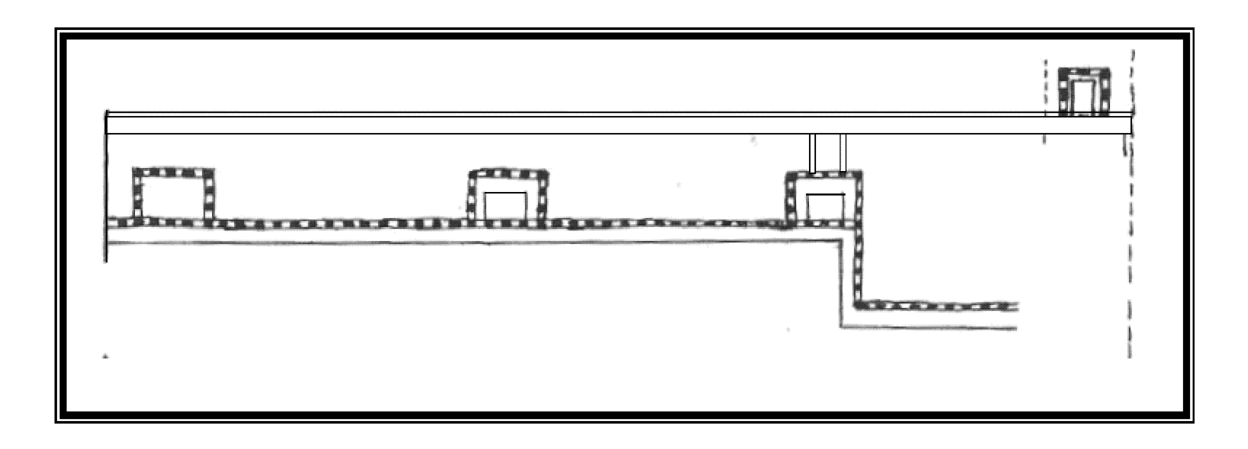
- أ-



- ب-

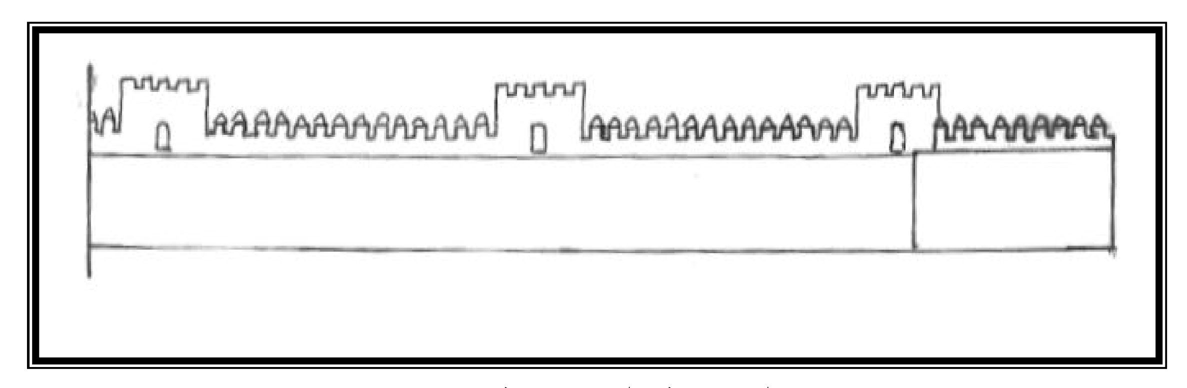
الشكل رقم(1) : تقنية بناء الأسوار

(عن: الباحث)



أ- مسقط أفقي للسور

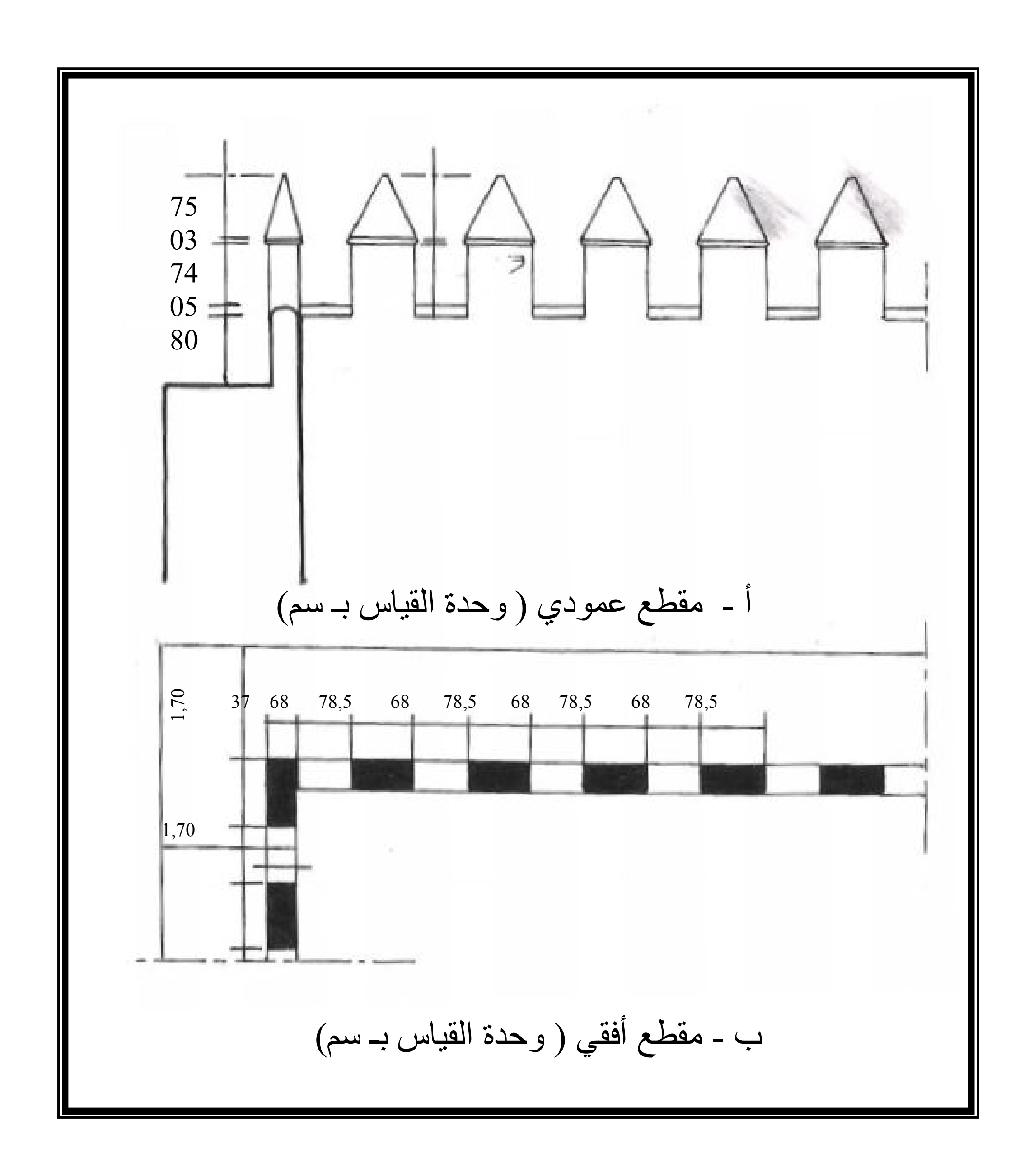
(عن: الباحث)



ب- الواجهة الخارجية

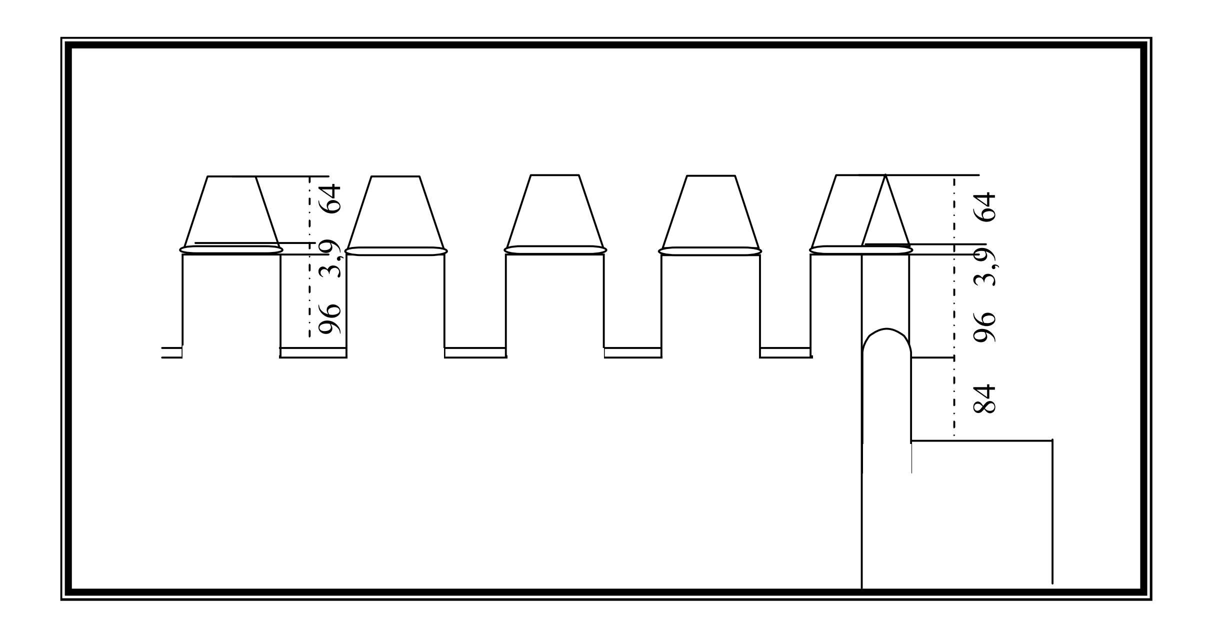
شكل رقم(2):فاس الجديد – مخطط تقريبي يبين أبراج والأسوار في الناحية الشمالية

(عن: الباحث)

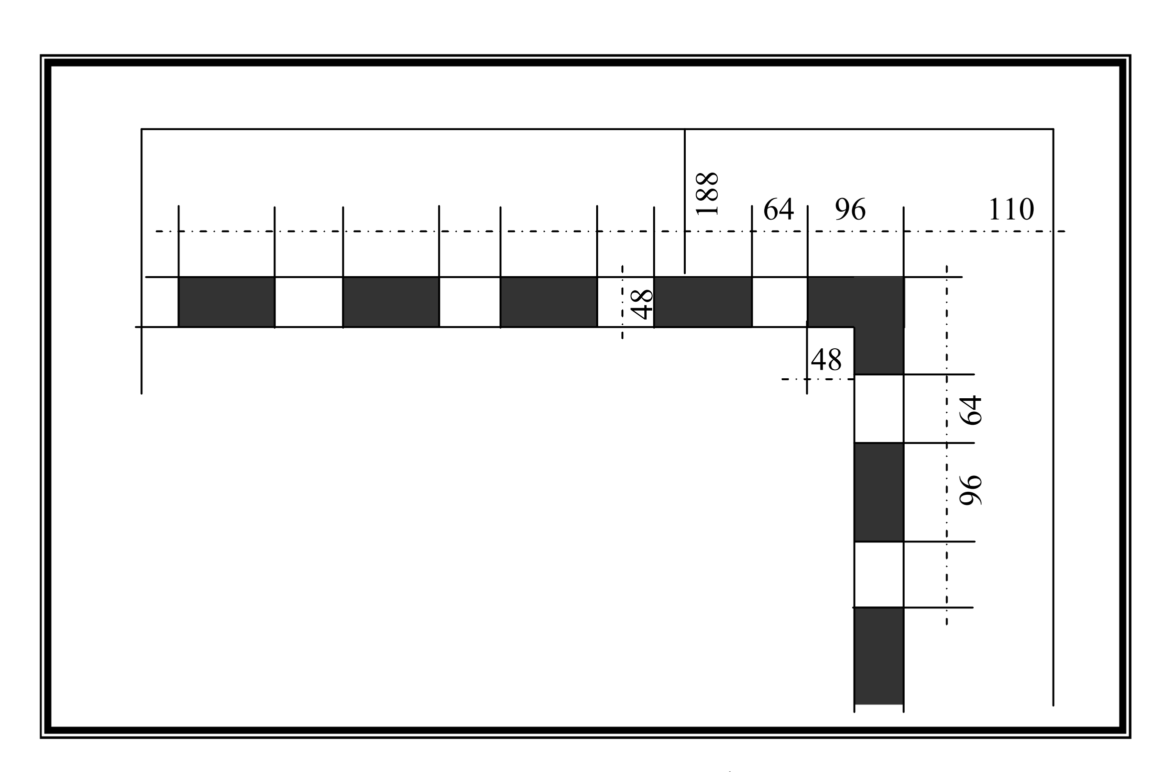


شكل رقم(3) :فاس الجديد:باب السمارين، ممشى السور

(عن : الباحث)



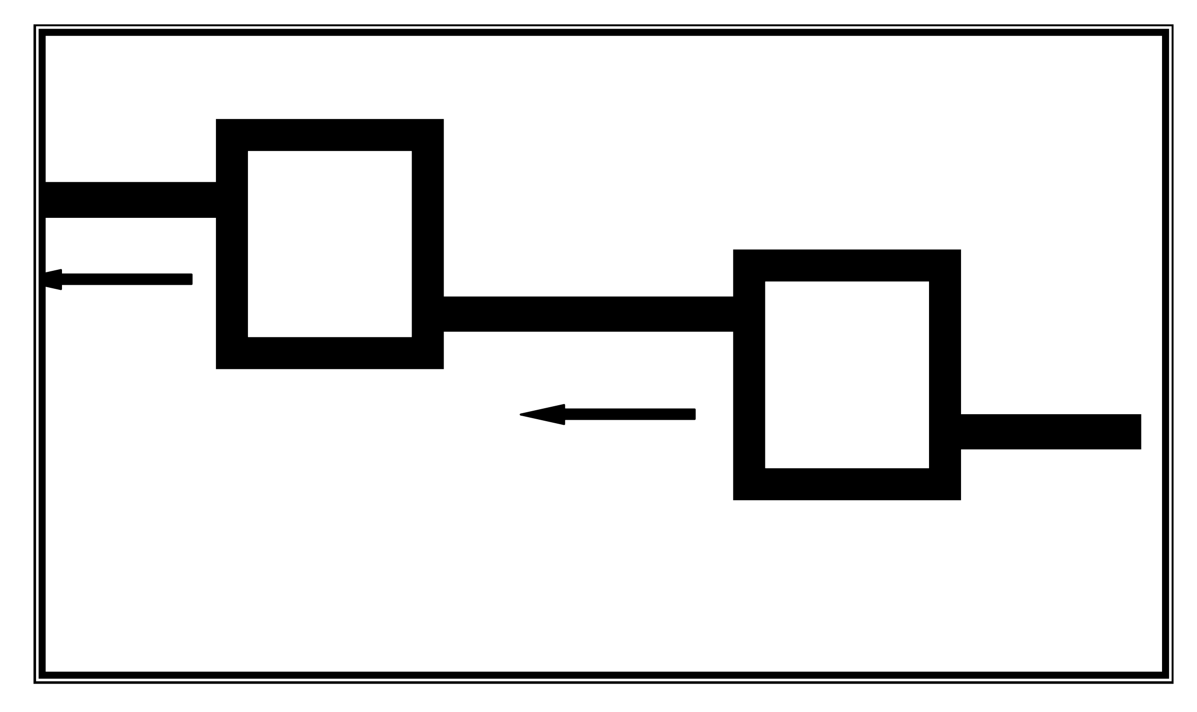
(أ) مقطع عمودي (وحدة القياس بـ سم)



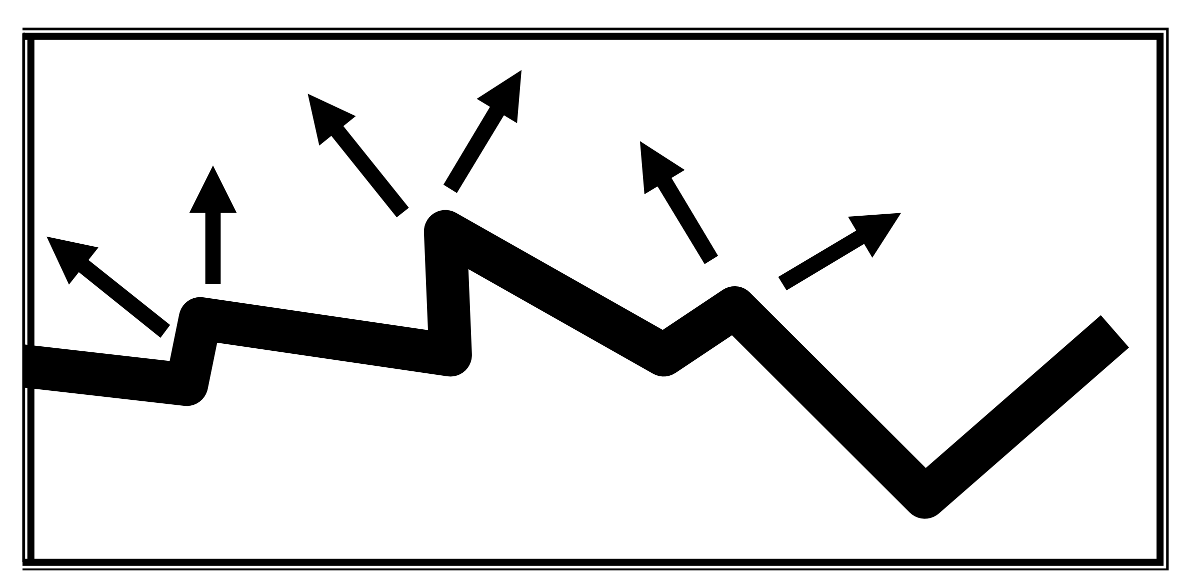
(ب) مقطع أفقي (وحدة القياس بــ سم)

شكل رقم (4) : - فاس الجديد - مقطع عمودي و أفقي لممشى السور

(عن: الباحث)



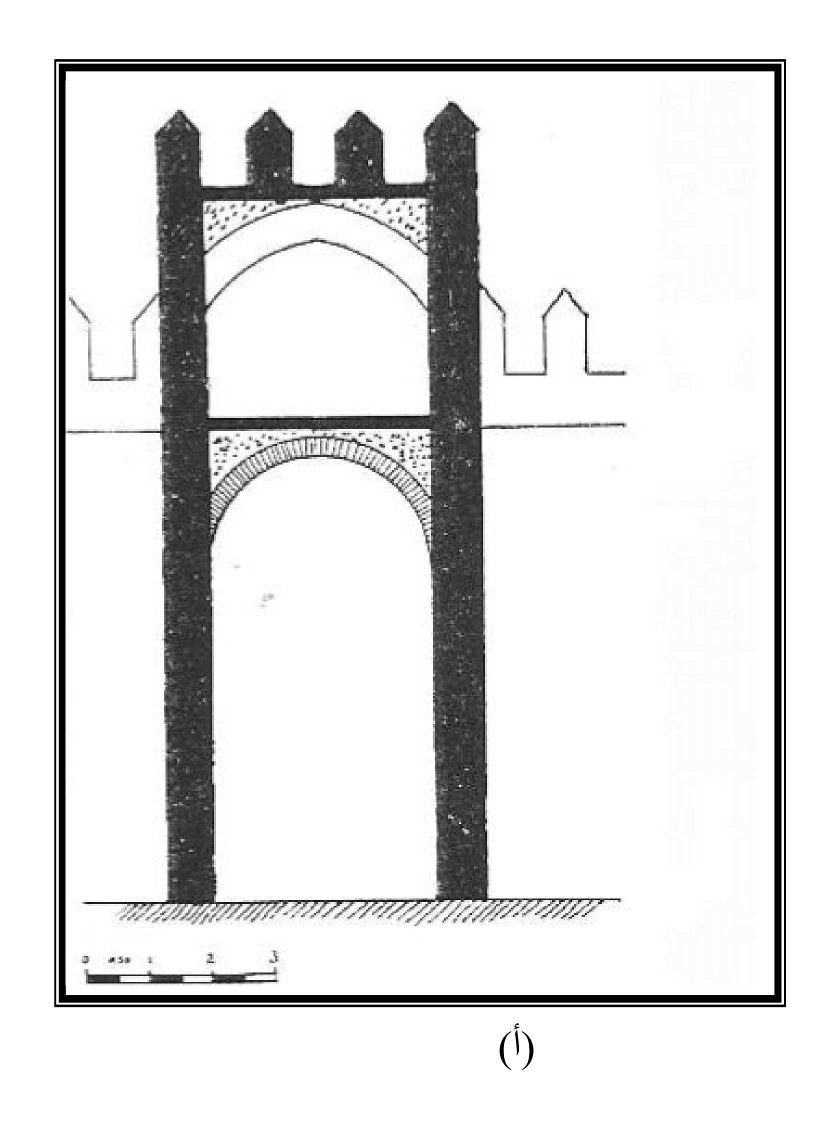
(أ)



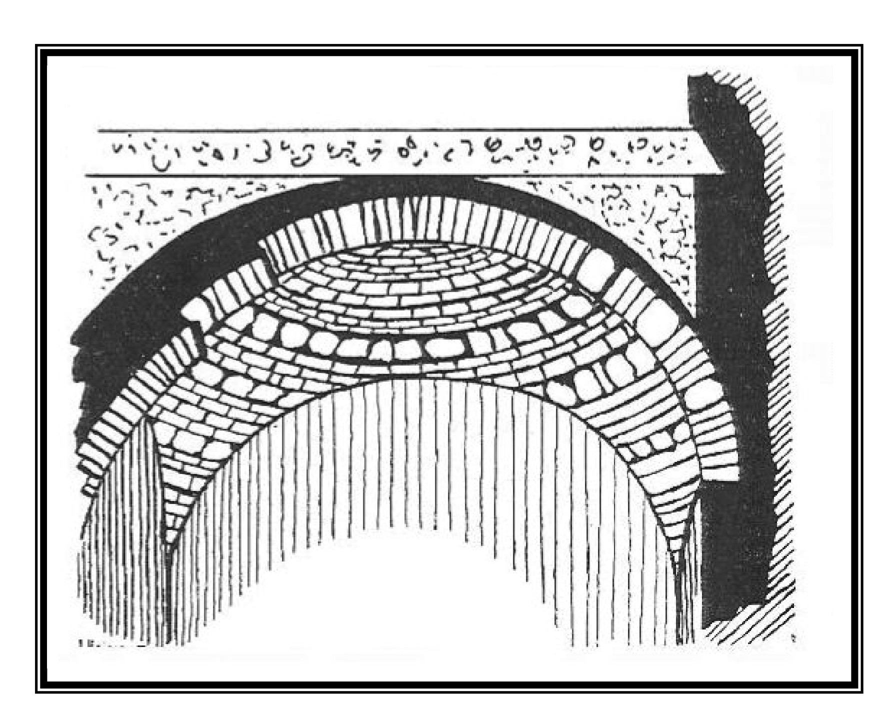
(ب)

الشكل رقم(5) : يبين أسلوب توزيع الابراج وزوايا السور

(عن : الباحث)



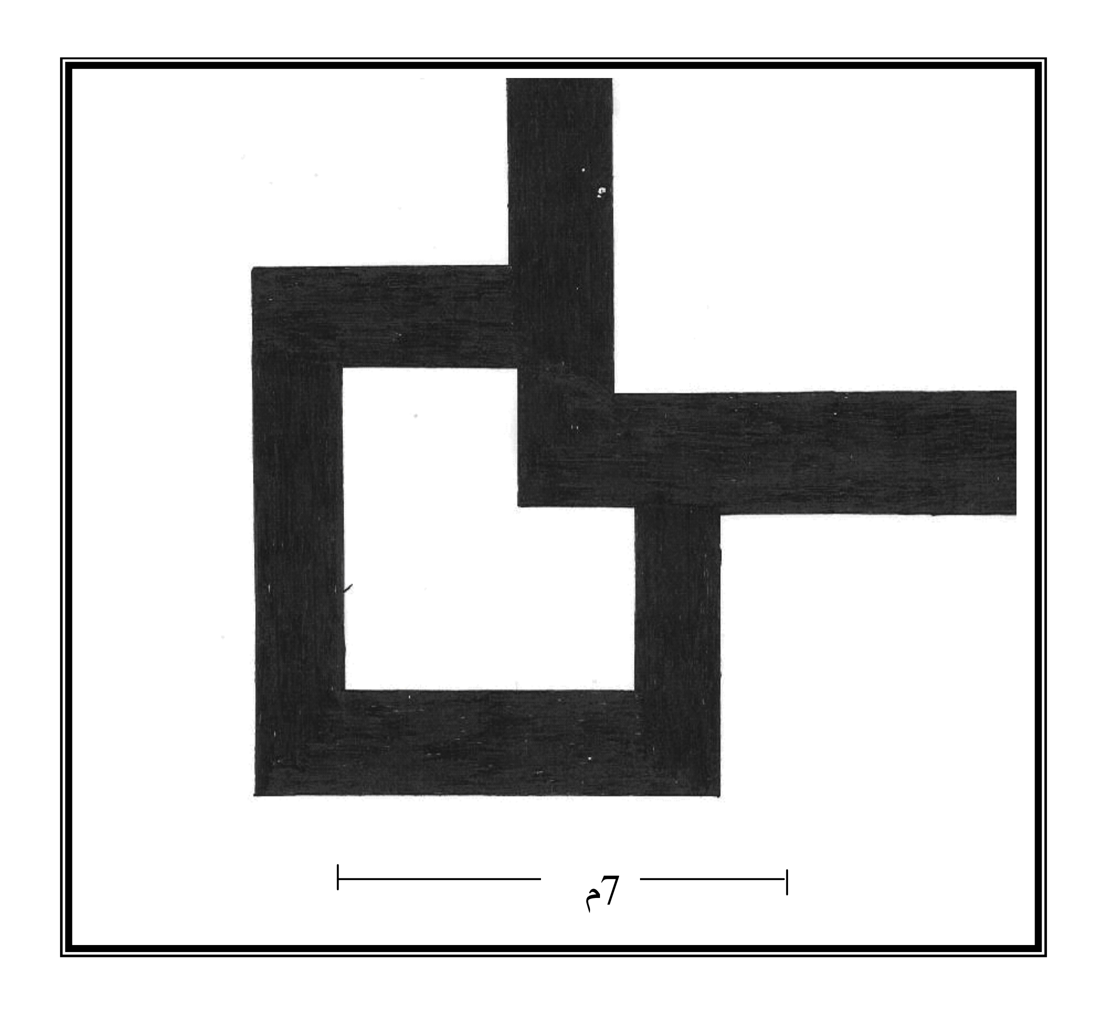
(أ)



الشكل رقم(6):مدينة سلا (الرباط) - مقطع عمودي لأحد الأبراج

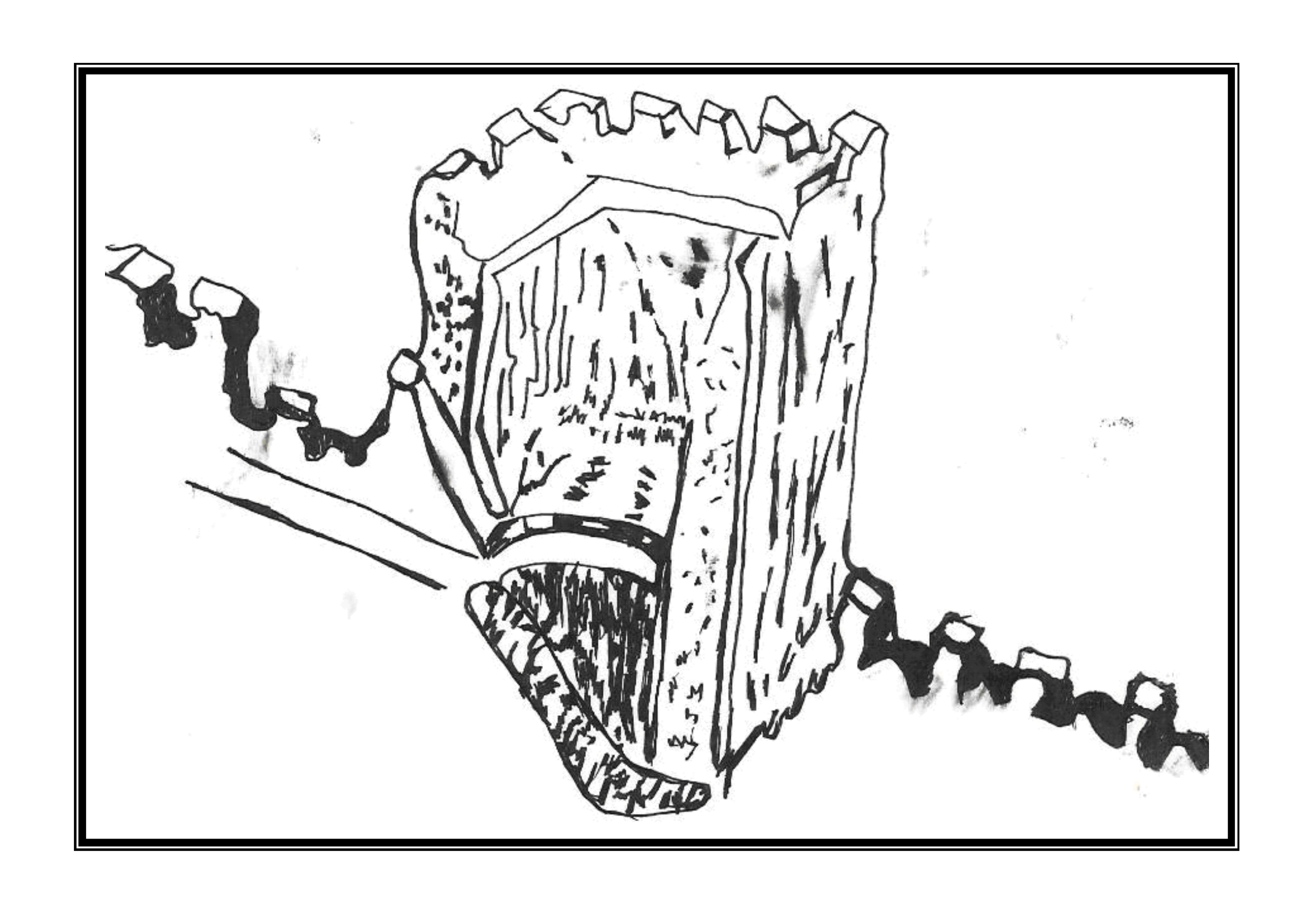
(H.Basset et L.Provençal :عن)

138



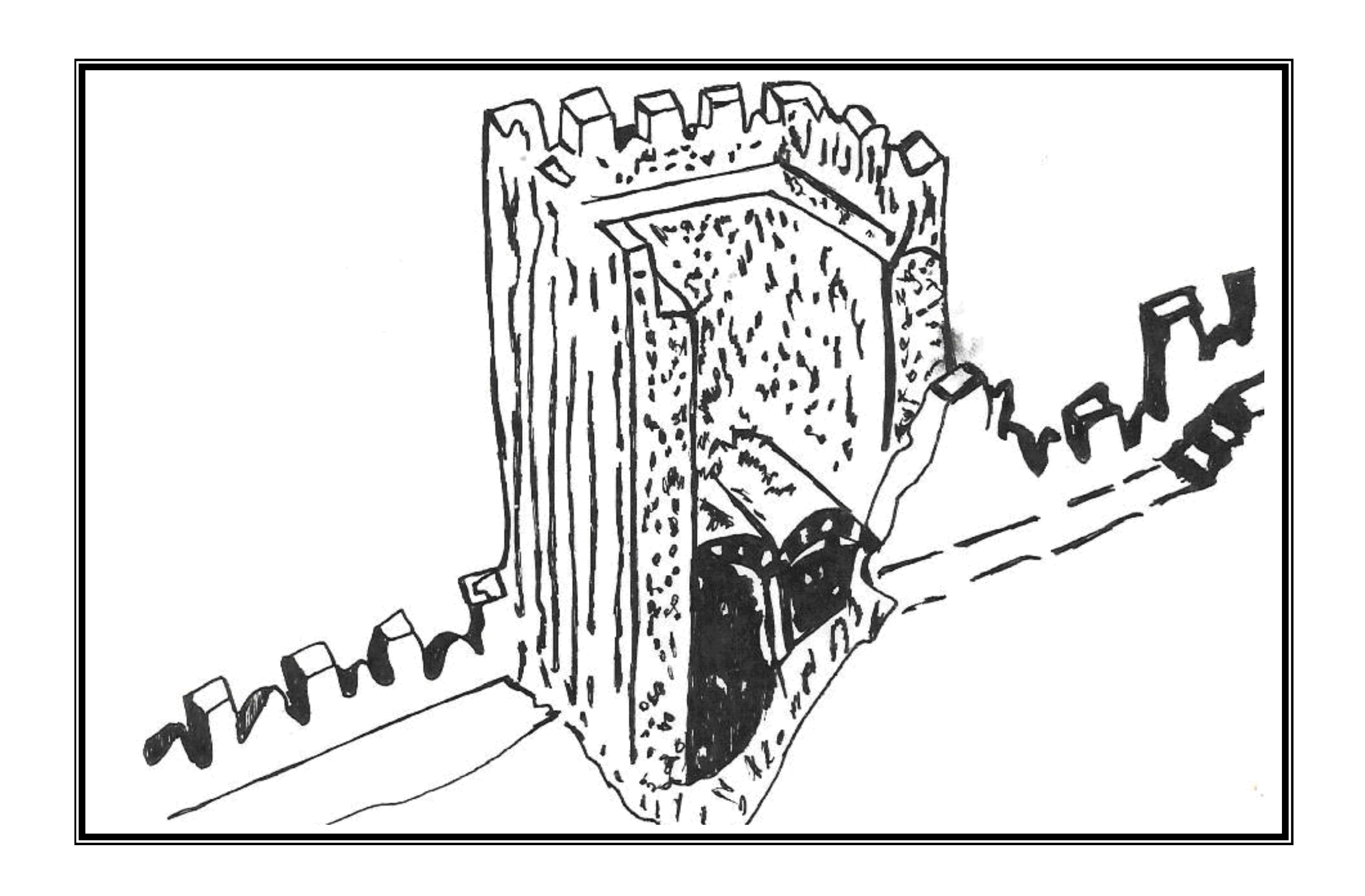
شكل رقم(7) : تلمسان منصورة - احد الأبراج الركنية.

(عن: الباحث



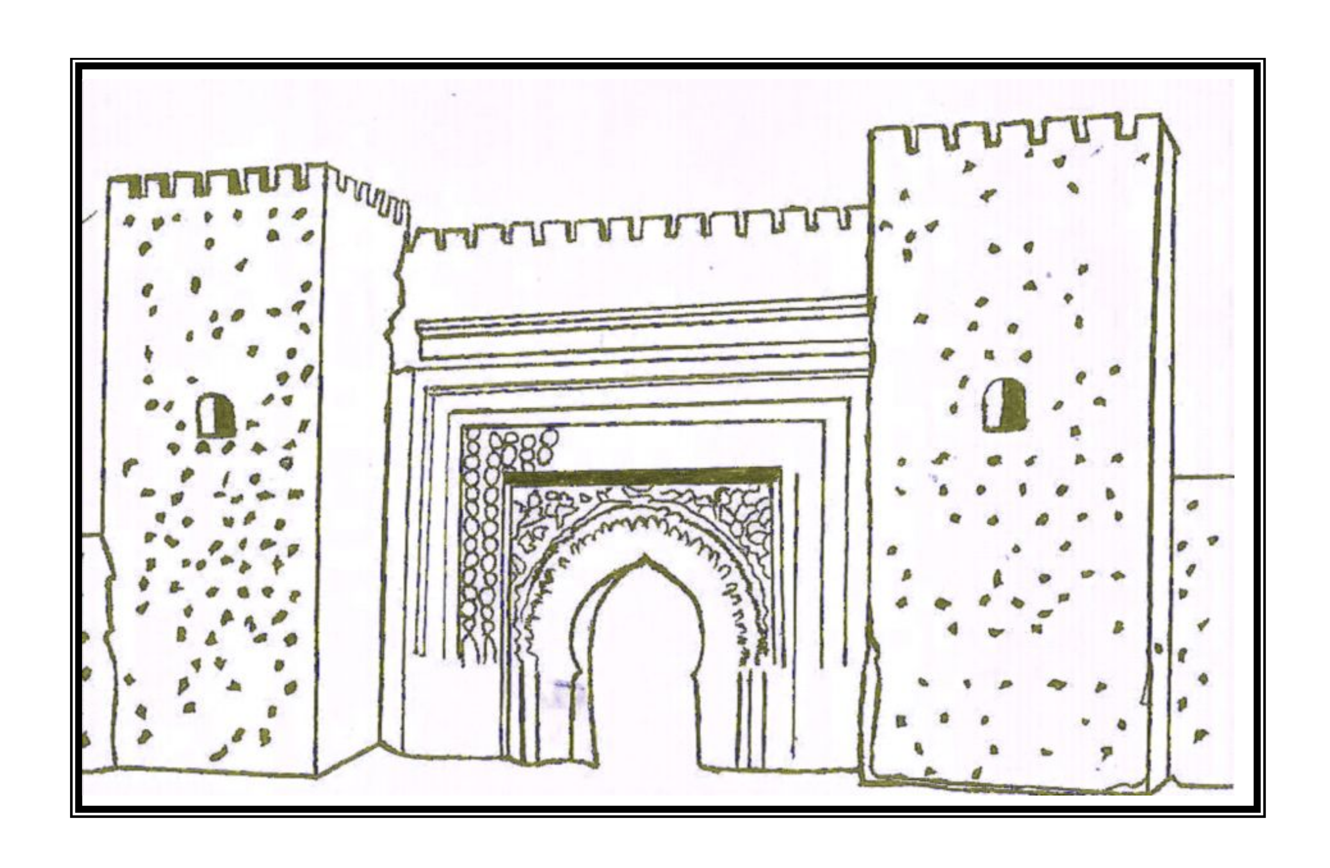
شكل رقم(8) : مخطط منصورة تلمسان - يبين احد الأبراج المقبية.

(عن: G. Marcais)



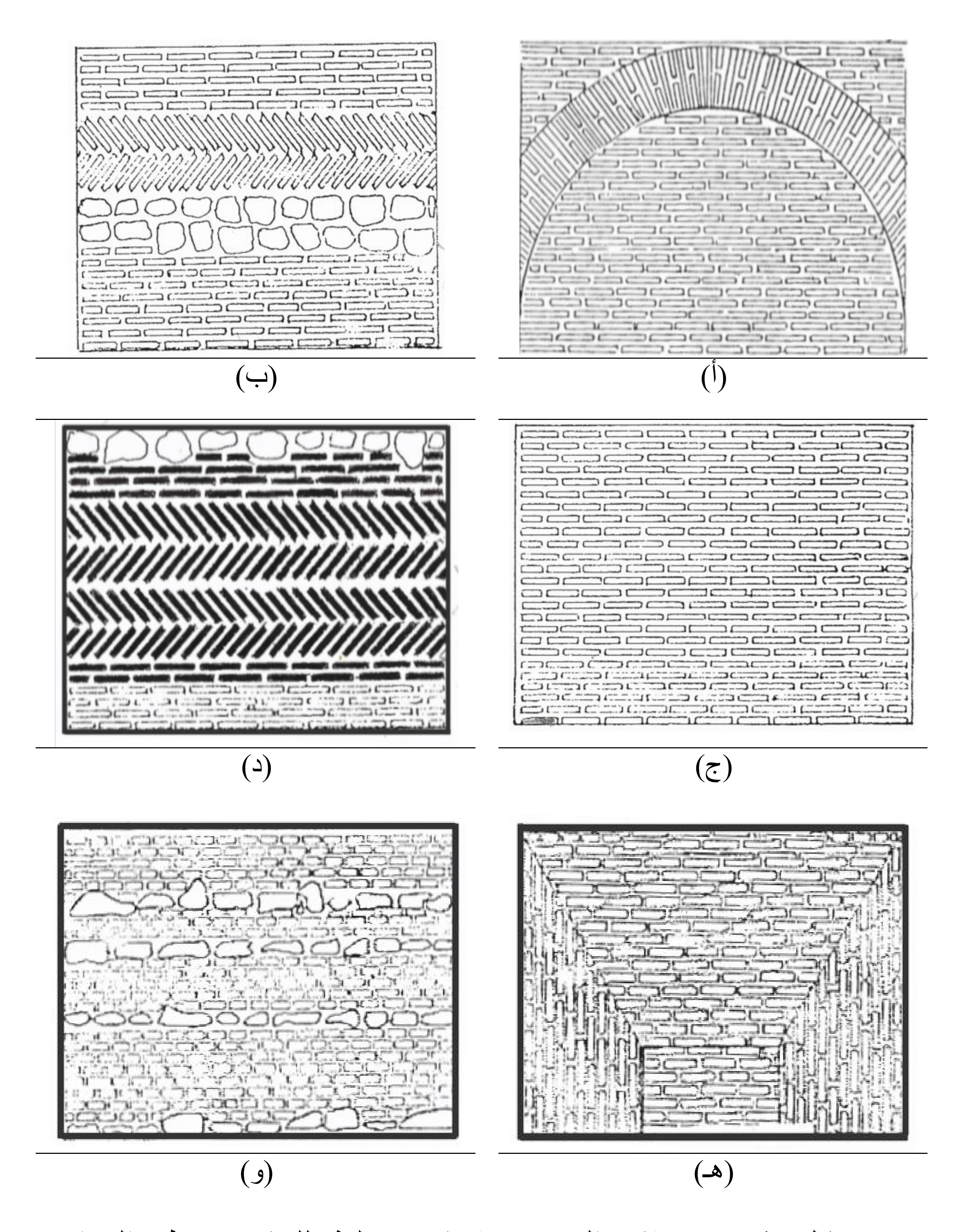
شكل رقم(9) : تلمسان المنصورة ـ مقطع داخلي للأبراج المقبية المزدوجة

(G. Marcais : عن **)**



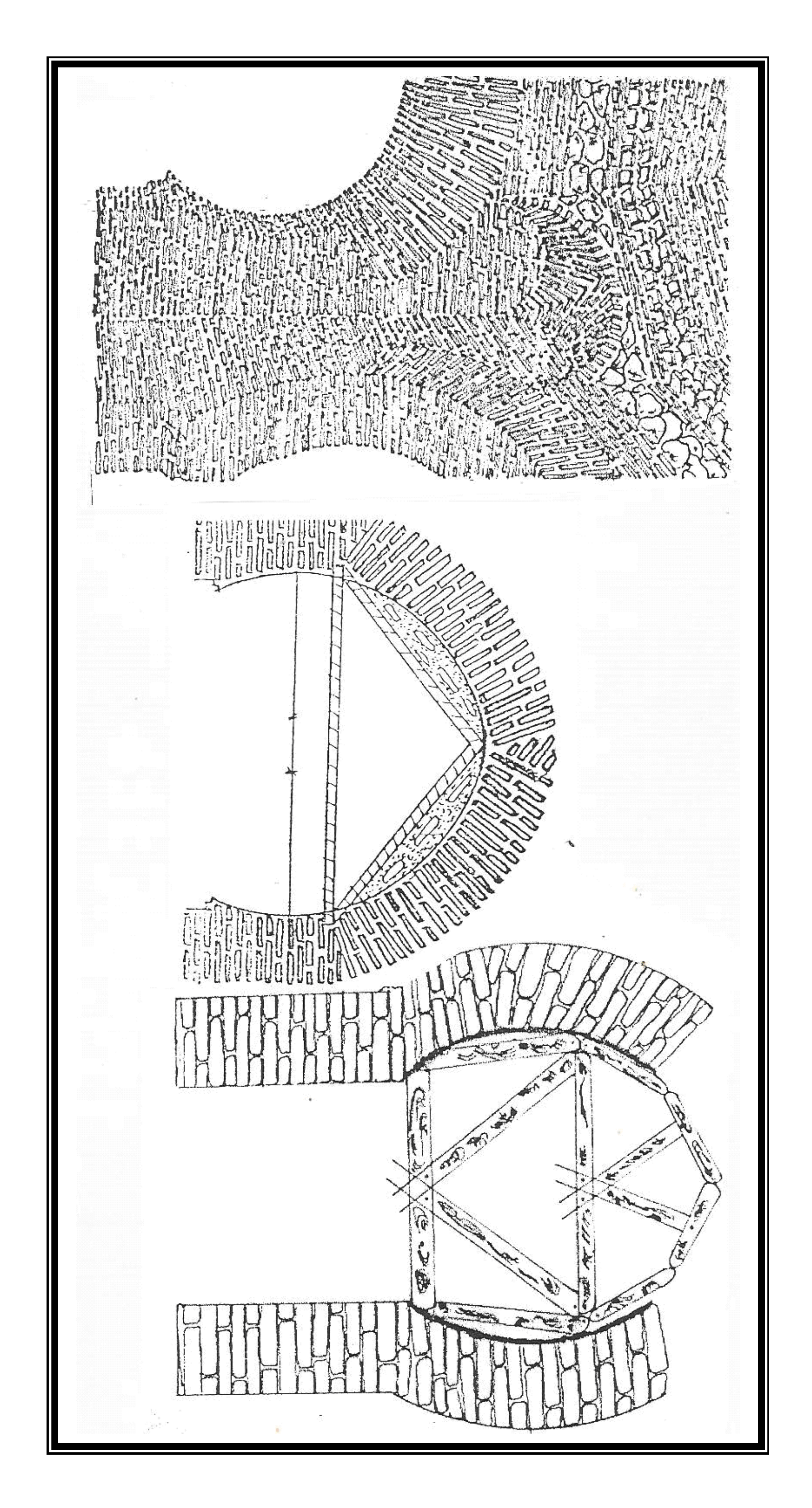
شكل رقم (10) : مدينة مكناس - واجهة باب الخميس

(عن: A. BEL)



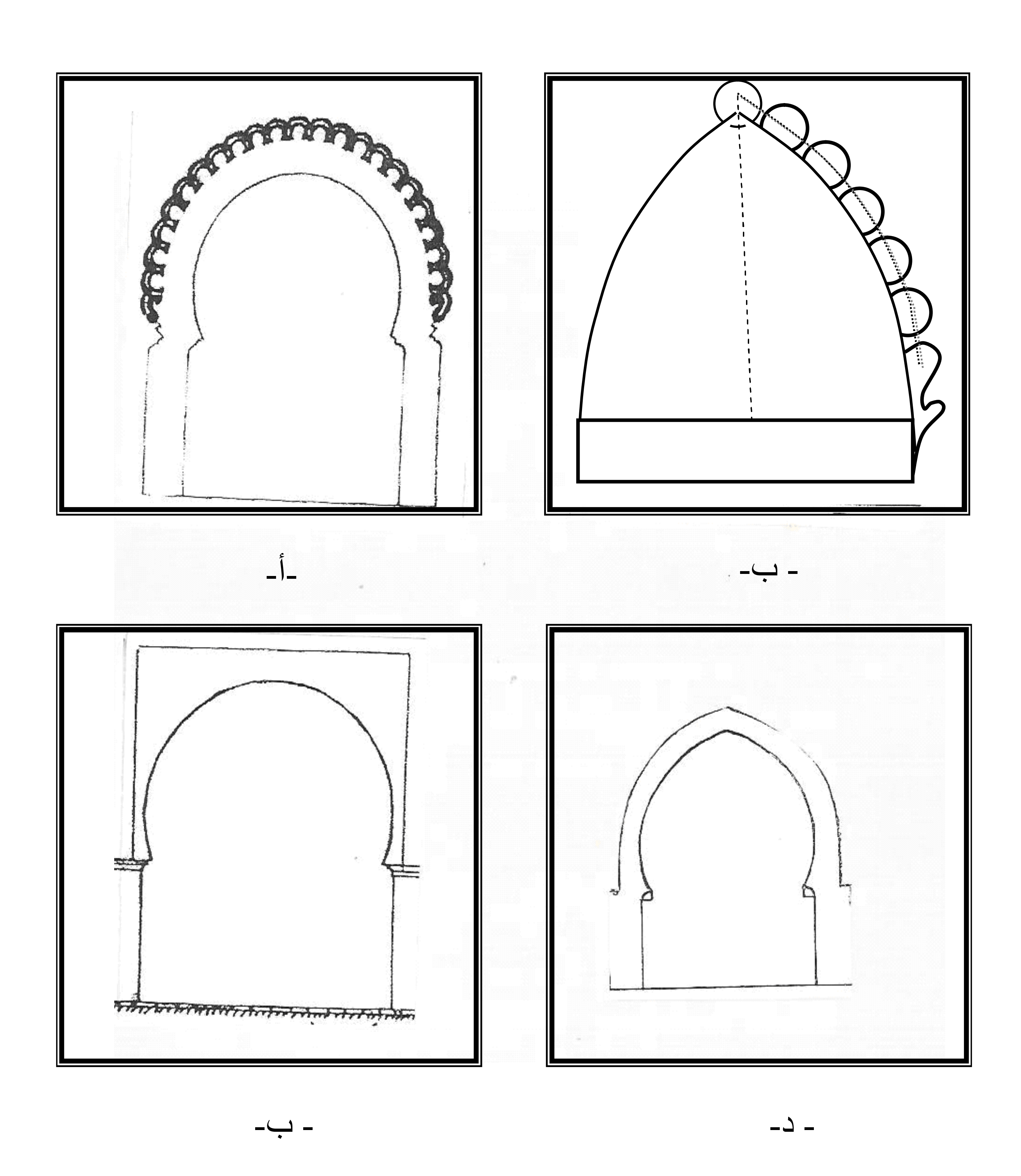
شكل رقم(11): فاس الجديد – تقنيات مختلفة للبناء و تنظيم المواد

(عن : الباحث)



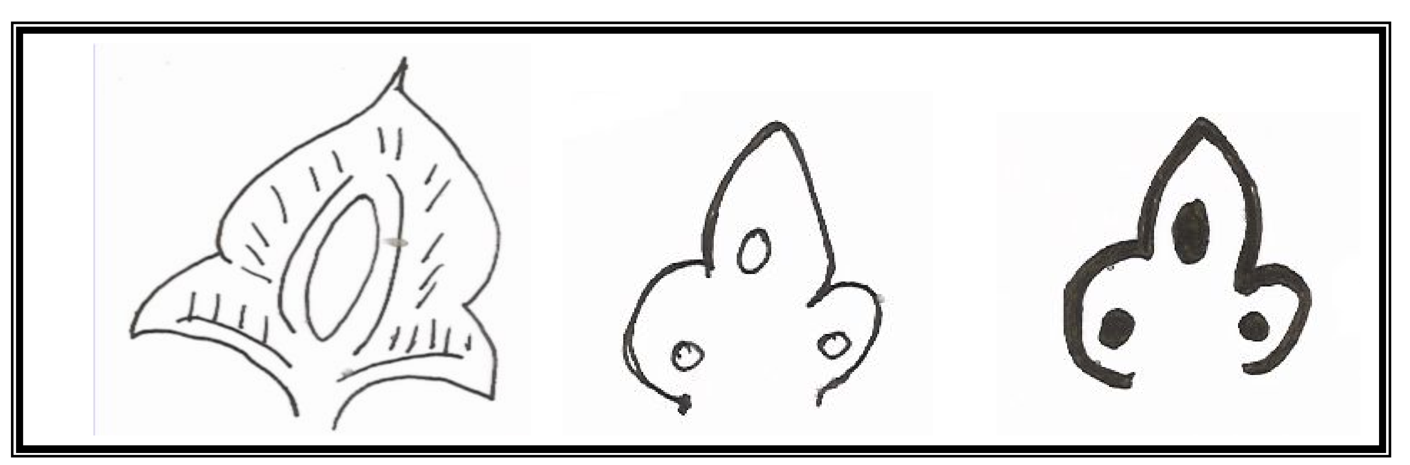
شكل رقم(12): تقنية بناء القباب والعقود

(عن: G .Marcais)

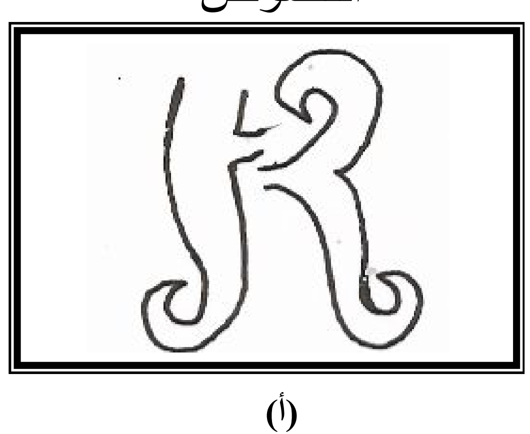


شكل رقم(13) : فاس الجديدة- بعض أنواع العقود في المداخل

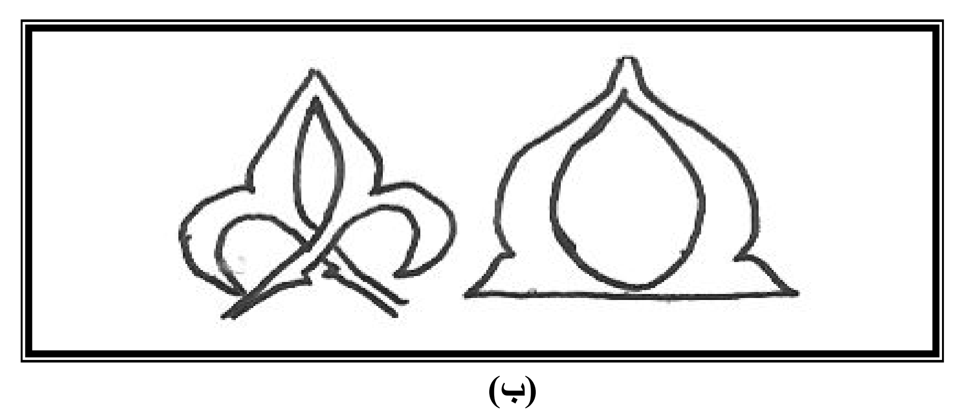
(عن: الباحث)



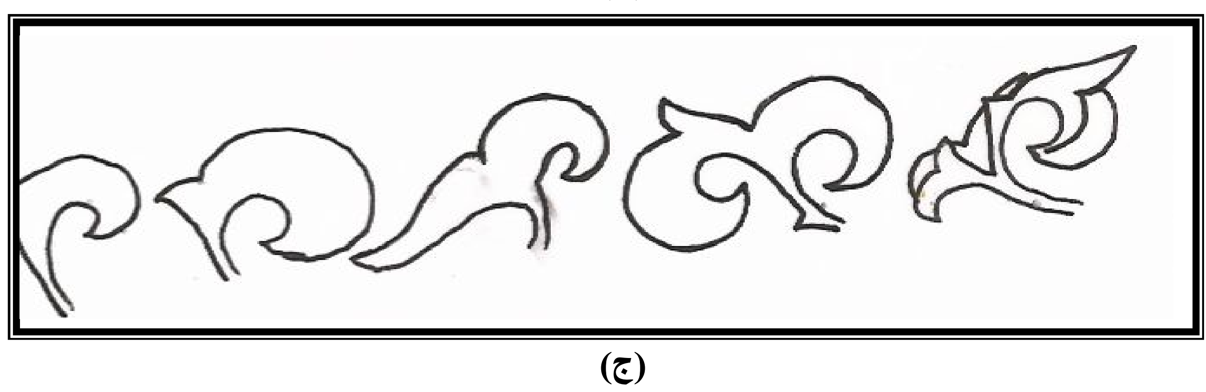
شكل رقم(14): فاس الجديدة -زهرة محورة على هيئة ورقة ثلاثية الفصوص



(أ)



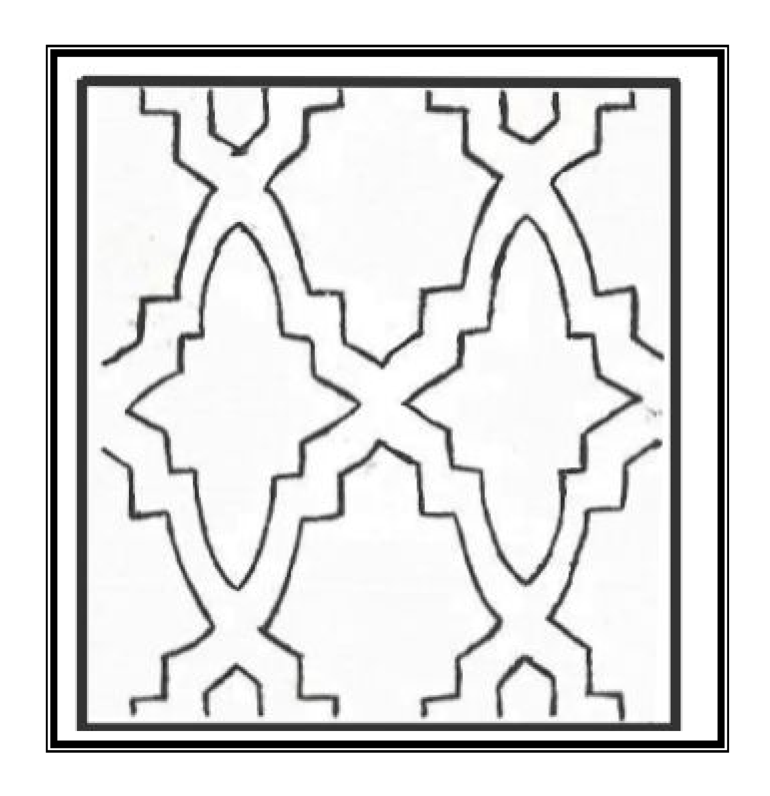
(ب)



(ج)

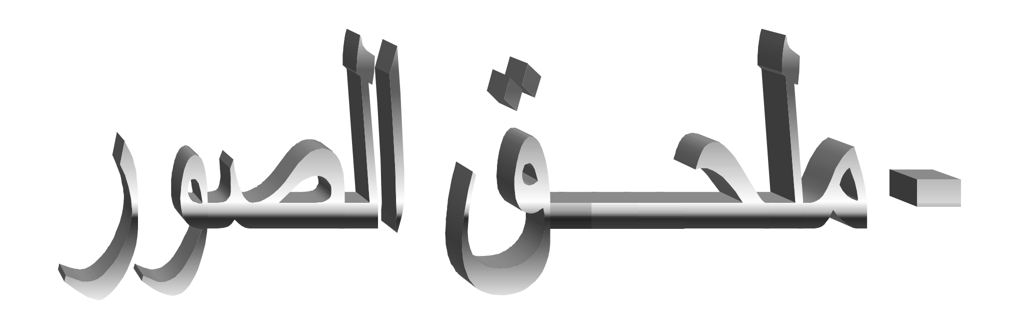
شكل رقم (15) : فاس الجديدة - نماذج زخرفية لعنصر المراوح النخلية

(عن: الباحث)



شكل رقم(16):فاس الجديدة - نموذج من عناصر الزخارف في واجهة الأبواب

(عن: الباحث)


- ملحــق الصور



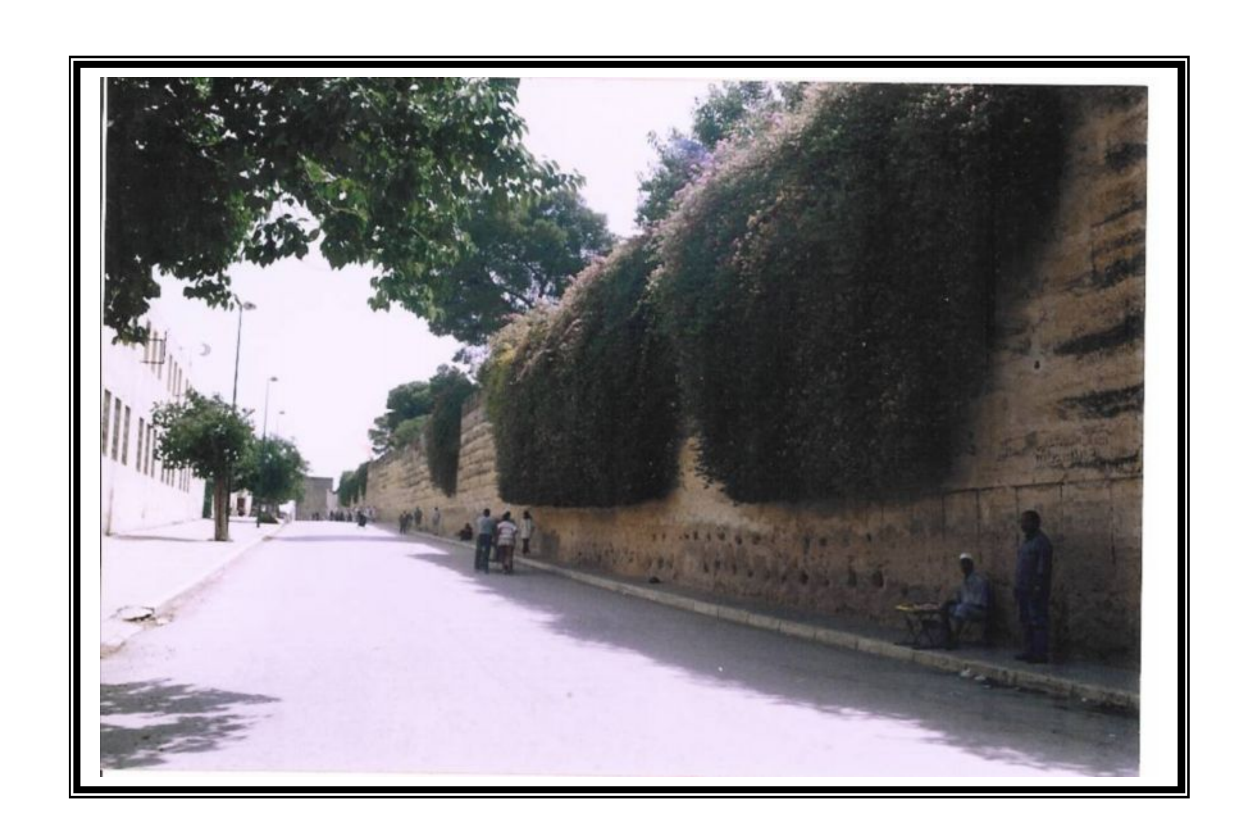
الصورة رقم **(1)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر عام لفاس الجديد من الناحية الشمالية -



الصورة رقم **(2)** : " مدينة فاس الجديد " - منظر من الناحية الجنوبية (باب الجياف).



الصورة رقم **(3)** : " مدينة فاس الجديد " – السور الداخلي من الناحية الشرقية-



الصورة رقم **(4)** : " مدينة فاس الجديد " – السور الخارجي من الناحية الشمالية-



الصورة رقم **(5)** : " مدينة فاس الجديد " – أسوار منكسرة على شكل مخروطي في الناحية الشمالية.



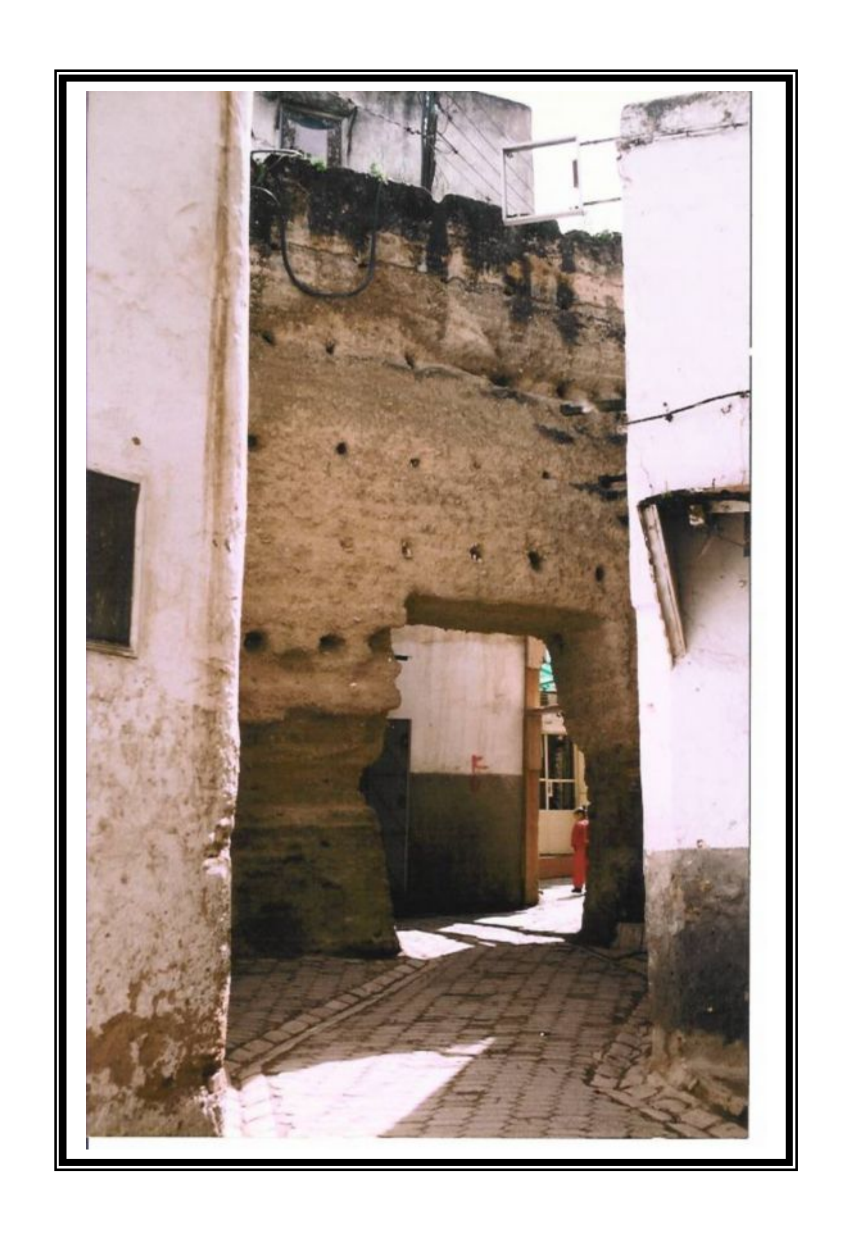
الصورة رقم **(6)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر داخلي للأسوار الخارجية وتقنية بنائه.



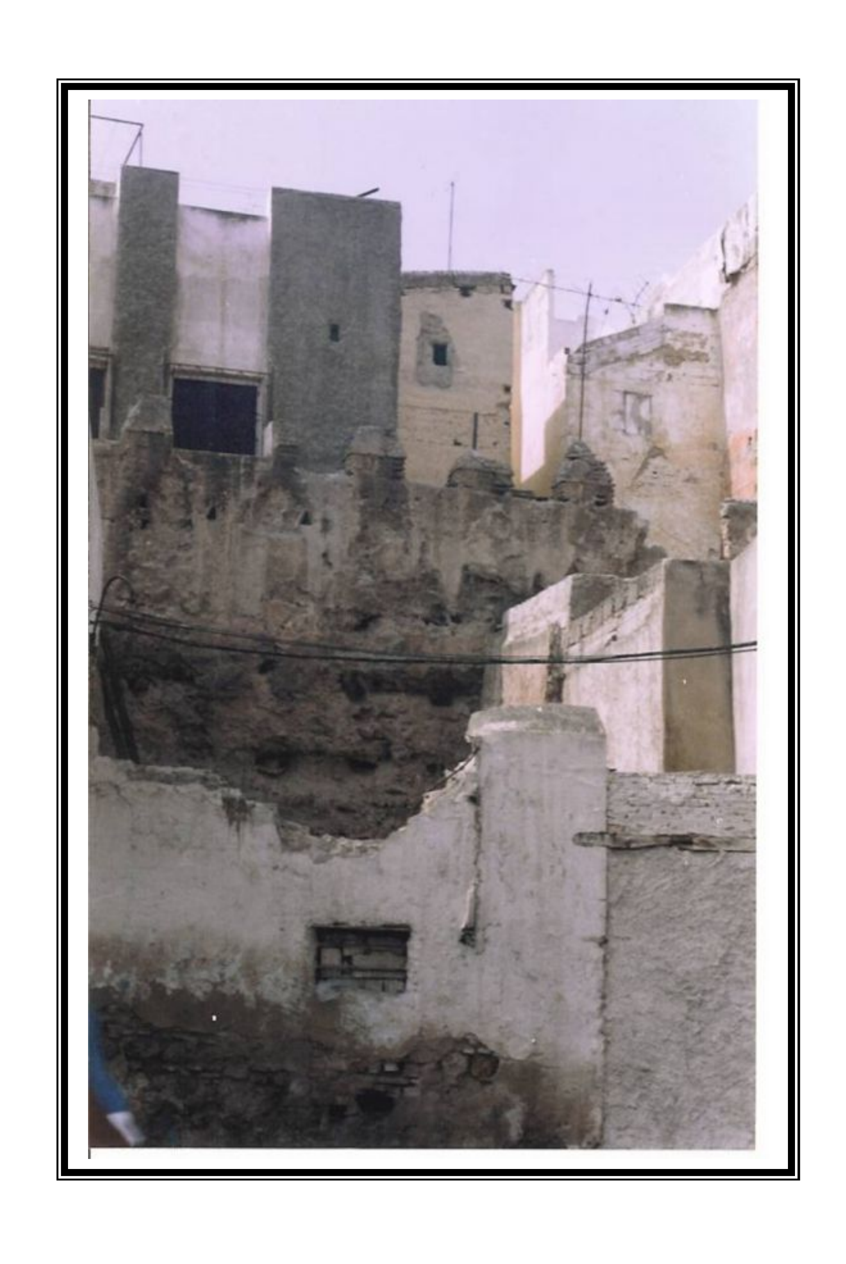
الصورة رقم **(7)** : " مدينة فاس الجديد "ــ الأسوار الخارجية (أقل ارتفاعا وسمكا من الأسوار الداخلية) في الناحية الشرقية.



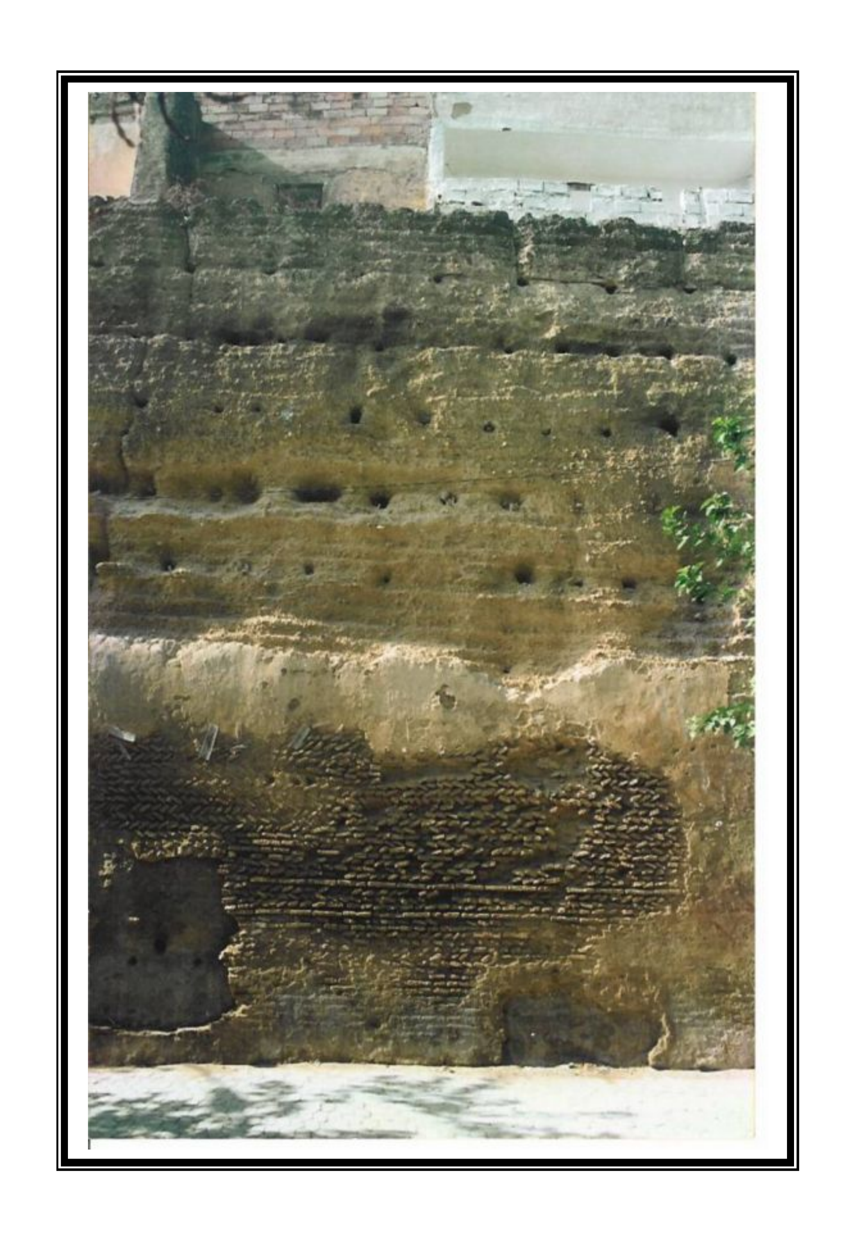
الصورة رقم **(8)** : " مدينة فاس الجديد " - أسوار خارجية في الناحية الشرقية - ـ



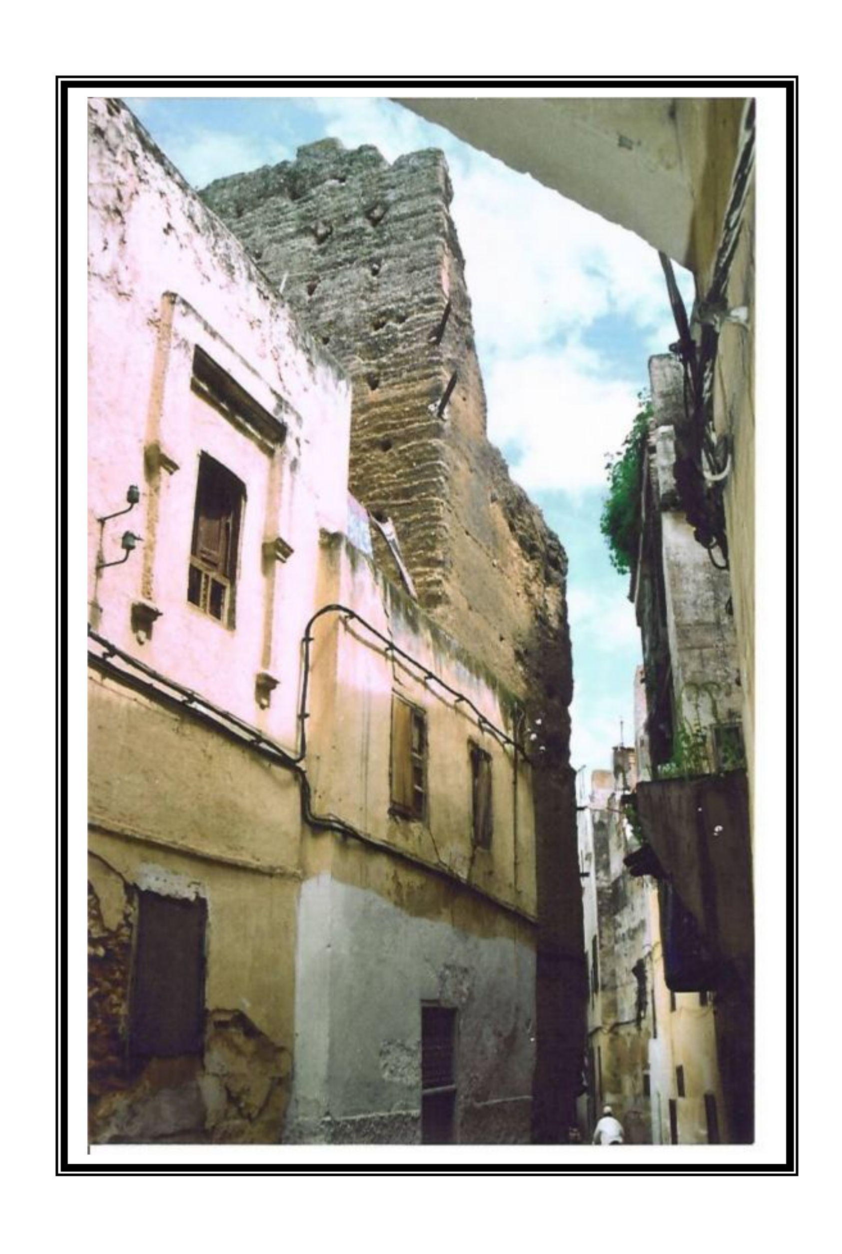
الصورة رقم **(9)** : " مدينة فاس الجديد " – السور الداخلي في درب بوطويل في الناحية الجنوبية



الصورة رقم **(10)** : " مدينة فاس الجديد " – أسوار داخلية في الناحية الجنوبية" بالملاح" وتداخل البناء الحديث مع السور القديم -



الصورة رقم **(11)** : " مدينة فاس الجديد " – السور الداخلي في الناحية الشرقية وتقنية بنائه



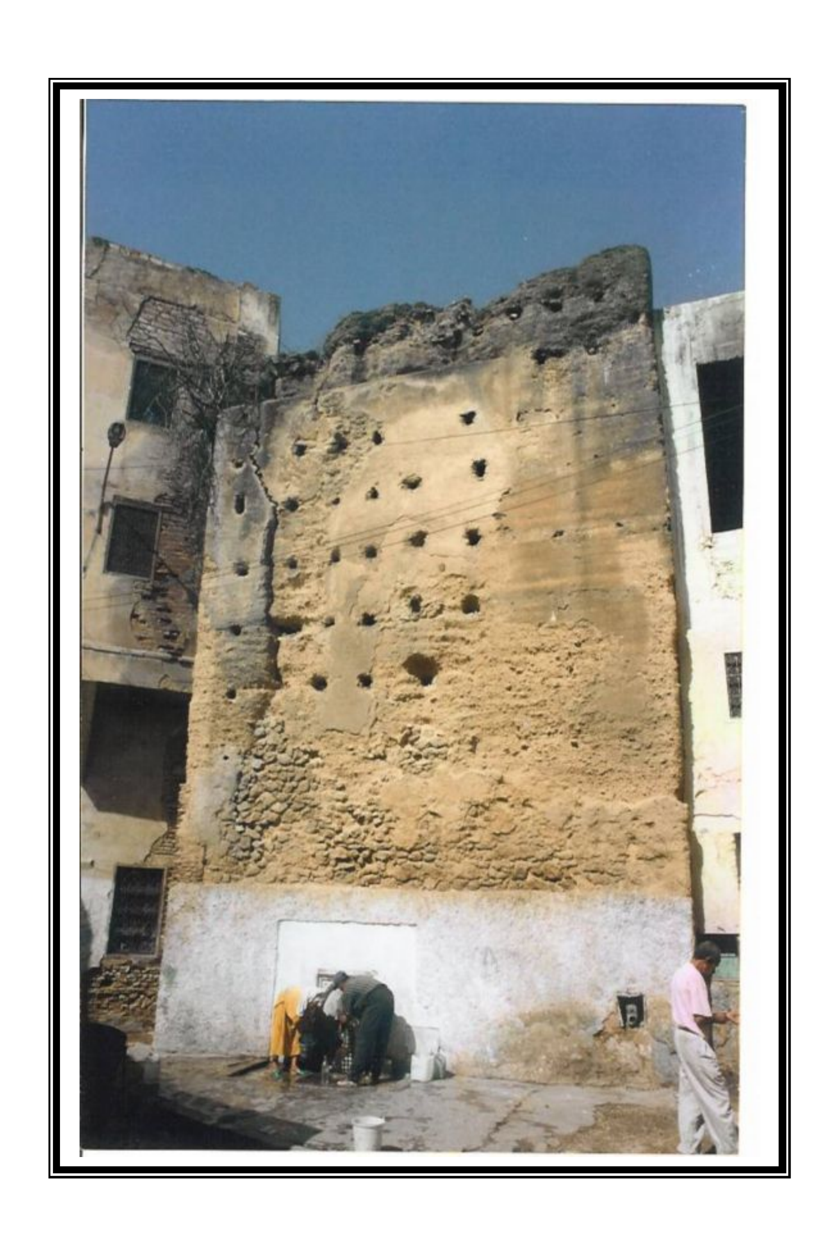
الصورة رقم **(12)** : " مدينة فاس الجديد " – برج مربع في السور الداخلي في الناحية الشرقية.



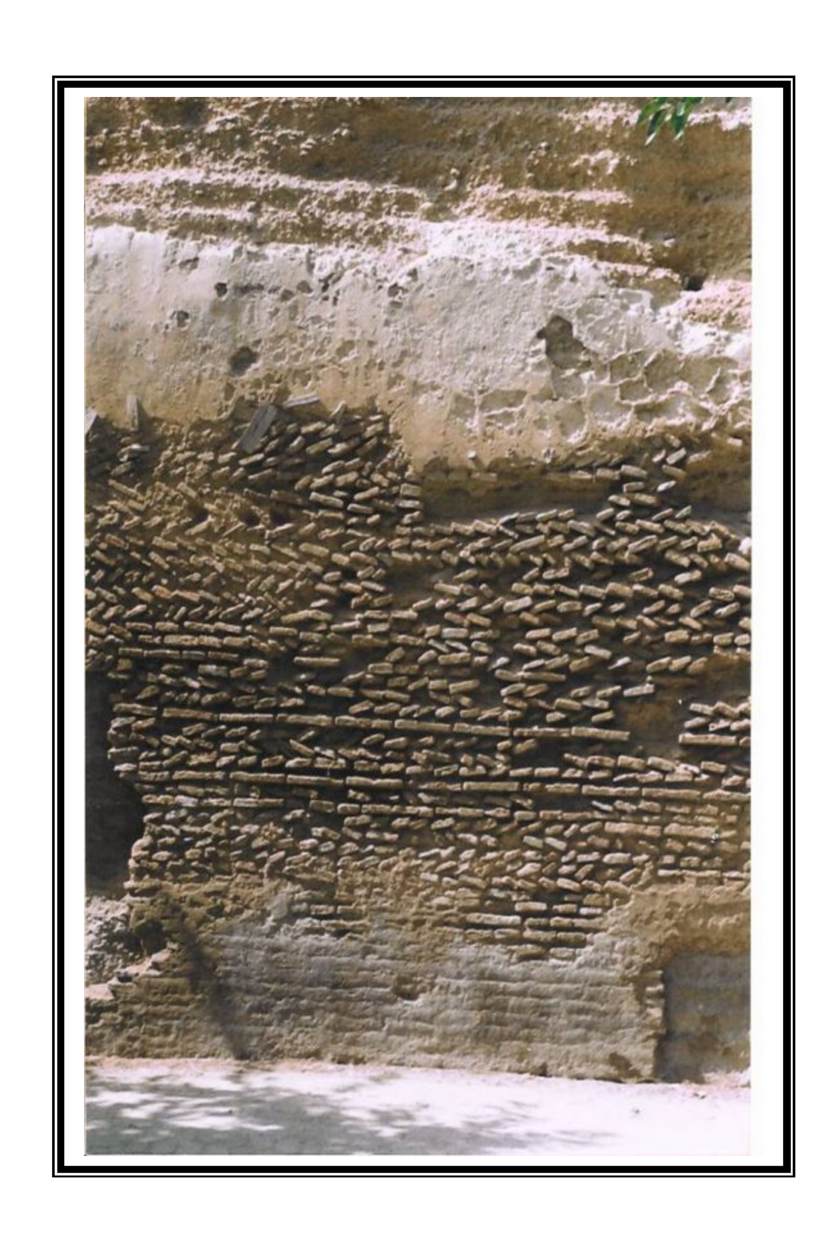
الصورة رقم **(13)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر من الناحية الغربية لبرج مربع في السور الداخلي بالناحية الشمالية.



الصورة رقم **(14)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر من الناحية الشرقية لبرج مربع في السور الداخلي للناحية الشمالية و تقنية بنائه.



الصورة رقم **(15)** : " مدينة فاس الجديد " – برج مستطيل في الناحية الشرقية لسور داخلي.



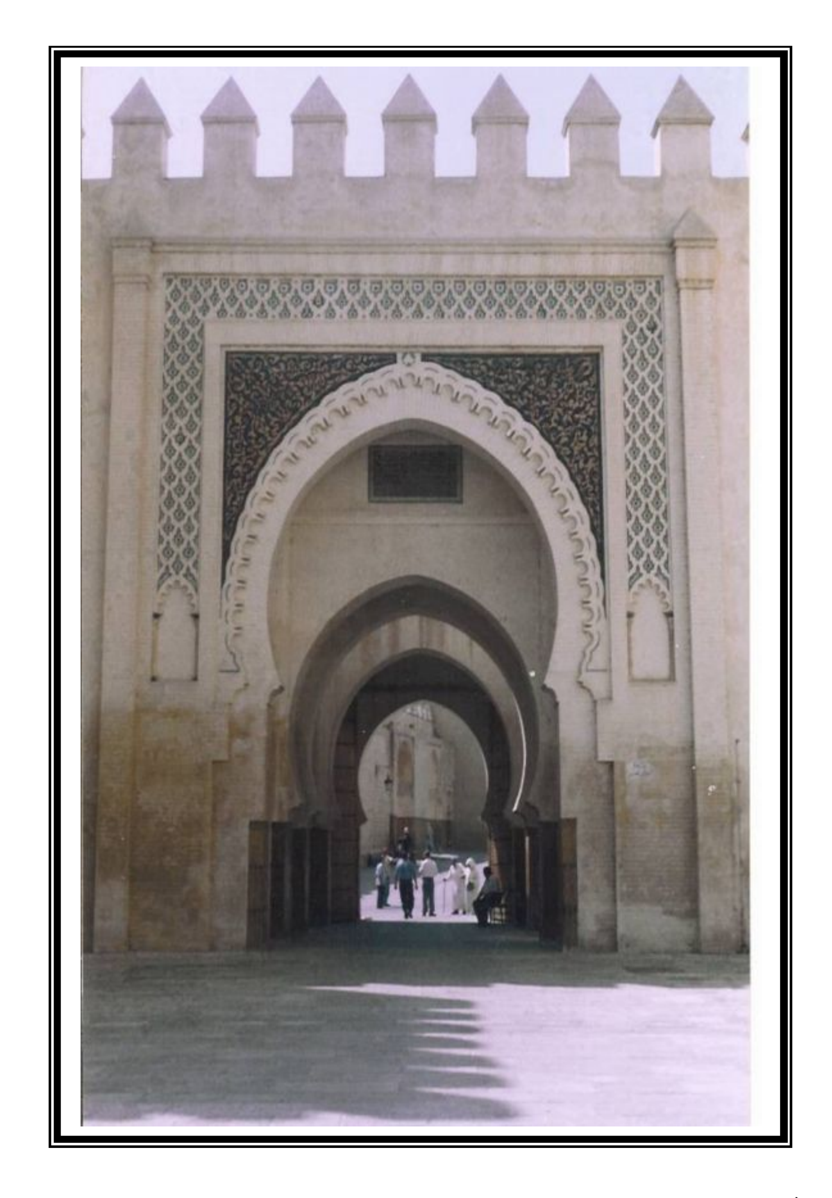
الصورة رقم **(16)** : " مدينة فاس الجديد " - تقنية بناء السور الداخلي.



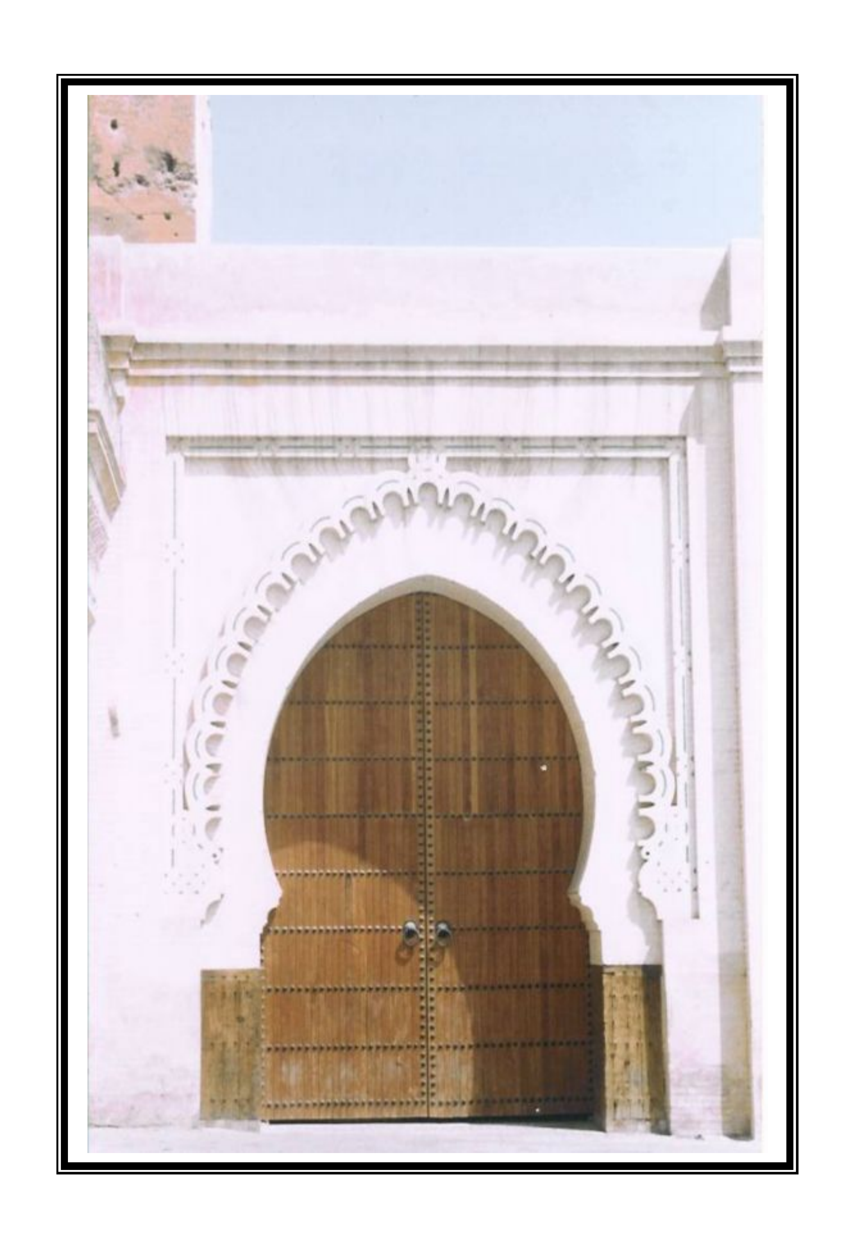
الصورة رقم **(17)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر خارجي لباب السبع (باب المكينة).



الصورة رقم **(18)** : " مدينة فاس الجديد " - منظر داخلي لباب السبع (باب المكينة) والباب الأصلي هو على الناحية اليسرى.



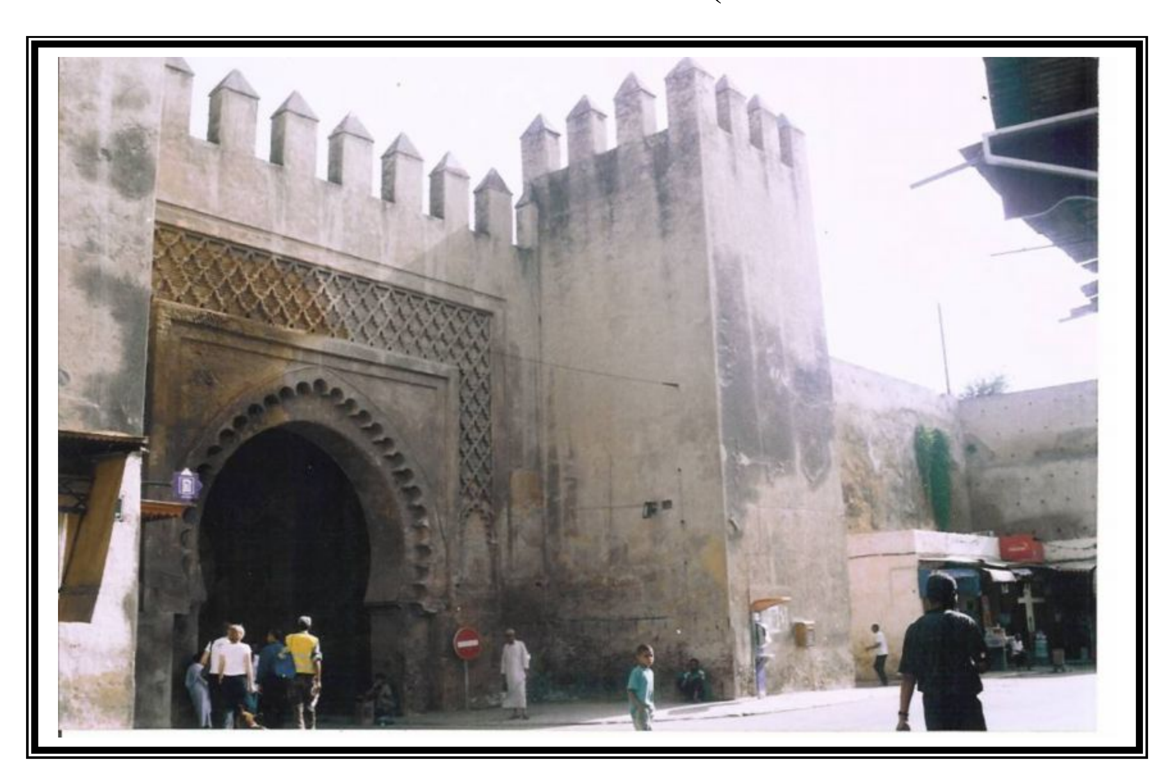
الصورة رقم **(19)** : " مدينة فاس الجديد " – تفاصيل مدخل باب السبع من الناحية الخارجية.



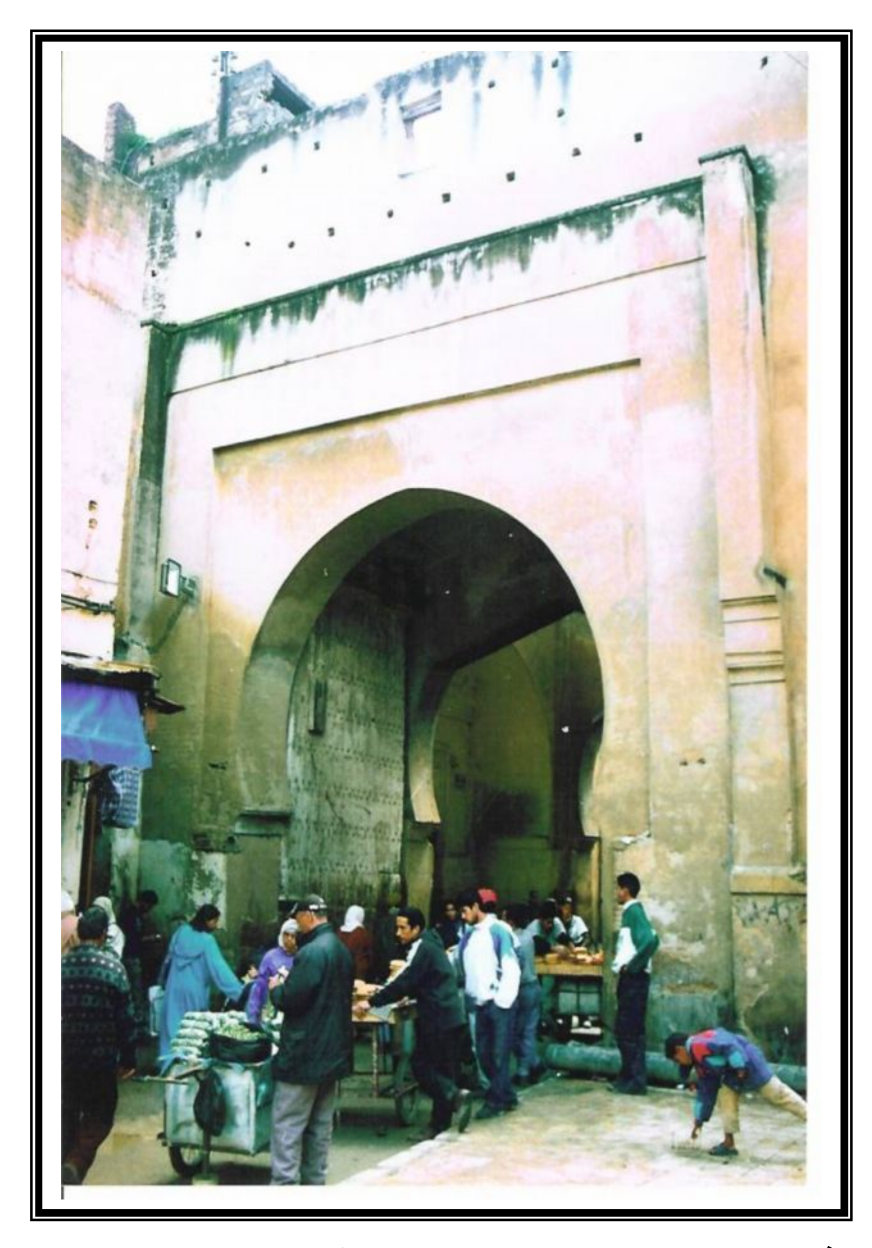
الصورة رقم **(20)** : " مدينة فاس الجديد " – تفاصيل مدخل باب السبع من الواجهة الداخلية.



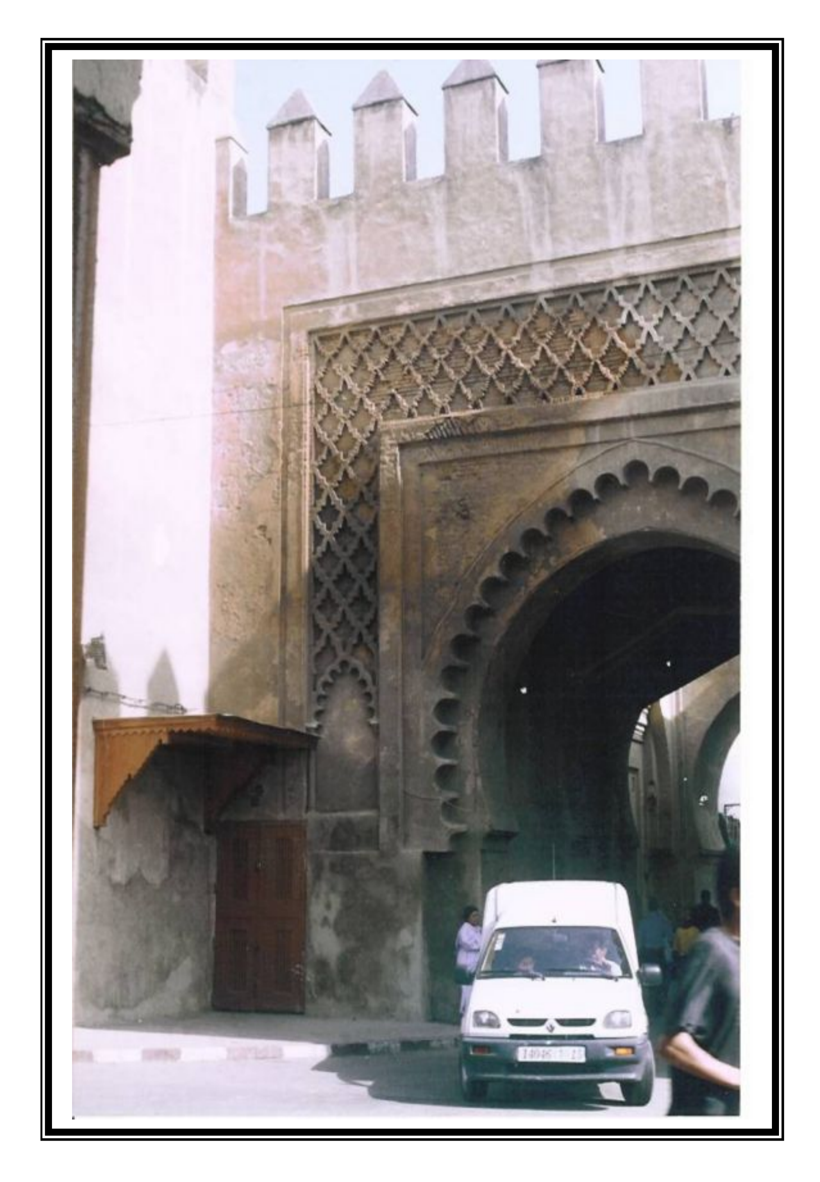
الصورة رقم **(21)** : " مدينة فاس الجديد " منظر عام لباب السمارين (باب عيون صنهاجة) من الواجهة الخارجية.



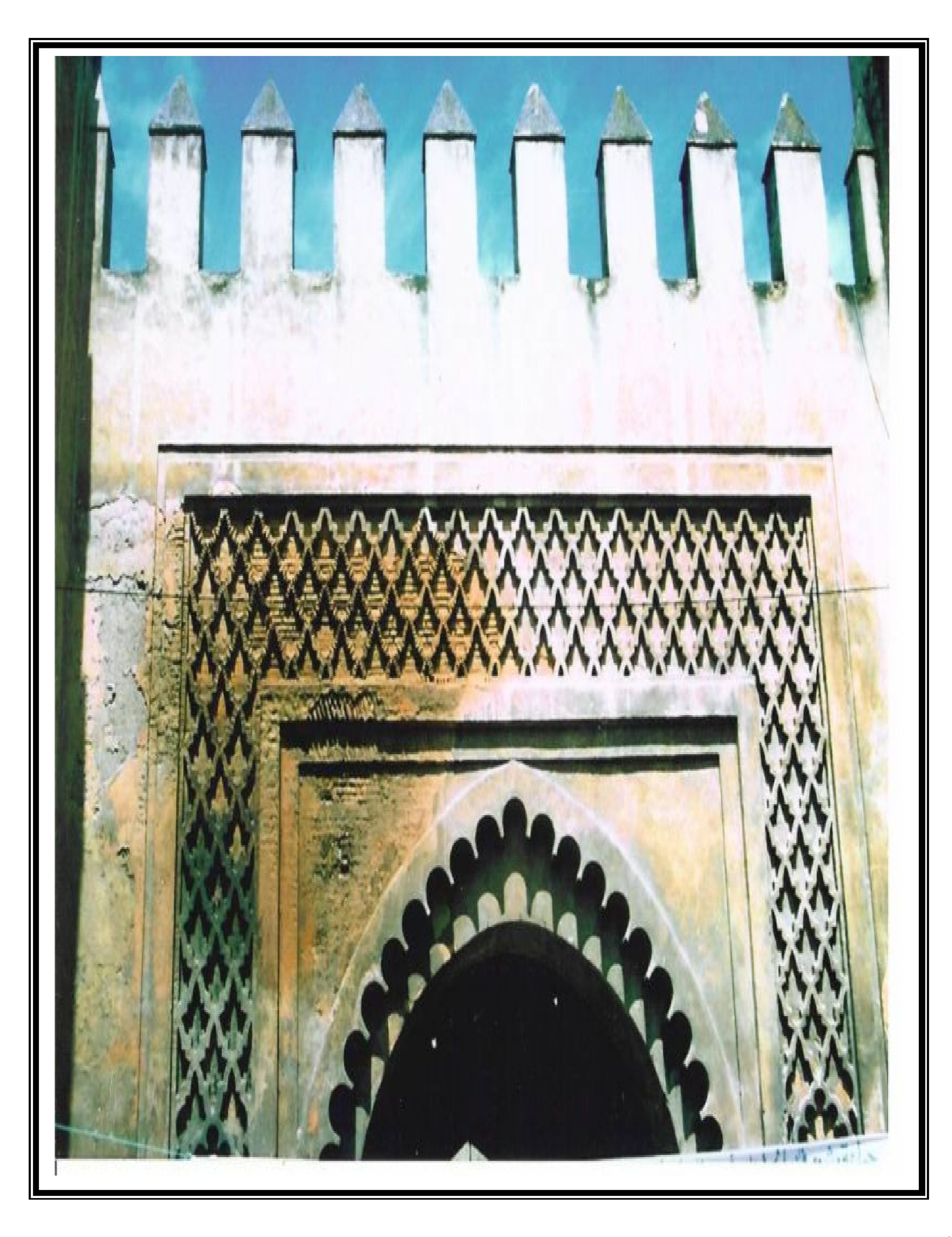
الصورة رقم **(22)** : " مدينة فاس الجديد " منظر عام لباب السمارين (باب عيون صنهاجة) من الواجهة الخارجية.



الصورة رقم **(23)** : " مدينة فاس الجديد " منظر عام لباب السمارين (باب عيون صنهاجة) من الواجهة الخارجية..



الصورة رقم **(24)** : " مدينة فاس الجديد " – تفاصيل باب السمارين من الناحية الخارجية.



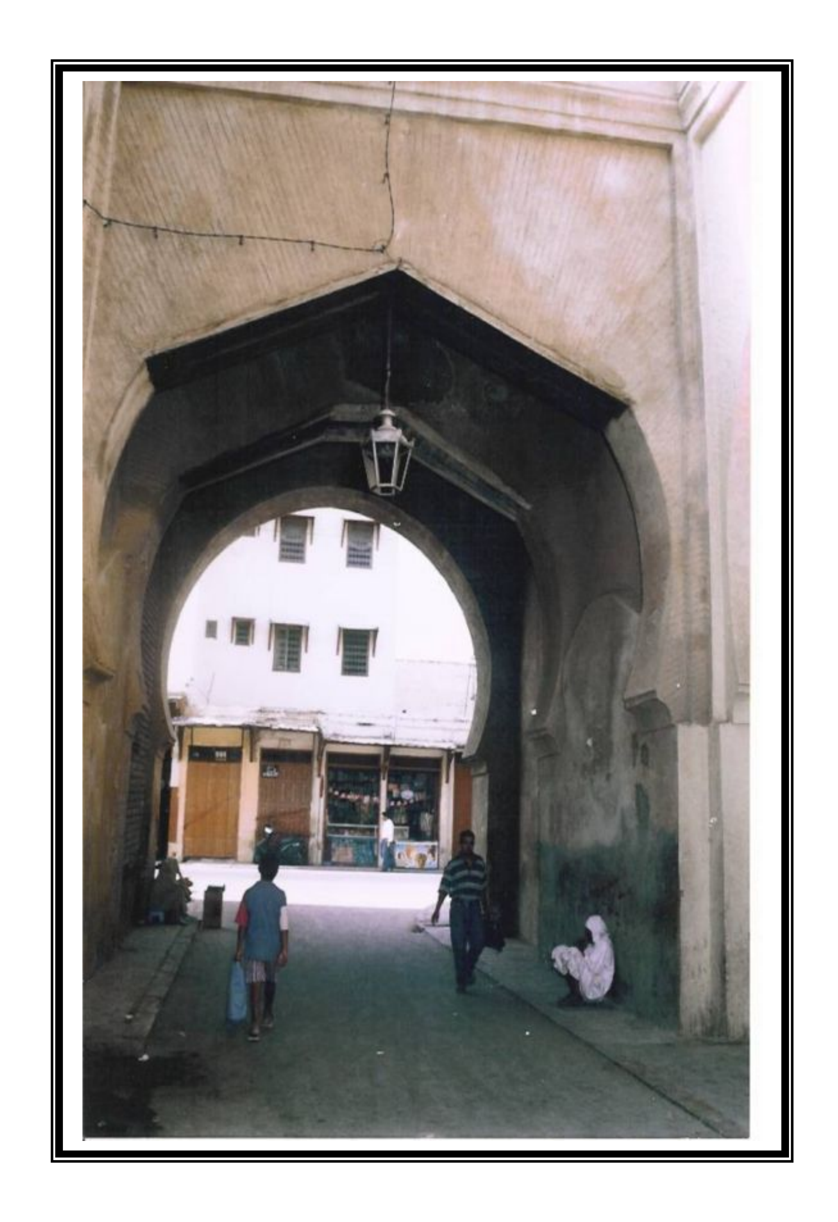
الصورة رقم **(25)** : " مدينة فاس الجديد " – تقنية الزخرفة في واجهة المدخل (باب السمارين).



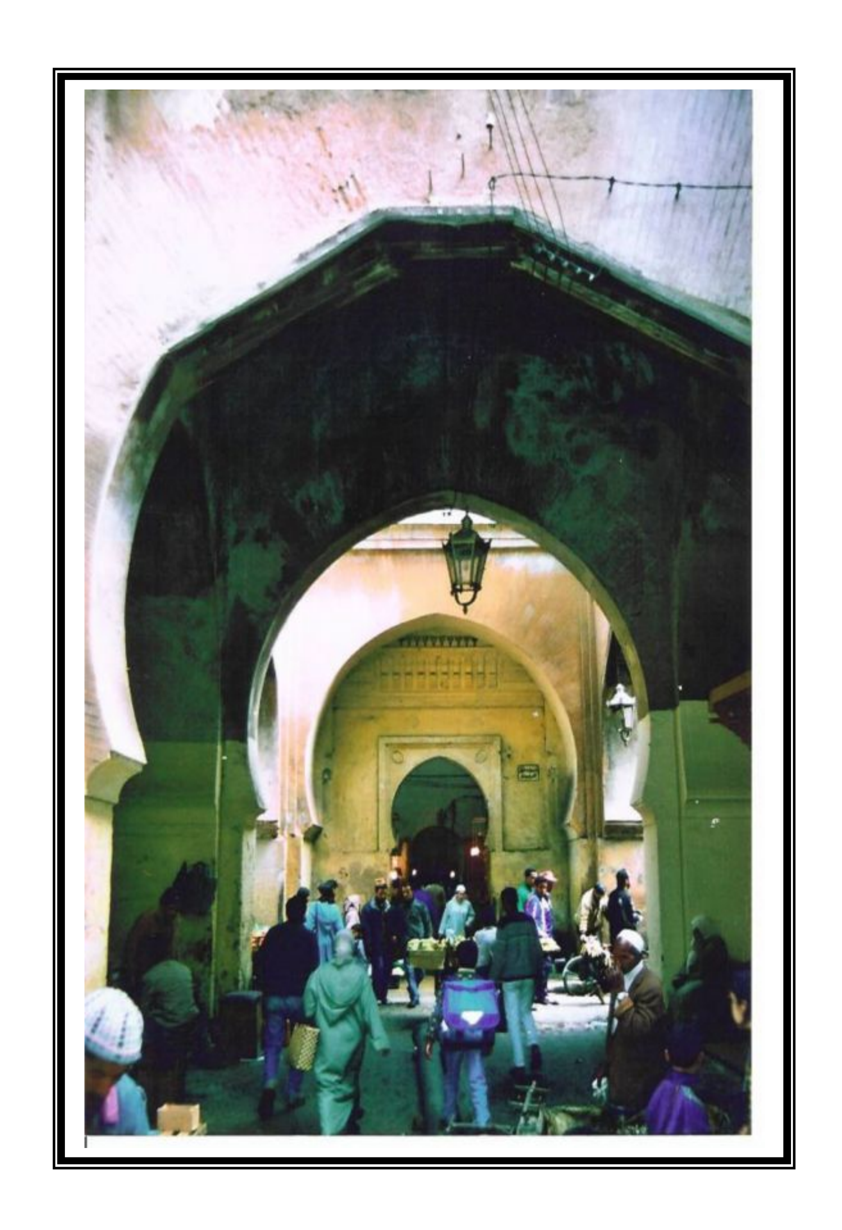
الصورة رقم **(26)** : " مدينة فاس الجديد " - تقنية الزخرفة وبناء الأقواس المدخل (باب السمارين).



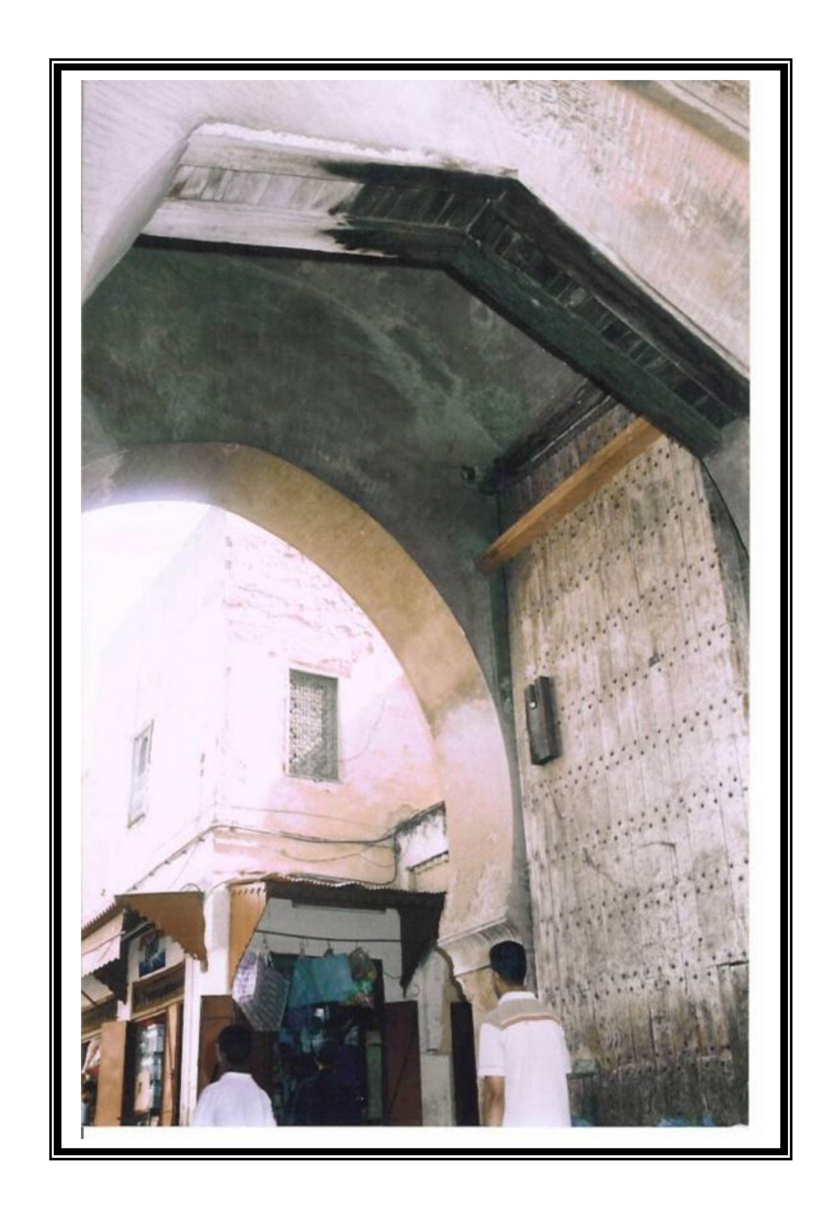
الصورة رقم **(27)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر من فوق الباب تقنية بناء الشرفات (باب السمارين).



الصورة رقم **(28)** : " مدينة فاس الجديد " الممر الداخلي لباب السمارين من ناحية المدخل الخارجي.



الصورة رقم **(29)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر لتفاصيل الباب في وسطه(باب السمارين)



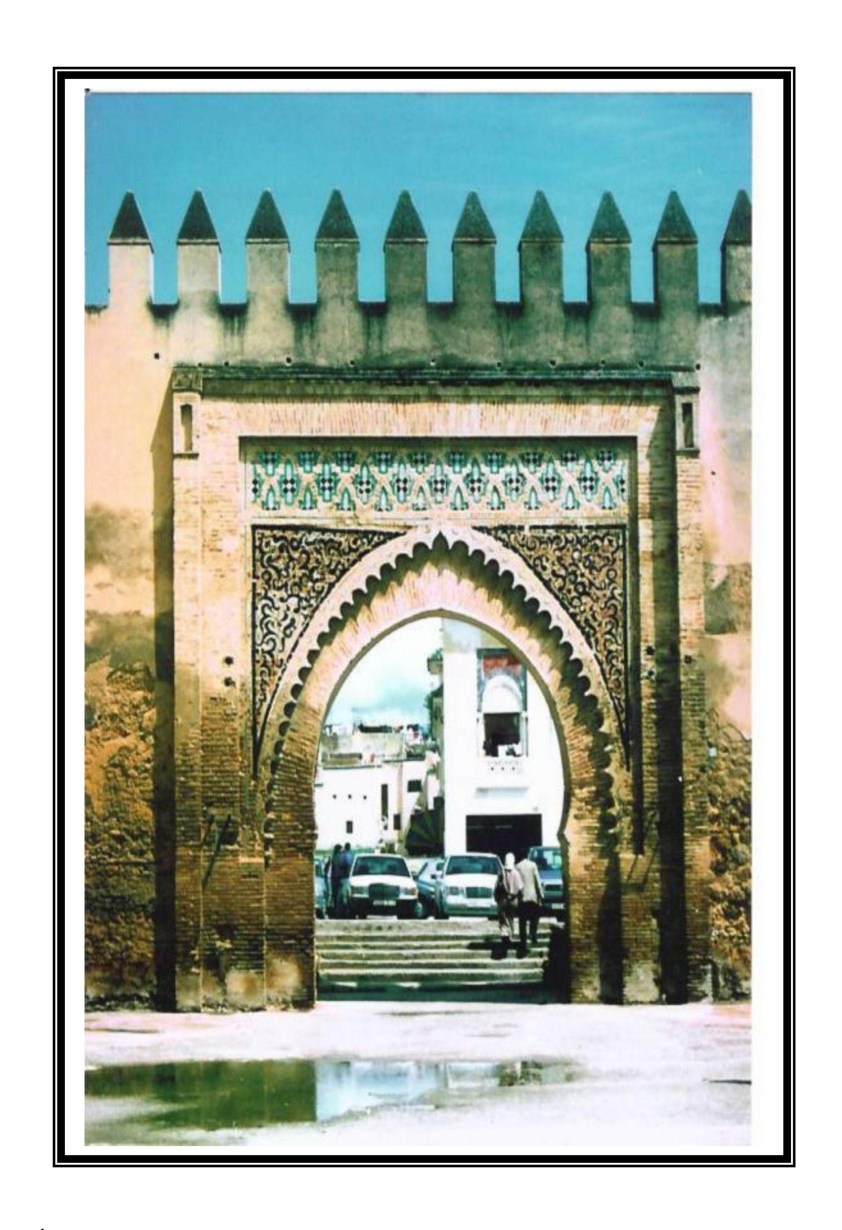
الصورة رقم **(30)** : " مدينة فاس الجديد " – تفاصيل الباب من ناحية المدخل الداخلي للباب(باب السمارين)



الصورة رقم **(31)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر خارجي لباب الأمر (الأسوار الخارجية من الناحية الجنوبية).



الصورة رقم **(32)** : " مدينة فاس الجديد " – منظر داخلي لباب الأمر .



الصورة رقم **(33)** : " مدينة فاس الجديد " - تفاصيل مدخل باب الأمر " منظر خارجي"



الصورة رقم **(34)** : " مدينة فاس الجديد " – تقنية بناء و زخرفة قوس المدخل (باب

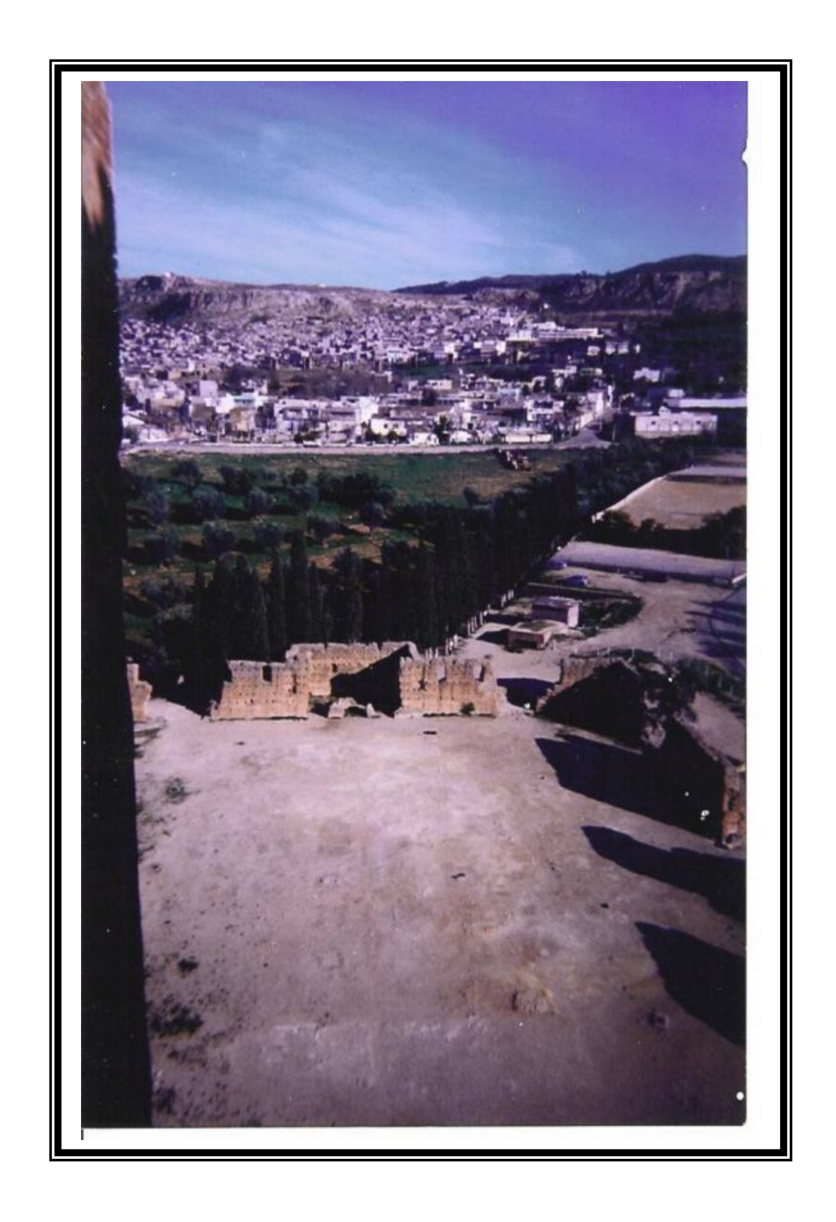


الأمر)

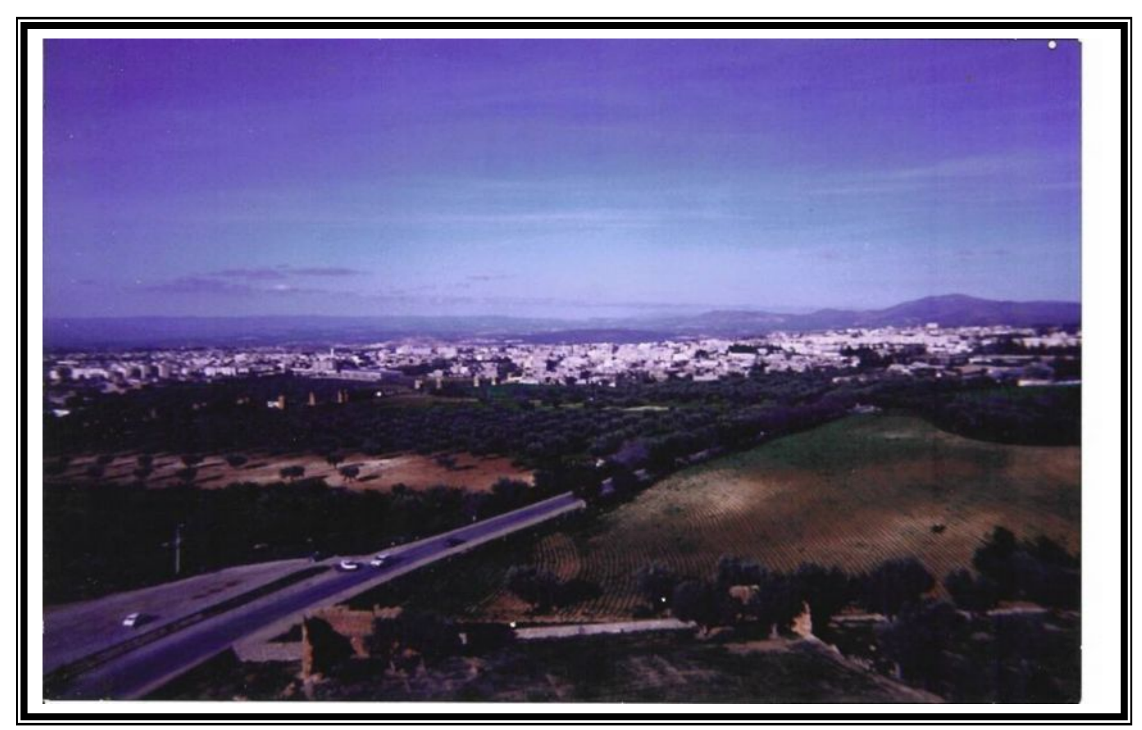
الصورة رقم **(35)** : " مدينة فاس الجديد " – تقنية بناء الشرفات وزخرفة المدخل (باب الأمر).



الصورة رقم **(36)** : " مدينة فاس الجديد " - منظر من الناحية الداخلية وتقنية البناء(باب الأمر)



الصورة رقم **(37)** : " منصورة تلمسان " – هضبة لالا ستي المشرفة على تلمسان شرقا وعلى المنصورة جنوبا .



الصورة رقم **(38)** : " منصورة تلمسان " – مدينة تلمسان المشرفة على المنصورة من الناحية الشرقية.



الصورة رقم **(39)** : " منصورة تلمسان " – جزء من السور الشمالي الشرقي وتقنية الانكسار.



الصورة رقم **(40)** : " منصورة تلمسان " –السور الشمالي وبقايا أبراجه من الناحية الخارجية.



الصورة رقم **(41)** : " منصورة تلمسان " – السور الجنوبي الغربي وبقايا أبراجه من الناحية الخارجية.



الصورة رقم **(42)** : " منصورة تلمسان " – السور الغربي من الخارج وأبراجه البارزة عنه.



الصورة رقم **(43)** : " منصورة تلمسان " – السور الشمالي من الداخل ويظهر الممر الدائر (ممشى السور).



الصورة رقم **(44)** : " منصورة تلمسان " – مدخل من الناحية الغربية للمدينة.



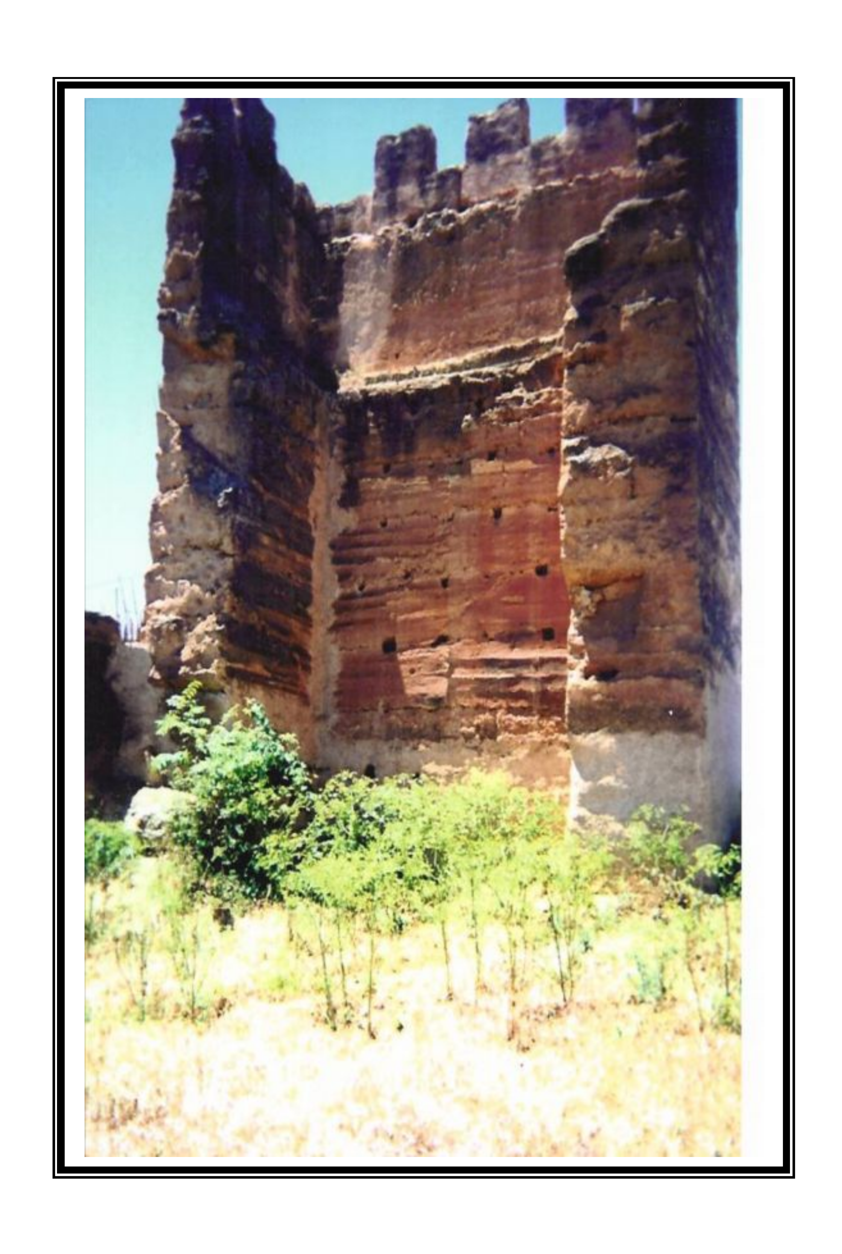
الصورة رقم **(45)** : " منصورة تلمسان " – مدخل من الناحية الجنوبية للمدينة.



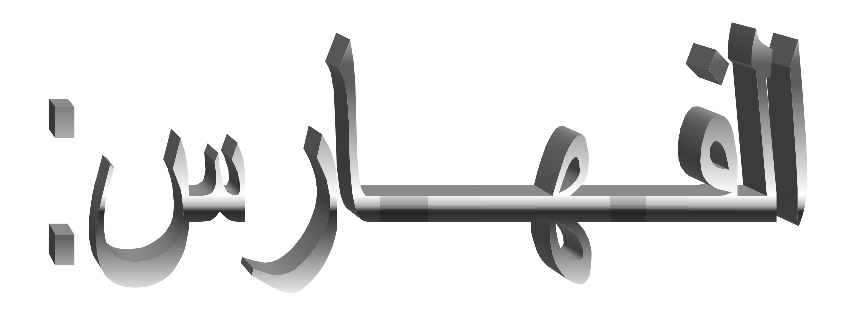
الصورة رقم **(46)** : " منصورة تلمسان " – أحد الأبراج الركنية من الداخل في الناحية الشمالية الغربية .



الصورة رقم **(47)** : " منصورة تلمسان " – أحد الأبراج الركنية من الخارج في الناحية الشمالية الغربية.



الصورة رقم **(48)** : " منصورة تلمسان " – أحد الأبراج و تفاصيله الداخلية.



- **أولا :** فهرس الأعلام والمجمعات البشرية.
- **ثانيا :** فهرس الأماكن و المدن والمواقع.
- **ثالثا :** فهرس الخرائط.
- **رابعا :** فهرس المخططات.
- **خامسا :** فهرس الأشكال.
- **سادسا :** فهرس الصور.
- **سابعا :** الفهرس العام.

أولا ـ فهرس الأعلام و الأقوام

ثانيا :فهرس المدن والمواقع

ثالثا: فهرس الخرائط

رابعا : فهرس المخططات

-خامسا: فهرس الأشكـــــــال

-خامسا: فهرس الصور

سابعا :الفهرس العام

الفصل الثاني:

الفصل الثالث: